

# فتح رَبِّ البرية

بشرح لعقائد الاسلام  
مِنَ الآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ

لِلإمام العلامة الشَّيخ  
عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ بَادِيَسْ الْقَسَنْطِينِي الْمِجْرَاوِيِّ  
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بَرَّرَ وَتَقْلِيده  
أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَامِي بْنِ زُهَيْرٍ بْنِ عَمَّارٍ بْنِ عَقْدَلٍ  
الْقَسَنْطِينِي الْمِجْرَاوِيِّ

مَكْتَبَةُ الرُّشْدِ  
نَاشِرُونَ

فَتْحُ رَبِّ الْبَرِيَّةِ  
بِشْرَحِ لِعَقَائِدِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ



فَتْحُ رَبِّ الْبَرِيَّةِ  
بشرح لعقائد الإِسْلامِية  
مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ

لِلإِمَامِ الْعُلَمَاءِ الشَّيْخِ  
عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ بَادِيَسْ لِقَسْنَطِينِي الْجَزَائِرِيِّ  
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِشَرْحِ وَتَقْلِيدِهِ  
أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَامِي بْنِ زُصَالِيَّةِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ مَعْلُولِ  
الْقَسْنَطِينِيِّ الْجَزَائِرِيِّ

١١٢١/٢٠٢٢  
يعقوب الأمل  
الأزهر

مَكْتَبَةُ الشُّبُكِ  
ناشرون

# جميع الحقوق محفوظة

## الطبعة الاولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



مكتبة الرشد - ناشرون

المملكة العربية السعودية - الرياض

الإدارة : مركز البستان - طريق الملك فهد هاتف ٤٦٠٢٥٩٠

ص.ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ - فاكس ٤٦٠٢٤٩٧

E-mail: [rushd@rushd.com](mailto:rushd@rushd.com)

Website: [www.rushd.com](http://www.rushd.com)

### فروع المكتبة داخل المملكة

- الرياض: المركز الرئيسي: الدائري الغربي، بين مخرجي ٢٧ و ٢٨ هاتف ٤٣٢٩٣٣٢ فاكس ٤٣٢٩٣٧٥
- الرياض: فرع الشمال، طريق عثمان بن عفان، هاتف: ٢٢٥٣٠٥٢
- الرياض: فرع الدائري الشرقي هاتف ٤٩٧١١٩٩ فاكس ٤٩٦١٥٩٩
- فرع مكة المكرمة: شارع الطائف هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ فاكس: ٥٥٨٣٥٠٦
- فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري هاتف: ٨٣٤٠٦٠٠ فاكس ٨٣٨٣٤٢٧
- فرع جدة: مقابل ميدان الطائفة هاتف: ٦٧٧٦٣٣١ فاكس ٦٧٧٦٣٥٤
- فرع القصيم: بريدة - طريق المدينة هاتف ٣٢٤٢٢١٤ فاكس ٣٢٤١٣٥٨
- فرع أبها: شارع الملك فيصل : هاتف ٢٣١٧٣٠٧ فاكس ٢٢٤٢٤٠٢
- فرع الدمام : شارع الخزان هاتف: ٨١٥٠٥٦٦ فاكس ٨٤١٨٤٧٣
- فرع حائل هاتف ٥٣٢٢٢٤٦ فاكس ٥٦٦٢٢٤٦
- فرع الأحساء: هاتف ٥٨١٣٠٢٨ فاكس ٥٨١٣١١٥
- فرع تبوك هاتف ٤٢٤١٦٤٠ فاكس ٤٢٣٨٩٢٧

### مكاتبنا بالخارج

- القاهرة: مدينة نصر: هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ - موبايل: ٠١٠١٦٢٢٦٥٣
- بيروت بشر حسن هاتف ٠٥/٤٦٢٨٩٥ موبايل ٠٣٥٥٤٣٥٣ - فاكس ٠٥/٤٦٢٨٩٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة متواضعة

بقلم الفقير إلى الله العلي القدير  
عبد القادر الأرناؤوط

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أمّا بعد: فهذا كتاب (فتح ربّ البرية بشرح العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية)، تأليف الإمام العلامة الشيخ عبد الحميد ابن باديس القسنطيني الجزائري، المتوفى سنة ١٢٥٩هـ الموافق ١٩٤٠م رحمه الله، فقدّمه للنّاس في وقت أحوج ما يكونون إلى معرفة العقيدة السليمة، عقيدة أهل السنة والجماعة، التي جاء بها القرآن، وبينّا النّبّي عليه الصلاة والسلام.

وهي عبارة عن دروس وحلقات متسلسلة، كان يلقيها الشيخ رحمه الله على تلاميذته، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة.

فجمعها، ورتبها الأخ في الله أبو عبد الرحمن سامي بن نصر الدّين ابن عمّار القسنطيني الجزائري، من طلاب العلم الذين درسوا العقيدة الصحيحة، وسلكوا الطريقة المستقيمة، فقام بتحقيق هذه الرسالة، ورقّم

الآيات القرآنية، وخرّج الأحاديث النبوية التي استشهد بها المؤلف رحمه الله، معتمداً في ذلك على أقوال أهل العلم المحققين، الذين هم مرجع في هذا الفن العظيم، وعلّق على الأفكار العامة التي تطرق إليها المؤلف ابن باديس رحمه الله، وقام بترجمة المؤلف، وبيّن ما قام به من أعمال مجيدة، وذكر مقدمة له في عدة دروس دينية، وأثبت في أوّل الكتاب مقدمة للعلامة الشيخ محمّد بن بشير<sup>(١)</sup> بن عمر الإبراهيمي صديق المؤلف رحمه الله، وهو من كبار علماء الجزائر المتوفى سنة ١٢٨٥هـ ١٩٦٥م.

وقد اشتملت على ذكر المنهج الصحيح في فهم العقيدة الإسلامية، فقام الأخ المحقق لهذه الرسالة، فذكر قواعد الإسلام وعلّق عليها، وبيّن أنّ الدخول في الإسلام والإيمان بالنبي ﷺ يكون بشهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وذكر بعض الفوائد المتعلقة بذلك، وبيّن معنى الإسلام والإيمان، وأنّ الدين كلّ عقد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، وأنّ الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان، وذكر معنى الإحسان، وما يتعلق بعقيدة الإثبات والتثريب، وأنّه يجب علينا أن نثبت ما أثبت الله تعالى لنفسه، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه، دون تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، وبيّن أنّ مذهب السلف الصالح: يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

وذكر ما يتعلق بتوحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وأنّ توحيد الله تعالى توحيده أيضاً في شرعه، فلا حاكم إلا الله، ولا محلّل إلا الله، ولا محرّم إلا الله، لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾.

(١) هكذا قال الشيخ رحمه الله، وإنما هو محمد البشير.

وبيّن معنى القدر لغة وشرعاً، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب الإلهية، وأنّ من الإيمان بالقرآن أن نؤمن بكلّ ما ثبت عن النبي ﷺ، لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، والإيمان بالرسول، وأنّ الله تعالى أيدهم بالبينات والآيات، وختمه بتمام عبوديتهم مع علو مرتبتهم، وأنّ الله تعالى ختم الرسالات برسالة محمد ﷺ، وجعل رسالته الرسالة العامة للجنّ والإنس إلى أن يرث الأرض ومن عليها، وأنها ناسخة للشرائع المتقدمة إلى يوم القيامة.

فجزاه الله تعالى كلّ خير، وشكر مسعاه، ورزقنا وإياه العلم النافع، والعمل الصالح، ونسأله تعالى أن يتولانا جميعاً بعنايته، إنه على كلّ شيء قدير، وبالإجابة جدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

دمشق / الأحد ١٨ ربيع الآخر ١٤٢٥ هـ

عبد القادر الأرنبوط

خادم السنة النبوية بدمشق



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

إِنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧] [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد، فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة<sup>(١)</sup>.

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان يقدمها رسول الله ﷺ بين يدي كلامه، انظر تخريجها والكلام حولها «خطبة الحاجة» للشيخ الألباني رحمه الله تعالى.

ثمّ أمّا بعد، فإنّ العلماء غياث الأمم ومشاعل للظلم، تهتدي بهم الجموع إلى صراط الله ودينه القويم، يبينون لهم أصول الشريعة وفروعها ويدعونهم إليها، ويرفعون عنهم أسباب الجهل بها، ويزيلون الشبه الواردة عليها، بأقوالهم وأقلامهم وأفعالهم ومواقفهم، هؤلاء هم علماء الإسلام وحملة لوائه، وهم والله الحمد والمنة جمع غفير في تاريخ الأمة الإسلامية المشرق.

ومن أفرادهم الإمام العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى، وهو من جلة أهل العلم الذين يدعون من ضل إلى سواء السبيل، «الذين يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم»<sup>(١)</sup>.

وإنّ أثر أهل العلم يظهر في زمانهم بدعوتهم، ويظهر بعدهم بما تركوا لمن خلفهم من الذكر الحسن، والعلم النافع.

وممّا تركه إمامنا العلامة رحمه الله تعالى، هذا المختصر المفيد في العقائد الإسلامية، وهي عبارة عن دروس وحلقات متسلسلة، كان يلقيها على تلاميذه بالجامع الأخضر بمدينة قسنطينة - حرسها الله تعالى -.

وإنّ إحياء التراث الإسلامي، الذي يتضمن الفهم الصحيح للعقيدة ضرورة ملحة، وبخاصة في هذا الوقت الحاضر الذي بدأت فيه العودة إلى دين الله تعالى تظهر في شتى أنحاء العالم، فضلاً عن العالم الإسلامي، وتأتي تلك الضرورة في الوقت الحاضر بالذات، لأنّه لا بد للأمة من معالم صحيحة في طريق عودتها إلى الله تعالى تبين لها المنهج الصحيح في فهم العقيدة، التي هي القاعدة والركيزة الأساسية لبناء المجتمع الإسلامي المنشود.

(١) من كلام الإمام أحمد رحمه الله تعالى في كتابه «الرد على الجهمية» (ص: ٦).

وقد قيّض المولى عزّ وجلّ في كل فترة من فترات الضعف والانحراف علماء مصلحين، يحفظون عقيدة الأمة ويحرسونها، ويردّون على من خالفها أو عارضها، من صدر الإسلام إلى اليوم، إلى أن تقوم الساعة بمشيئة الله تعالى.

فجاءت هذه العقائد الإسلامية للإمام العلامة عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى «عقيدة مثلى، يتعلمها الطالب فيأتي منه مسلم سلفي، موحد لربه بدلائل القرآن، كأحسن ما يكون المسلم النقي، ويستدل على ما يعتقد في ربّه بآيات من كلام ربه، لا بقول السنوسي في عقيدته الصغرى: أمّا برهان وجوده تعالى فحدوث العالم...»<sup>(١)</sup>.

هذا، ومما دفعني إلى إنجاز هذا العمل المتواضع، إيقاظ همم بني قومي من طلبة العلم وإعلاؤها، لكي يهتمّوا بهذا التراث الكبير الذي تركه لنا الإمام ابن باديس خاصة، وعلماء الجزائر عامة، أمثال الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى، والشيخ العلامة مبارك الملي رحمه الله تعالى، والشيخ العلامة العربي التبسي رحمه الله تعالى، والشيخ العلامة الطيب العقبي رحمه الله تعالى، والشيخ العلامة عبد اللطيف سلطاني رحمه الله تعالى، وغيرهم كثير من أعلام علماء الجزائر - حماها الله تعالى -.

وأكثر من رأيته في هذه الأيام يهتم بتراث علماء القطر الجزائري الحبيب، هو الشيخ أبو عبد الرحمن محمود الجزائري وفقه الله تعالى وسدّد خطاه، فكانت له - جزاه الله خيراً - كتابات ومقالات حول أعلام الجزائر واهتمام خاص بالتراث الذي خلفوه، وآخرها تحقيق كتاب «الشرك ومظاهره»<sup>(٢)</sup>، للشيخ العلامة مبارك الملي رحمه الله تعالى، إلى أن جاء

(١) من كلام الإمام العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى، انظر مقدمة العقائد الإسلامية: (ص: ١٧).

(٢) وهو كتاب عظيم عالج فيه بعض مظاهر الشرك الذي ابتليت بها الجزائر، وقد =

«الفتح المأمول»<sup>(١)</sup> بإذن الله تعالى من ذلك الشيخ الجليل، أبي عبد المعز محمد علي فركوس، وفقه الله تعالى وفتح الله عليه فتحاً مبيناً.

ولا ننسى تلك الجهود المباركة - إن شاء الله تعالى - التي قامت بها قديماً وزارة الشؤون الدينية، وعلى رأسها معالي الوزير الأستاذ عبد الرحمن شيبان وفقه الله تعالى<sup>(\*)</sup>، في نشر تراث علماء الجمعية، وقد كان من اهتمامه كذلك في هذه الأيام إعادة جريدة «البصائر»<sup>(٢)</sup> للطبع.

= طبع الكتاب قديماً طبعات كثيرة من دون تحقيق، وكم تمنى الحريصون على السنة أن يحقق هذا الكتاب، فمن الله تعالى علينا بتحقيق الشيخ أبي عبد الرحمن، وكم ملئ قلبي سروراً لما رأيته بأحد مكتبات الشارقة، فجزاه الله خيراً، وجعله في ميزان حسناته، آمين. وقد نشرت له وفقه الله تعالى بعض المقالات في التعريف بأعلام الجمعية في المجلة الغراء: منابر الهدى، التي تسعى جاهدة بتعريف المسلمين بدينهم، ودعوتهم إلى الرجوع إلى منابعه الأصلية، كتاب ربهم تعالى وسنة نبيهم ﷺ بفهم خير الناس، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء، وسدد خطاهم، ونقول لهم: هل من مزيد.

(١) وهو عبارة عن شرح لكتاب العلامة ابن باديس في أصول الفقه، سماه: «مبادئ الأصول».

(\*) قال الشيخ أحمد حماني رحمه الله تعالى: «أخونا الكريم الوزير المصلح العظيم، الشيخ عبد الرحمن شيبان، فقد بذل مجهوداً كبيراً في إحياء آثار الشيخ - ابن باديس - والتنويه بشأنه، والمحافظة على ذكره بالقول والفعل، وبالأسلوب الأمثل...» اهـ انظر. صراع بين السنة والبدعة: (١/١١).

(٢) وهي لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد طبعت لأول مرة في مجموع احتوى على خمسين عدداً سنة: (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤)، جمعها الأستاذ محمد الحسن فضلاء، أحد تلاميذ الجمعية، وقدم لها الأستاذ محمد خير الدين رحمه الله تعالى، أحد رجالات الجمعية، وهي عبارة عن مجموعة تاريخية من التراث الوطني المجيد، وللجمعية غيرها من النشرات، كالسنة النبوية المحمدية، والشرعة النبوية المحمدية، والصراط السوي، ومجلة الشهاب. قال الأستاذ محمد خير الدين رحمه الله تعالى: «وهي صحف ختمت أيامها كما بدأت في وسط المعركة الحامية الوطيس، بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والعدل والظلم، والخير والشر، وهذه الصحف كلها لسان حال جمعية العلماء التي عملت لخير الأمة، وما تزال حتى اليوم في سجل التاريخ من تراث هذا الوطن تاريخاً مجيداً نظيفاً لخير هذه الأمة ونفعها، ولو جاز للجمعية اليوم أن تقول شيئاً =

ومن هذه الجهود المباركة، قيام الدكتور عمار طالبي - وفقه الله تعالى - بجمع بعض آثار المصنف عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى، وقد طبعت في أربعة أجزاء، فجزاه الله خيراً.

هذا، وكان منهجي في هذا العمل المتواضع كالآتي:

أخرج الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، مبيناً درجة كل حديث بقدر الإمكان، معتمداً في ذلك على أقوال أهل العلم المعبرين، المشهود لهم بالتفوق في هذا العلم الشريف، جاعلاً أصل الرسالة ومنتها أعلى الصحيفة، والتعليق أسفلها.

علقت على الفكرة العامة والمحور الرئيسي الذي تطرق إليه المصنف رحمه الله تعالى، ولم أتعرض لكل كلمة وردت في المتن، فذلك شأن المَطُولات، وما هذا العمل إلا شرح موجز<sup>(\*)</sup>، ليس لي فيه إلا الجمع والترتيب، أما الإبداع، فتلك صنعة لها رجالها، وهيئات اللحاق بهم.

وقد جاءت كثير من مباحث هذا الكتاب مشكلة وحدة موضوعية،

= عن هذه الصحف لما زادت على قول القائل:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار... اهـ

قال رحمه الله تعالى هذا الكلام بمناسبة تصديره لمجموعة البصائر التي جمعها الأستاذ فضلاء رحمه الله تعالى، في أول رجب سنة: (١٤٠٣هـ)، وأنا أتوجه شخصياً من خلال هذا الإنجاز المتواضع إلى القائمين على جريدة البصائر اليوم، وفي مقدمتهم معالي الوزير السابق: عبد الرحمن شيبان وفقه الله تعالى، أن يسعى جاهداً مع إخوانه في إضفاء روح البصائر القديمة على البصائر الجديدة، وأن تسير على خطى الجمعية، وأن تتبنى أصولها العلمية.

(\*) كنت قد كتبت عند هذا الموضع: «وما هذا العمل إلا شرح بسيط» وهذا خطأ يقع فيه كثير من الكتاب، والصحيح أن يقال: «وما هذا العمل إلا شرح موجز، أو وجيز»، فإن البسيط أو المبسوط هو الواسع والكبير، وقد نبهني على هذا الخطأ أخي الدكتور أبو بكر كافي وفقه الله تعالى.

فوددت أن تجمع في فصل واحد يضمها جميعاً، ولكن لا يَحْسُن التصرف بهذه الصورة، فقد نخل بمراد المصنف رحمه الله تعالى، أو نغير من شكل الكتاب إلى صورة ربما لم يكن يرضاها رحمه الله تعالى.

ولا يسعني في هذا المقام، إلا أن أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل، من قريب أو بعيد، وأخص بالذكر أخي الشيخ ضياء راشد البصري، الذي أعارني جهاز الكمبيوتر طيلة إنجاز هذا البحث، فجزاه الله تعالى كل خير.

كما أتوجه بالشكر والامتنان إلى عمال مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، وعلى رأسهم الأخ الفاضل محمد طويجين، والأستاذ مراد كريم، وهيكّل، وعبد العزيز وغيرهم... فقد وفروا لي كل كتاب كنت أحтаجه، وهَيَّؤوا لي الظروف المناسبة.

وسيالاحظ القارئ الكريم أنني أنقل عن بعض الكتب بالواسطة، رغم أن الكتاب الأول مطبوع متداول، ولكن عذري في ذلك صعوبة الحصول على تلك المراجع، إلا أنني أشير إلى ذلك، والنسيان من طبع الإنسان، والله المستعان.

هذا، وقد رأيت أن أثبت في هذا التعليق مقدمة الإمام العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى على العقائد الإسلامية، والتي هي من رواية الأستاذ محمد الصالح رمضان<sup>(١)</sup> حفظه الله تعالى؛ وذلك لما اشتملت

(١) وقد اعتمدت في هذا التعليق على هذه الرواية، وأرمز إليها بحرف (ص)، وأما الرواية الثانية فهي رواية الأستاذ محمد الحسن فضلاء رحمه الله تعالى مفتش التعليم الابتدائي والمتوسط سابقاً، وأرمز إليها بحرف (ح)، والسبب في اعتمادي على رواية الأستاذ محمد الصالح رمضان، ما قاله الأستاذ محمد الحسن فضلاء نفسه: «فصول هذا الكتاب قد تلقيتها دروساً إملائية خصصت لطلبة الجامع الأخضر بقسنطينة، وأود أن أذكر هنا أنها كانت تقدم لقسم من الأقسام، وأستاذنا الإمام كان لا يسمح لغير طلبة القسم =

عليه من ذكر المنهج الصحيح في تلقي العقيدة، وحتى يعلم الأجيال أن هؤلاء الجبال، كانوا على عقيدة خير الناس.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يأتي يوم القيامة في ميزان العبد المذنب، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.  
وكتبه:

أبو عبد الرحمن سامي رياض بن نصر الدين بن عمار بن شعلال  
القسنطيني الجزائري

الشارقة - دولة الإمارات العربية المتحدة :- ١٦ شوال ١٤٢٢  
الموافق ليوم الاثنين: ٣١ ديسمبر ٢٠٠١

= الخاص بالحضور، والساعة التي كانت تقدم فيها هذه الإملاءات كانت فارغة بالنسبة لبرنامجي اليومي، ومع تطلعي للمعرفة، وشغفي بالمزيد منها، وشدة تعلقي بالأستاذ، بحيث كنت أتمنى ألا تفوتني كبيرة منها وصغيرة لو وجدت إلى ذلك سبيلاً، لذلك عمدت إلى حيلة طريفة توصلت بها إلى تسجيل هذا الكتاب، وحضور جميع حصصه المتسلسلة من أولها إلى آخرها. كنت أصعد إلى سدة الجامع، ومعني الزميل الأستاذ بلقاسم الزغداني رحمه الله، الذي أجده أحياناً قد سبقني إليها معتمداً على نفس حيلتي، فأنبطح - وإياه - على أرضية السدة متجهين لمصدر الصوت، فتلقى الدرس ونكتبه، وهكذا حتى أتينا على آخر الكتاب، ولم يفتني - لحسن حظي - منه شيء، والكراسة التي استعملتها لتسجيل دروسي آنذاك ما تزال بين يدي قائمة، على أن الأستاذ رحمه الله قد فطن للحيلة، وشكر المسعى<sup>١</sup> انظر العقائد الإسلامية من رواية الأستاذ محمد الحسن فضلاء، (ص: ٩، ١٠). فاعتبرت رواية الشيخ محمد الصالح رمضان في الأصل لهذا السبب وفي كل خير.

وقد توجد بعض الأحرف ذكرت في رواية الأستاذ رمضان ولم تذكر في رواية فضلاء، وكذلك قد ترد بعض الأشياء عند فضلاء دون رمضان فأثبتها في أصل الكتاب، فأنبه على ذلك كله في مكانه، والله تعالى أعلم.



## ترجمة المصنّف رحمه الله تعالى:

هو عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس، ولد يوم ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٠٨هـ، الموافق لليلة الجمعة ٤ ديسمبر ١٨٨٩م بمدينة قسنطينة العريقة.

وقبيلته هي صنهاجة الأمازيغية، وينتسب الشيخ إلى عائلة عريقة في الحسب والنسب، قد نبغ من أسرته شخصيات تاريخية لامعة، منها: «بلكين ابن زيري بن مناد»<sup>(١)</sup>، ويكنى بأبي الفتوح، و«المعز بن باديس»، وقد ذكره ابن خلدون في تاريخه للدولة الصنهاجية<sup>(٢)</sup>، وكان الشيخ عبد الحميد يفتخر به، ولا عجب في ذلك، فهو بمثابة خليفته في مقاومة البدع والضلال، إذ كان جدّه يناضل الإسماعيلية الباطنية، وبدع الشيعة في إفريقيا، إلا أنّ أسرته كانت تنتمي إلى الطريقة القادرية.

أتم حفظ القرآن الكريم في السنة الثالثة عشر من عمره، وصلى بالناس التراويح ثلاث سنوات متتابة في الجامع الكبير بقسنطينة، وبعد حفظ القرآن الكريم، تلقى الإمام علوم العربية والفقه والحديث، على يد شيخه حمدان الونيسي.

(١) وقد ذكره الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية: (٣٩٥/١١). قال: ويسمى أيضا يوسف. إلا أنّ الأستاذ عادل نويهض ذكر أن يوسف هذا هو ابن زيري ويلقب: بلقين أو بلكين. انظر معجم أعلام الجزائر: (ص: ١٧٤).

وحين بلغ الخامسة عشر من عمره سنة ١٩٠٤، تزوّج ورزق بولد، لكنّه مات قريباً صغيراً.

سافر إلى تونس سنة ١٩٠٨ وسنه إذ ذاك تسعة عشر عاماً، وانتسب إلى جامع الزيتونة، ليدرس هناك ثلاث سنوات، نال بعدها شهادة التطويع.

من أبرز شيوخه: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الذي كان له تأثير كبير في تكوين الشيخ اللغوي، وفي الشغف بالأدب العربي والاعتزاز به، والشيخ محمد النخلي أستاذ التفسير، والشيخ البشير صفر أستاذ التاريخ<sup>(\*)</sup>.

وتخرّج عام ١٩١١ - ١٩١٢، وعمره ثلاث وعشرون سنة، وعلم سنة واحدة في جامع الزيتونة على عادة المتخرّجين في ذلك الوقت.

ولمّا عاد الشيخ من تونس قصد الجامع الكبير بقسنطينة، وأخذ في إلقاء الدروس، وابتدأ بتدريس كتاب «الشفاء» للقاضي عياض، ولكن المكائد حيكت له، فعمل مخالفوه على إقلاقه ومنعه، وأطفأوا عليه الضوء وهو في الدرس، بعد ذلك انتقل إمامنا إلى المسجد الأخضر، - بالمدينة نفسها - للتدريس فيه.

وبعد فترة وجيزة قرر السفر للحج عام ١٣٣١هـ - ١٩١٣م، فالتقى بشيخه حمدان الونيسي الذي رحل إلى الحجاز قبل ذلك، وتعرف إلى بعض علماء المدينة، ومنهم الشيخ حسين الهندي الذي أشار إليه بالعودة إلى الجزائر لنشر الدعوة وقمع البدعة ومقارعة الاستعمار.

وفي تلك البقاع الطاهرة - زادها الله شرفاً - تعرّف على الشيخ الهمام محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى، الذي سبقه في الهجرة مع أهله إلى المدينة المنورة، وتوطدت الصلة بينهما، وقد مكثا طوال ثلاثة أشهر

(\*) انظر ترجمة شيوخه نبذة مختصرة من حياة العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس للشيخ أبي عبد الرحمن محمود الجزائري (ص: ١٨) وما بعدها.

يتباحثان أوضاع الجزائر، ويخططان لإصلاح البلاد والعباد، واتفقا أنهما حينما يعودان إلى الجزائر سَوْفَ يبدآن حركة علمية، يكون التركيز فيها على الكيف لا على الكم.

بعدها غادر إمامنا المدينة المنورة متجهاً إلى الشام، وبالتحديد إلى سوريا ولبنان، ثم إلى مصر بعد أن مكث مدةً قابلَ فيها بعض أهل العلم، منهم: الشيخ بخيت المطيعي، الذي نقل إليه رسالة من الشيخ الونيسي، وقد حصل الشيخ عبد الحميد من خلال هذا اللقاء بالشيخ المطيعي إجازة علمية منه.

ثم عاد الإمام عبد الحميد بن باديس من رحلته إلى الجزائر، مَوْطِناً العزم على خدمة بلاده وأمته، فشرع في عمله الذي قصد إليه بإيمان متين، وعزم صادق، وإرادة صلبة، وحزم وتصميم، مع آمال فسيحة، ومقاصد نبيلة كبيرة:

- أن يسترجع دينه قوته ونفوذه على النفوس، كما بلغه الرسول الأمين ﷺ.
- وأن يعود لأُمته ما قد ذهب من عز ومجد أثيل<sup>(١)</sup>، ودولة موحدة وسيادة كاملة، وأن يكون وطنه حراً مستقلاً كما كان.

فبدأ نشاطه العلمي بمساجد مدينته العريقة قسنطينة، مهتماً بالكيف لا بالكم، ولم يكن تلاميذه من منطقة واحدة من الجزائر، بل كانوا يرحلون إليه من مناطق كثيرة، فقد كان يدعو - من خلال رحلاته في مختلف المناطق الجزائرية - أبناء القبائل إرسال أبناءهم للدراسة عليه في الجامع الأخضر بقسنطينة.

وبعد بضع سنوات من بدء نشاطه التعليمي، أسس بعض الصحف،

(١) أثيل: أصيل منه تأئل: تأصل راجع القاموس المحيط للفيروز آبادي ص: ٩٦٠ ط الرسالة.

التي هاجم من خلالها البدع والخرافات والعقائد الفاسدة، داعياً إلى العودة إلى الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

ولم يكتف إمامنا رحمه الله تعالى بهذا النشاط الدعوي حتى أنشأ «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»، وانتخب رئيساً عليها، وكان من اهتمام الجمعية إصلاح العقيدة أولاً، وبناء شخصية عربية إسلامية، فكان نشاطها الأساسي هو التعليم والتثذيب، ومحاربة الآفات والبدع، وإن شئت فقل: التصفية والتربية، فكانت الجمعية بحق أبرك على الجزائر من المطر<sup>(١)</sup>.

توفي الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس يوم السادس عشر من شهر أبريل عام ١٩٤٠م في قسنطينة، وشيعت جنازته في اليوم التالي في وسط جموع غفيرة، تعدّ بعشرات الآلاف من سكان المدينة، ومن الذين جاؤوا من مختلف أنحاء الجزائر.

وقد ترك موت الإمام فراغاً عميقاً في صفوف الحركة الوطنية من جهة، وفي أوساط المصلحين الإسلاميين من جهة أخرى، وبين الجماهير

---

(١) قال الشيخ أحمد حماني رحمه الله تعالى واصفاً طريقة الشيخ في التربية والتعليم: [.... وقد خطط وهو مدرك لخطورة ما هو مقدم عليه، ومقدر كل التقدير لما سيصادفه من عراقيل - بحكمة وحزم - أن يأتي شعبه من أقرب الطرق للنجاح، وأبعدها تأثيراً في النفوس، وأضمنها في الوصول إلى الغاية، هذه الطريقة هي بث التعليم السليم النافع المفيد لإصلاح العقائد وتقويم السلوك، وقبل إعلان الدعوة العامة، لذلك يجب إعداد الأعداء والدعاة، كانت هذه خطة قد رسمها كما كتب بخط يده، إنها خطة بطيئة حقاً ولكنها مضمونة النتيجة. قال: «مضيئاً على ما رسمنا من خطة وصمدنا إلى ما قصدنا من غاية وقضيناها عشر سنوات في الدرس، لتكوين نشء علمي لم نخلط به غيره من عمل آخر، فلما كملت العشر، وظهرت - بحمد الله - نتيجتها، رأينا واجباً علينا أن نقوم بالدعوة العامة إلى الإسلام الخالص والعلم الصحيح، إلى الكتاب والسنة وهدي صالح سلف الأمة، وطرح البدع والضلالات ومفاسد العادات»....]. اهـ انظر صراع بين السنة والبدعة: (١/٥٨، ٨٩)، وذكر رحمه الله تعالى أنه نقل مقال الإمام ابن باديس من جريدة السنة المشار إليها آنفاً.

الإسلامية الثالثة، التي كانت تنظر إليه على أنّه الزعيم المخلص، والوطني الغيور على دينه وشعبه ووطنه.

وقد ظلّ علماء الجزائر بعد وفاة زعيمهم يحاولون تجميع الشمل، وملء الفراغ الذي تركه الشيخ رحمه الله تعالى في قيادة الجمعية، بتوجيهها على الخط الذي سارت عليه خلال حياته، من أجل تعميق فكرة الإصلاح على المنهج نفسه، في أوساط كل الجماهير الجزائرية<sup>(١)</sup>.

### ثناء العلماء وطلبة العلم على الشيخ ابن باديس:

ما من شك أنّ الشيخ ابن باديس - رحمه الله تعالى - قد نال شهرة كبيرة في الأوساط العلمية والدعوية، ممّا جعل الكثير منهم - وإن كان مخالفاً له في المنهج والعقيدة - يبدي إعجابه بالشيخ، والتنويه بجهوده العظيمة في دعوة الجزائريين إلى العودة إلى دين الله تعالى، المتمثل في: القرآن، والسنة بفهم السلف الصالح.

قال شيخه الشيخ محمّد الطاهر بن عاشور - رحمه الله -: «العالم الفاضل، نبغة العلم والمجادة، وقريع التحرير والإجادة، ابننا الذي أفخر ببنوّته إلينا الشيخ سيدي عبد الحميد بن باديس».

وقال الشيخ محمّد الصادق النيفر - رحمه الله -: «الابن الروحي،

(١) راجع الترجمة: ١ - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، للأستاذ بو الصمصاف عبد الكريم، ٢ - صراع بين السنة والبدعة، للشيخ أحمد حماني رحمه الله تعالى، ٣ - عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، للأستاذ الدكتور عمار الطالبي، ٤ - عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، للأستاذ مازن صلاح مطبقاني، ٥ - عبد الحميد بن باديس رحمه الله وجهوده التربوية، للأستاذ مصطفى محمد حميداتو، ٦ - نبذة مختصرة عن العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى، أعدها الشيخ الفاضل أبو عبد الرحمن محمود الجزائري. ٧ - أعلام الجزائر لعادل نويّهض.

والأخ النصوصي، العلامة، المدقق، ومن هو بكل فضيلة متصف ومتعلق، عمدة المغرب الأوسط، والصاعقة على الدجاجة والطراريس، الأستاذ سيدي عبد الحميد بن باديس، أتشفه الله بكل فضيلة، وأزاح بعلومه وتحريراته كل رذيلة.

وقال الشيخ شعيب التلمساني - رحمه الله -: «الجهبذ، الإمام، وأحد الأئمة الأعلام، والمُحرر المجيد، ذو الخلق السني الحميد، أنيس كل جليس، الشيخ سيدي عبد الحميد بن باديس».

وقال المحدث المسند، الرحالة الشيخ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر السوداني: «الشيخ، الإمام الهمام، عالم الديار القسنطينية، الإيوان النفيس، السيد عبد الحميد بن باديس».

وقال الشيخ مبارك الميلي - رحمه الله -: «الأستاذ العظيم، والمرشد الحكيم، عُدتنا العلمية، وعمدتنا الإصلاحية».

وقال الشيخ العلامة الطيّب العقبي - رحمه الله -: «المصلح الفذ، والعلامة الذي ما أنجبت الجزائر - منذ أحقاب - مثله إلا قليلاً»<sup>(١)</sup>.

فهذه شهادة بعض أهل العلم، ممّن عايش الشيخ ابن باديس عن قرب، وعرف مقدار علمه، وجهوده في الدعوة إلى الله - تعالى -.

وأما الشواهد الدالة على سلفية الشيخ ابن باديس فكثيرة أيضاً، منها: كتابه العقائد الإسلامية، الذي هو أصل للشرح الذي بين أيدينا، وقد مرّ معنا الإشارة إلى هذا من قبل.

ومنها كلام لبعض أهل العلم وطلبته:

١ - قال الشيخ العلامة الأديب محمّد البشير الإبراهيمي - رحمه

(١) راجع هذه الأقوال رسالة الشيخ الفاضل أبي عبد الرحمن محمود الجزائري - وفقه الله - : (ص: ٢٧ - ٢٩).

الله تعالى -: «والإمام عليه السلام، كان منذ طلبه للعلم بتونس قبل ذلك - وهو في مقتبل الشباب - ينكر بذوقه ما كان عليه مشايخه من تربية تلامذتهم على طريقة المتكلمين في العقائد الإسلامية، ويتمنى أن يخرج تلامذته على الطريقة القرآنية السلفية في العقائد يوم يصبح معلماً، وقد بلغه الله أمنيته، فأخرج للأمة الجزائرية أجيالاً على هذه الطريقة السلفية»<sup>(١)</sup>.

٢ - وقال الشيخ علي حسن عبد الحميد الحلبي - وفقه الله تعالى - في تعليقه على مقالات في الدعوة والداعية للعلامة ابن باديس: «ومؤلف هذا الكتاب عالم سلفي، وداعية سني، ومجاهد رباني، قضى حياته - ولا نزكي على الله أحداً - في أبواب العلم والدعوة والجهاد، علماً وعملاً، متبوعاً كتاب ربّه سبحانه، ومتأسياً بسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم، ومقتفياً آثار سلف الأمة الهداة، رحمهم الله أجمعين»<sup>(٢)</sup>.

٣ - وقال الشيخ الفاضل أبو عبد الرحمن محمود الجزائري - وفقه الله تعالى -: «كان ابن باديس - رحمه الله تعالى - سلفياً، متبوعاً للأثر، متمسكاً بالسنة، على الطريقة المرضية التي كان عليها السلف الصالح، من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة المجتهدين، وغيرهم من أعلام الهدى ومصابيح الدجى، ممن اقتفى آثارهم واتبع سبيلهم، بعيداً كل البعد عن أهل البدع في العقائد والأعمال وغيرها، لا يعرف التأويل، ولا يخوض فيه»<sup>(٣)</sup>.

بل قال العلامة ابن باديس نفسه: «الواجب على المسلم في كل مكان وزمان أن يعتقد عقداً يتشرب به قلبه، وتسكن له نفسه، وينشرح له صدره، ويلهج به لسانه، وتبنى عليه أعماله، أن دين الله تعالى - من عقائد الإيمان،

(١) مقدمة العقائد الإسلامية: (ص: ١٥).

(٢) الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية: (ص: ٥).

(٣) نبذة مختصرة عن العلامة ابن باديس: (ص: ٣٣).

وقواعد الإسلام، وطرائق الإحسان - إنما هو في القرآن والسنة الصحيحة وعمل السلف الصالح، من الصحابة والتابعين واتباع التابعين، وأن كل من خرج عن هذه الأصول ولم تحظ لديه بالقبول - قولاً كان أو عملاً أو اعتقاداً أو احتمالاً - فإنه باطل من أصله، مردود على صاحبه - كائناً من كان في كل زمان ومكان - فاحفظوها واعملوا بها تهتدوا وترشدوا إن شاء الله تعالى، فقد تظاهرت عليها الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أساطين الملة، من علماء الأمصار، وأئمة الأقطار، وشيوخ الزهد الأخيار، وهي لعمر الحق، لا يقبلها إلا أهل النين والإيمان، ولا يردّها إلا أهل الزيغ والبهتان»<sup>(١)</sup>.

ومن عجائب الزمان، ومضحكات الدهر، أن بعض السفهاء، من الذين سلكوا سبيل الطعن في العلماء للظهور، استكثر على الشيخ ابن باديس - رحمه الله - أن يكون سلفياً، بسبب بعض الأخطاء التي وقع فيها، وكأنّ السلفي عند هؤلاء القوم لا بد أن يكون في مصاف الملائكة، لا تصدر منه هفوة ولا كبوة.

وأما العلماء الربانيون، وطلبة العلم الموفقون، فإنهم يحاولون جهدهم التماس الأعذار لأهل العلم، الذين عرفوا بتمسكهم بكتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ بفهم خير القرون.

فهذا العالم الرباني، وشيخ الإسلام الثاني، ابن القيم - رحمه الله تعالى - قد اعتذر لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي الحنبلي، رغم كونه قد جنح إلى بعض الأوهام والشطحات بسبب مشربه الصوفي، إلا أنّه كان على العقيدة الصافية، التي كان عليها إمام أهل السنة أحمد بن حنبل الشيباني.

قال ابن القيم في شطحات الهروي: «ترجى مغفرتها بكثرة الحسنات، ويستغفرها كمال الصدق، وصحة المعاملة، وقوة الإخلاص، وتجريد التوحيد، ولم تضمن العصمة لبشر بعد رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

بل نقل عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية قوله في الهروي: «عمله خير من علمه»، ثم قال ابن القيم: «وصدق رحمه الله، فسيرته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد أهل البدع، لا يشق له فيها غبار، وله المقامات المشهورة في نصرة الله ورسوله، وأبي الله أن يكسو ثوب العصمة لغير الصادق المصدق، الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

فهذا هو المنهج، وهذه هي الطريقة الشرعية في التعامل مع الأخطاء والمزالق، فلا نجامل أحداً بالسكوت عليها، وفي الوقت نفسه لا ننس الأدب، والإنصاف، والعدل، والتماس العذر، وبخاصة من عرف عنه صحة الإيمان، والذب عن السنة، وحب الحق، كالشيخ الإمام العلامة عبد الحميد بن باديس - رحمه الله -.

وما أجمل أن ندعو للشيخ ابن باديس بمثل ما دعا ابن القيم للهروي، فنقول: «الله يشكر للشيخ ابن باديس سعيه، ويعلي درجته، ويجزيه أفضل جزائه، ويجمع بيننا وبينه في محلّ كرامته»<sup>(٣)</sup>.

(١) مدارج السالكين: (٣٩/٢).

(٢) المرجع نفسه: (٣٩٤/٣).

(٣) المرجع نفسه: (٥٢/٢). وللأمانة العلمية، أودّ أن أنبه أنّ هذا المبحث، أعني مبحث ثناء العلماء على الشيخ ابن باديس لم يطلع عليه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط - رحمه الله تعالى -، وذلك أنني وقفت على الطعن في الشيخ ابن باديس من بعض السفهاء بعد أن قرأ الشيخ كتابي هذا.

## التعريف بكتاب العقائد الإسلامية:

قال الشيخ الإمام العلامة محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى:

«هذه عدّة دروس دينية، ممّا كان يلقيها أخونا الإمام المبرور الشيخ عبد الحميد بن باديس، إمام النهضة الدينية والعربية والسياسية في الجزائر غير مدافع، على تلاميذه في الجامع الأخضر بمدينة قسنطينة، في أصول العقائد الإسلامية وأدلتها من القرآن، على الطريقة السلفية، التي اتّخذتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منهاجاً لها بعد ذلك، وبنّت عليها جميع مبادئها ومناهجها في الإصلاح الديني، مسترشدة بتلك الأصول التي كان الإمام رحمه الله يأخذ بها تلاميذه قبل تأسيس الجمعية... وكان يمهد في نفوس تلاميذه والمستمعين لدروسه، ليكونوا في يوم ما قادتها وأعوانها، وحاملي ألويتها، ومنفذي مبادئها، وناشري الطريقة السلفية الشاملة، في العلم والعمل وسائر فروع الإصلاح الديني، كان الإمام المبرور يصرف تلامذته من جميع الطبقات على تلك الطريقة السلفية...»

والإمام رحمه الله، كان منذ طلبه للعلم بتونس قبل ذلك - وهو في مقتبل الشباب -، ينكر بذوقه ما كان يبني عليه مشايخه من تربية تلامذتهم على طريقة المتكلمين في العقائد الإسلامية، ويتمنى أن يخرج تلامذته على الطريقة القرآنية السلفية في العقائد يوم يصبح معلماً، وقد بلغه الله أمنيته، فأخرج للأمة الجزائرية أجيالاً على هذه الطريقة السلفية...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال تلميذه الأستاذ محمد الصالح رمضان وفقه الله تعالى:

«... وكان صوت إمامنا ما يزال يرن في أذني حين إملأ هذه الدروس بالجامع الأخضر، وقد حذا فيها الإمام حذو السلفية الرشيدة، من اعتماد كتاب الله والصحيح من سنة رسول الله ﷺ، قبل تفسيرات المذاهب

(١) مقدمة العقائد الإسلامية: (ص: ١٤، ١٥).

المختلفة، وتأويلات أصحابها في مرحلة الاختلاط، والاستشهاد بما عند الأقدمين من أصحاب الأديان والفلسفات والمذاهب الأخرى... مما أثار البلبلة والحيرة، وتشعب الآراء وانبهام الحقيقة أمام الدارس.

وكان ذلك مما دعا المصلحين إلى ضرورة العودة إلى إصلاح العقائد الإسلامية، وشرح المصطلحات، وحل القضايا على نمط سلفي واضح، بصريح نص الكتاب والسنة الصحيحة، لا برأي الجبرية والقدرية وغير ذلك من الآراء الفلسفية.

فخير طريقة في تعليم العقائد في التوحيد هي طريقة الشارع الحكيم، المبنية على مراعاة الفطر الإنسانية السليمة، البعيدة عن الأوضاع والتقنيات البشرية، التي تعب الأوائل في وضعها، وأتعبوا الناس في فهمها.

وعلى هذا السنن، وبطريقة واضحة وأبسط، سار الإمام ابن باديس، الذي وضع العقائد على أساس من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة<sup>(١)</sup>. اهـ.

وذكر الأستاذ محمد الصالح السبب الدافع لإعادة طبع العقائد، قائلاً:

«... كما رغب مني بعض الأساتذة والشيخوخ، وفي مقدمتهم رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، أن أعيد طبع العقائد الإسلامية هذه، لحاجة الأجيال الصاعدة إليها، لاختصارها واستيعابها لأصول العقائد الدينية بطريقة سلفية، لا لبس فيها ولا غموض، مستمدة كلها من الكتاب والسنة لا غير، بخلاف كتب التوحيد والعقائد التي تشعب فيها البحث والنظر، واتخذ ألواناً من الفكر الفلسفي، المستمد من الثقافات الأجنبية، والديانات المختلفة، هذا فضلاً عن كتب العقائد للطوائف والفرق الدينية، كالشيعة والخوارج والمرجئة، وعلم الكلام التي توزعت مذاهبه بين الأشاعرة والمعتزلة، وعمّ

(١) المرجع نفسه: (ص: ٩، ١٠).

الجدل والصراع فيه بين المسلمين إلى حدّ التفرق والتمزق والتشتت والتفتت، وألفت المؤلفات التي لا تحصى في التوحيد وعلم الكلام، وصار له أئمة ومذاهب شتى، مثلما وقع في علم الفقه وأصول الدين<sup>(١)</sup>، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أمّا هذه العقائد، فهي مستمدة من كلام الله، والثابت الصحيح من حديث رسول الله ﷺ فقط، لا من كلام فلان أو رأي فلان، وهي الطريقة المثلى في هداية الناس إلى معاني الإسلام والإيمان والإحسان وعقائد الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقضاء والقدّر<sup>(٢)</sup>. اهـ.

فظهر والحمد لله تعالى، أنّ منهج الشيخ رحمه الله تعالى في عرض العقيدة، هو منهج أهل السنة والجماعة، المبني على صريح القرآن وصحيح السنة، فإنّها أعظم مزية امتاز بها أهل الأثر على أهل الأهواء والفرقة، لذلك كان منهج أهل السنة والأثر والحديث في فهم العقيدة هو المنهج الصحيح، الذي يجب تقديمه للأمة الإسلامية اليوم، لكي تصبح بحق أمة مسلمة تستحق نصر الله تعالى.

قال العلامة محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى: «... يجب الرجوع في طريق الاستدلال على العقيدة إلى طريقة القرآن...»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

وقد عرض الشيخ عبد الحميد المسائل العقدية بأسلوب سهل مُيسّر، لا يكاد يخفى معناه على أحد، وقد اشتملت على أغلب المسائل التي خالف فيها أهل السنة أهل البدع وتميّزوا بها، وذلك شأن مختصرات التوحيد عند أهل السنة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ومن شأن

(١) لعلّ المقصود: علم أصول الفقه.

(٢) مقدمة العقائد: (ص: ١٢، ١٣).

(٣) آثار محمد البشير الإبراهيمي: (١/٥٢).

المصنّفين في العقائد المختصرة على مذهب أهل السنة والجماعة، أن يذكروا ما تميّز به أهل السنة والجماعة عن الكفار والمبتدعين...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

هذا، والمتبع لكتاب العقائد، يجده عبارة عن شرح حديث جبريل في مراتب الإسلام، فقد تعرض فيه لتفسير هذه المراتب الثلاث.

ونتائج هذا الطريق السديد الذي سلكه إمامنا رحمه الله تعالى بتوفيق الله تعالى له، اتّفاقه مع علماء السلف أهل الحديث، فكلامهم في شتى أبواب الاعتقاد واحد، لا يختلف في كل عصر ومصر، وهذا ممّا يؤكد أنهم هم أهل الحق وعلى الحق، والحق واحد لا يختلف، وذلك يجعلهم أحق الناس بوصف الفرقة الناجية والطائفة المنصورة.

(١) شرح العقيدة الأصفهانية: (ص: ٣١).

## تقديم بقلم فضيلة العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى

الحمد لله حقّ حمده، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله وعبدّه،  
وعلى آله وأصحابه الجارين على سنته من بعده.

هذه عدة دروس دينية، ممّا كان يلقيه أخونا المبرور الشيخ عبد  
الحميد بن باديس - إمام النهضة الدينية والعربية والسياسية في الجزائر غير  
مدافع - على تلامذته في الجامع الأخضر بمدينة قسنطينة في أصول العقائد  
الإسلامية وأدلتها من القرآن، على الطريقة السلفية التي اتخذتها جمعية  
العلماء المسلمين الجزائريين منهاجاً لها بعد ذلك، وبنت عليها جميع  
مبادئها ومناهجها في الإصلاح الديني، مسترشدة بتلك الأصول التي كان  
الإمام رحمه الله يأخذ بها تلامذته قبل تأسيس الجمعية، وإن كانت الجمعية  
قد توسعت في ذلك.

فالفكرة التي بنى عليها الإمام دروسه وأماله<sup>(١)</sup> كانت تصحبها فكرة  
أخرى أشمل منها، وهي فكرة جمعية العلماء. فالفكرتان كانتا مختزنتين في  
تلك النفس الكبيرة، وكان رحمه الله يديرهما بذلك النظر البعيد، ويهييء  
لهما من الوسائل ما يبرزهما في الحين المقدر لهما.

(١) أماليه: كتاباته راجع تهذيب اللغة للأزهري باب (مل) (أملّ عليه شيئاً يكتبه وأملّى عليه)

وكان يمهّد في نفوس تلامذته والمستمعين لدروسه ليكونوا في يوم ما قادتها وأعوانها، وحاملي ألويتها ومنفذي مبادئها، وناشري الطريقة السلفية الشاملة في العلم والعمل وسائر فروع الإصلاح الديني.

كان الإمام المبرور يصرف تلامذته من جميع الطبقات على تلك الطريقة السلفية، ومعلوم أنّ الإصلاح الإسلامي الذي قامت به جمعية العلماء بعد ذلك لا تقوم إلّا على ذلك، وأنّ هذا الإمام رفع قواعده وثبّت أصوله وهيّا له جيشاً من تلامذته وحاضري دروسه.

والإمام رحمه الله كان منذ طلبه للعلم بتونس قبل ذلك - وهو في مقتبل الشباب - ينكر بذوقه ما كان يبني عليه مشايخه من تربية تلامذتهم على طريقة المتكلمين في العقائد الإسلامية، ويتمنى أن يخرج تلامذته على الطريقة القرآنية السلفية في العقائد يوم يصبح معلماً، وقد بلغه الله أمنيته، فأخرج للأمة الجزائرية أجيالاً على هذه الطريقة السلفية قاموا بحمل الأمانة من بعده، ووراءهم أجيال أخرى من العوام الذين سعدوا بحضور دروسه ومجالسه العلمية.

وقد تربت هذه الأجيال على هداية القرآن، فهجرت ضلال العقائد وبدع العبادات، فظهرت نفوسها من بقايا الجاهلية التي هي من آثار الطرائق القديمة في التعليم، وقضت الطريقة القرآنية على العادات والتقاليد المستحكمة في النفوس، وأنت على سلطانها.

وقد راجت هذه الطريقة وشاعت حتى بين العوام، وإن كانوا لا يحسنون الاستدلال بالقرآن، وإن كان الاستعداد الكامن في الأمة للإصلاح الديني، وكثرة حفاظ القرآن فيها أعانا على تثبيت هذا الميل القرآني فيها، فأصبح العامي لا يقبل من العالم كلاماً في الدين إلّا إذا استدل عليه بآية قرآنية، وأصبح العامي إذا سمع الاستدلال بالقرآن أو الحديث اهتز وشاعت في شمائله علامة الاقتناع والقبول، وهذه أمانة دالة على عودة سلطان

القرآن على النفوس يُرجى منها كل خير.

ختم الإمام ابن باديس القرآن كله درساً على هذه الطريقة في خمس وعشرين سنة، ولو أنه رزق تلامذة حراًصاً على تلقف كل ما يقوله وينزل عليه الآيات من المعاني، لوصل إلى الأمة كثير.

كما وصلت هذه الأمالي بعناية الأستاذ الموفق محمد الصالح رمضان القنطري، فإنه تلقى هذه الدروس ونقلها من إلقاء الإمام، واستأذنه في التعليق عليها ونشرها للانتفاع بها، فجزاه الله خير الجزاء.

لم ينقل لنا تاريخ العلماء بهذا الوطن أن عالماً ختم تفسير القرآن كله درساً إلا ما جاء فيه عن الشريف التلمساني أنه ختم تفسير القرآن كله في المائة التاسعة، والشريف حقيق بذلك، ولكن لم ينقل لنا منه شيء، لأن تلامذته كانوا في التقصير كتلامذة ابن باديس، ولو كانوا على درجة من الحرص والاحتياط، لوصل إلينا شيء من ذلك.

وقد كتب الإمام ابن باديس بقلمه البليغ (مجالس التذكير)، وهي تفسير لآيات ولأحاديث جامعة كانت تعرض له في تفسير القرآن أو في شرح (الموطأ) التي أقرأها درساً حتى النهاية، ونشرها في مجلة (الشهاب)، ثم فرس سورتي المعوذتين يوم الختم تفسيراً عجيباً، ونقلها من إلقائه كاتب هذه السطور نقلاً مستوعباً، بحيث لم تفلت منه كلمة، ونشره في عدد خاص من مجلة (الشهاب)، وقدم له كاتب هذه السطور أيضاً.

وهذا درس من دروسه ينشره اليوم في أصل العقيدة الإسلامية بدلائلها من الكتاب والسنة تلميذه الصالح كاسمه محمد الصالح رمضان، فجاءت عقيدة مثلى يتعلمها الطالب فيأتي منه مسلم سلفي، موحد لربه بدلائل القرآن، كأحسن ما يكون المسلم النقي، ويستدل على ما يعتقد في ربه بآية من كلام ربه، لا بقول السنوسي في عقيدته الصغرى: «أمّا برهان وجوده تعالى فحدوث العالم»!

كان علماء السلف يرجعون في كل شأن من شؤون الدين إلى القرآن، بل كان خلقهم كما كان النبي ﷺ، وكما ثبت في حديث عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن، يرضى لرضاه ويغضب لغضبه» (\*).

وكانوا يحكمون القرآن في كل شيء، حتى في الخطرات العارضة والسرائر الخفية، حتى تمكن سلطانه من نفوسهم وأصبحت لا تتحرك ولا تسكن إلا بأمره ونهيه، وأصبحوا يقودون حتى الخلفاء والأمراء بذلك السلطان، وذلك هو السر في علو كلمة الإسلام وسرعة انتشاره في المشرق والمغرب.

فلما تفرقت المذاهب الفقهية ونشأ علم الكلام، وتفرقت منازعه بين الأشاعرة والمعتزلة، وطما<sup>(١)</sup> علم الجدل، وتفرق المسلمون شيعاً، حتى أصبح كل رأي في علم الكلام أو الفقه يتحزب له جماعة، فيصبح مذهباً فقهياً أو كلامياً يلتف حوله جماعة ويجادلون. فضعف سلطان القرآن على النفوس، وأصبح العلماء لا يلتزمون في الاستدلال بآياته ولا ينتزعون الأحكام منها إلا قليلاً، فعلماء الكلام صاروا يستدلون بالعقل، والفقهاء أصبحوا يستدلون بكلام أئمتهم أو قدماء أتباعهم!

ومن هنا نشأ علم الكلام، وعلم الفقه. وعلى هذه الطريقة ألفت المؤلفات التي لا تحصي في العالمين، وانتشرت في الأمة وطارت كل مطار.

أمّا أئمة الفقه ومؤلفاتهم فلا يحصون كثرة، وأمّا أئمة الكلام، فالذي توسع في الطريقة العقلية ووسع دائرتها فهم جماعة معروفون، كفخر

(\*) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٠٨) وأحمد في المسند: (٢٤٦٤٥ - ٢٥٣٤١) والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٢٧) وصححه الألباني.

(١) والأصح طم أي كثر وعلا ومنه جاء السيل فطم على كل شيء أي: علاه راجع تهذيب اللغة للأزهري ج ١٣ ط/ إحياء التراث الغربي.

الرازي، والقاضي أبي بكر بن الطيب، وأبي بكر الباقلاني، والبيضاوي، وإمام الحرمين، وسعد الدين التفتازاني، والقاضي عضد الدين الإيجي، وهؤلاء هم الذين ثبتوا القواعد الكلامية والاستدلال على التوحيد بالعقل. ومؤلفاتهم ما زالت إلى يومنا هذا مرجعاً للمتمسكين بهذه الطريقة، وإن كانت لا تدرس في المدارس إلا قليلاً، وكلها جارية على الأصول التي أصَّلها أبو الحسن الأشعري رحمته الله (\*). وآراؤه هي التي يقلدها جمهرة المسلمين، وهذا كله في الشرق الإسلامي.

وأما مغربنا هذا مع الأندلس فلم يتسع فيه الكلام إلى هذا الحد وإن كانوا يدرسون على هذه الطريقة ويقلدونه، ويدينون باتباع رأي الأشعري ولم يؤلفوا فيه كتاباً ذا بال إلا الإمام محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، فإنه ألف فيه على طريقة المشاركة عدة كتب شاعت وانتشرت في الشرق والغرب، وقررت في أكبر المعاهد الإسلامية كالأزهر.

حتى جاءت دروس الإمام ابن باديس فأحيا بها طريق السلف في دروسه - ومنها هذه الدروس - وأكملتها جمعية العلماء.

فمن مبادئها التي عملت لها بالفعل لزوم الرجوع إلى القرآن في كل شيء لا سيما ما يتعلق بتوحيد الله، فإنَّ الطريقة المثلى هي الاستدلال على وجود الله وصفاته وما يرجع إلى الغيبات لا يكون إلا بالقرآن، لأنَّ المؤمن إذا استند في توحيد الله وإثبات ما ثبت له ونفي ما انتفى عنه لا يكون إلا بآية قرآنية محكمة، فالمؤمن إذا سولت له نفسه المخالفة في شأن من أمور الآخرة، أو صفات الله، فإنَّها لا تسول له مخالفة القرآن.

وقد سلك علماء جمعية العلماء في دروسهم الدينية كلها، وخطبهم

---

(\*) وذلك قبل أن يرجع إلى عقيدة السلف التي مات عليها، وكتابه الإبانة وغيره شاهد على ذلك.

الْجُمُعِيَّة طَرِيقَةُ الْإِمَامِ ابْنِ بَادِيسَ، فَرَجَعَ سُلْطَانُ الْقُرْآنِ عَلَى النُّفُوسِ.

فَجَزَى اللَّهُ أَخَانَا ابْنَ بَادِيسَ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرَ الْجَزَاءِ، فَإِنَّ مِنْ أَحْيَا الْقُرْآنِ فَقَدْ أَحْيَا الدِّينَ كُلَّهُ. وَجَزَى اللَّهُ إِخْوَانَهُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا طَرِيقَتَهُ تَوْفِيقًا لِلْعَمَلِ يَسَاوِي تَوْفِيقَهُمْ فِي الْعِلْمِ. وَجَزَى اللَّهُ تَلَامِذَتَهُ الَّذِينَ قَامُوا بِحَمْلِ الْأَمَانَةِ مِنْ بَعْدِهِ.

وَهَذِهِ دُرُوسٌ مِنْ دُرُوسِهِ يَنْشُرُهَا الْيَوْمَ فِي أَصْلِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِدَلَالَتِهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ رَمَضَانَ، أَحَدَ طُلَابِهِ، فَجَاءَتْ عَقِيدَةُ مِثْلَى يَتَعَلَّمُهَا الطَّالِبُ فَيَأْتِي مِنْهُ مُسْلِمٌ سَلَفِي مُوَحَّدٌ لِرَبِّهِ بِدَلَالِ الْقُرْآنِ، كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ الْمُسْلِمُ السَّلَفِي، وَيَسْتَدِلُّ عَلَى مَا يَعْتَقِدُ فِي رَبِّهِ بِآيَةٍ مِنْ كَلَامِ رَبِّهِ.

فَنَحْثُ الْقَائِمِينَ عَلَى تَعْلِيمِ نَاشِئَتِنَا فِي الْمَدَارِسِ الْحُرَّةِ أَوْ الْحُكُومِيَّةِ فِي الْجَزَائِرِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ، عَلَى اتِّخَاذِهَا أُسَاسًا فِي تَرْبَتِهِمْ عَلَى التَّوْحِيدِ الصَّحِيحِ، بَلْ نَحْثُ كُلَّ أَبٍ مُسْلِمٍ أَنْ يَقْتَنِيَهَا لِأَوْلَادِهِ، وَيَحْثُمُ عَلَى تَعْلَمِهَا وَتَفْهَمِهَا، وَأَنْ يَشْتَرِكَ أَهْلَ الْبَيْتِ كُلَّهُمْ فِي ذَلِكَ فَكُلُّهُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهَا.

وَفَقْنَا اللَّهَ جَمِيعًا لِاتِّبَاعِ كِتَابِهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، وَالرَّجُوعِ إِلَيْهِمَا، وَإِلَى هَدْيِ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي تَبْيِينِ مَعَانِيهِمَا.

محمد البشير الإبراهيمي

## افتتاح

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

أما بعد، فإنّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار<sup>(١)</sup>.

---

(١) قال الأستاذ محمد الصالح رمضان عند هذا الموضع من روايته: «هذا ما حفظناه من أستاذنا الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، وقد كان يفتح به دروس التفسير العمومية كلّ ليلة طيلة السنوات التي قرأناها عليه، رحمه الله ورضي عنه» اهـ. مقدمة العقائد: (ص: ٢١).

وقد سبقت الإشارة إلى هذه الخطبة النبوية، وانظر أخي حرص الإمام عبد الحميد بن باديس على تعليم تلاميذه هذه الخطبة المباركة، وذلك طوال السنوات التي قضاها في تربيتهم وتعليمهم، فجزاه الله خيراً عن حرصه على تعليم السنة.

إلا أنني أريد أن أنبه على أنّ قوله: «نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، وقوله: «نشهد أنّ محمداً عبده ورسوله»، تصرف من المصنف رحمه الله تعالى، وليس من قول النبي ﷺ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: [والأحاديث كلّها متفقة على أنّ «نستعينه»، و«نستغفره»، و«نعوذ به» بالنون، والشهادتين بالإنفراد، «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله»... اهـ نقلها عنه تلميذه ابن القيم رحمه الله تعالى في تهذيب السنن: (٣/ ٥٤)، وانظر خطبة الحاجة للشيخ الألباني: (ص: ١٠).

## قواعد الإسلام

### بيان قواعد الإسلام الخمس من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

[١] قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»، رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

[١] مراد المصنف رحمه الله تعالى من هذا الفصل أن «هذه الأركان بعد الشهادتين والتي بني عليها الإسلام، هي دعائمه العظام التي يقوم عليها، وبذهاب

(١) (٣٤/١، ٣٥ نووي) (١٦)، والبخاري: (٨)، (٤٠١٤)، والترمذي: (١١٩/٤)، والنسائي: (١٠٧/٨)، وأحمد: (٢٦/٢، ٩٢، ١٢٠، ١٤٣)، وغيرهم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وأخرجه عبد الرزاق في المصنف: (٩٢٧٩) بلفظ: «إن الإسلام بني على أربع دعائم: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، لا يفرق بينهما، وصيام رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً، وأن الجهاد صدقة من العمل الصالح».

وله شاهدان من حديث ابن عباس، وجريير بن عبد الله رضي الله عنهما، انظر هما في إرواء الغليل للعلامة الألباني رحمه الله تعالى: (١١٣/١)، (٢٤٩/٣).

وتخريج الحديث ذكره في (ح) ولم يذكره في (ص).

تنبيه: أخرج حديث ابن عباس الإمام الطبراني في الكبير: (١٢٨٠٠)، والإمام ابن عبد البر في الاستذكار: (١٣٨٤)، وجاء في آخره بعد ذكر مباني الإسلام قوله: «... فمن ترك واحدة منهن، كان كافراً حلال الدم...».

واحد منها جحوداً يذهب إسلام المرء، ومعلوم أن هناك واجبات أخرى يلزم المكلف القيام بها سوى هذه الأركان بينها الكتاب والسنة<sup>(١)</sup>.  
والدليل على هذا، الآثار الصحيحة في هذا المعنى من زيادات قواعد الإيمان بعضها بعد بعض.

فمن الأربع، حديث ابن عباس رضي الله عنه في قدوم وفد عبد القيس إلى النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، ومن الخمس حديث ابن عمر رضي الله عنه الذي ذكره المصنف رحمه الله تعالى، ومن التسع حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن للإسلام ضوئاً ومنازاً كمنار الطريق، منها أن تؤمن بالله، ولا تشرك به شيئاً، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن تسلم على القوم إذا مررت بهم، فمن ترك من ذلك شيئاً، فقد ترك سهماً من الإسلام، ومن تركهن فقد ولّى الإسلام ظهره»<sup>(٣)</sup>.

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «... والحديث فيه نقص وزيادة، أما النقص فهو أنه لم يذكر الزكاة والحج، وليس ذلك من سقط النسخ، فقد ذكر الحديث هكذا غير واحد من الحفاظ، منهم السيوطي في الجامع الكبير... وأما الزيادة ففي قوله: «فمن ترك واحدة منهم كان كافراً حلال الدم»، فهذه زيادة منكرة، لتفرد هذا الضعيف - وهو عمرو بن مالك أبو مالك النكري - بها، وعدم ورودها في شيء من طرق الأحاديث المتقدمة الصحيحة». انتهى، انظر إرواء الغليل: رقم (٧٨١).

(١) كتاب الإيمان للإمام ابن منده رحمه الله تعالى: (١/...)، وانظر جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: (١/١٤٥).

(٢) انظر تخريجه: (ص: ٧١).

(٣) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الإيمان: (ص: ١٤)، والحاكم: (٢١/١) وصحح ووافقه الذهبي وصحح الألباني في تخريج كتاب الإيمان لأبي عبيد.

وقال أبو عبيد في كتاب الإيمان: (ص: ١٤): «صوى: هي ما غلظ وارتفع من الأرض واحدها صوة». وقد ذكر الألباني رحمه الله تعالى أن صاحب لسان العرب حكاه عن الأصمعي، وذكر عن أبي عمرو أنه قال: «الصوى: أعلام من حجارة منصوبة =

وهذه الأحاديث ليست متناقضة لاختلاف العدد فيها، «فهي بحمد الله ورحمته بعيدة عن التناقض، وإنما وجوها نزول الفرائض بالإيمان متفرقاً، فكلما نزلت واحدة ألحق رسول الله ﷺ عددها بالإيمان، ثم كلما جدد الله له منها أخرى زادها في العدد، حتى جاوز ذلك السبعين كلمة، كذلك في الحديث المثبت عنه أنه قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة...»<sup>(١)</sup>، وإن كان زائداً في العدد فليس هو بخلاف ما قبله، وإنما تلك دعائم وأصول وهذه فروعها زائدات في شعب الإيمان من غير تلك الدعائم...»<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا فليس «لأحد أن يقول ليس الإسلام إلا ما في حديث فلان دون غيره من الأحاديث، حتى يقربها كلها، وكذلك الإيمان لم يأت مفسراً بكماله في آية، ولا آيتين، ولا حديث، ولا حديثين، وكذلك الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، لم يأت شيء من ذلك بكماله في آية ولا آيتين، ولا حديث ولا حديثين...»<sup>(٣)</sup>.

= في الفيافي، والمفازة المجهولة يستدل بها على الطريق وعلى طرفيها. ثم قال صاحب اللسان: «قال أبو عبيد: وقول أبي عمرو أعجب إلي، وهو أشبه بمعنى الحديث». انظر تعليقه رحمه الله تعالى على كتاب الإيمان لأبي عبيد: (ص: ١٤)، وانظر لسان العرب (٤٧١/١٤).

(١) انظر تخريجه لاحقاً. وهذا آخر ما وصف به رسول الله ﷺ الإيمان؛ لأن العدد إنما تناهى به، وبه كملت خصاله، والمصدق له قول الله تبارك وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. انظر الإيمان لأبي عبيد: (ص: ١٥).

(٢) الإيمان لأبي عبيد: (ص: ١٥).

(٣) كتاب الصلاة للإمام المروزي رحمه الله تعالى: (ص: ١٣٦).

## الكلام على القاعدة الأولى وما يتعلق بها

[٢] لا نجاة لأحد عند الله تعالى إلا بالدخول في الإسلام، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

[٢] بعدما ذكر المصنف رحمه الله تعالى حديث ابن عمر رضي الله عنهما وما اشتمل عليه من بيان قواعد الإسلام، بدأ في الكلام على القاعدة الأولى وما يتعلق بها من مسائل.

فمما يجب اعتقاده - بلا ريب ولا شك - أنه لا خلاص للعباد إلا بالدخول في دين الله الحق وهو الإسلام، وأن غيره من الديانات الباطلة، والنحل المنحرفة، من نصرانية ويهودية ووثنية صاحبها غير ناج.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان غلام يهودي يخدم رسول الله ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار»<sup>(١)</sup>.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ يَوْمَ مِنَ الْأَحْزَابِ فَأَلْثَمَ الثَّانِي مَوْعِدُهُ﴾

(١) أخرج البخاري: (١٣٥٦)، (٥٦٥٧)، والبغوي في شرح السنة: (٥٧)، وأبو داود: (٣٠٩٥) بلفظ: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار».

[هود: ١٧]، فعن سعيد بن جبير وقتادة رحمهما الله تعالى أن الهاء راجع إلى اليهود والنصارى<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي: (١٢٤١/٦)، وتفسير ابن جرير: (٢٠٠١٩/١٢).

وهكذا سائر أهل الأرض، مشركهم وكافرهم وأهل الكتاب وغيرهم من سائر طوائف بني آدم على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم. وانظر إن شئت تفسير ابن كثير: (٢/٤٠٠).

[٣] الإسلام هو دين الله الذي أرسل به جميع رسله، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ  
الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَسْلَمُوا﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا  
وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]،  
ولقوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤]، ولقوله  
تعالى: ﴿وَقَالُوا<sup>(١)</sup> لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ  
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١ - ١١٢].

[٣] مراد المصنف رحمه الله تعالى بالإسلام هنا الانقياد وإخلاص الدين لله  
تبارك وتعالى، وسيذكر هذا المعنى قريباً، وهذا حق لا ريب فيه؛ فإن جميع  
الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام مسلمون لله تعالى وإن اختلفت شرائعهم  
ومناهجهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «أنا أولى الناس بعيسى بن  
مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»<sup>(٢)</sup>.

ولذلك قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: «ودين الله في الأرض

(١) في (ح) ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ﴾، إلى آخر الآية.

(٢) أخرجه البخاري: (٣٤٤٣)، ومسلم في الفضائل، باب: فضائل عيسى ﷺ، برقم:  
(٢٣٦٥)، وأحمد: (٣١٩/٢)، والبخاري في شرح السنة: (٣٦١٩).

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: «قوله: أخوة لعلات، ما ذكر في الحديث أن  
أمهاتهم شتى ودينهم واحد، يقال لأخوة بني أب وأم: بنو أعيان، فإن كانوا لأمهات  
شتى فهم بنو العلات، فإن كانوا لأباء شتى فهم أخفاف، يريد: أن أصل دين الأنبياء  
واحد وإن كانت شرائعهم مختلفة، كما أن أولاد العلات أبوهم واحد وإن كانت أمهاتهم  
شتى...» انظر شرح السنة: (٢٠٠/١٣).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «... ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو  
التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع...» فتح الباري: (٥٩٧/٦).

والسّماء واحد، وهو دين الإسلام...»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام ابن أبي العز رحمة الله تعالى:

«فدين الإسلام هو ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده على السنة رسله، وأصول هذا الدين وفروعه موروثه عن الرسل...»<sup>(٢)</sup>.

وقال الله تعالى عن أول الرسل نوح عليه السلام: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي إِيَّائِي فَقُلْ أَلَا تَتُوبُونَ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَنْزِلْكُمْ وَأَنْزِلْكُمْ عَنْ أَكْشَادِكُمْ ثُمَّ أَقْبَضَا إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنَّ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يونس: ٧١ - ٧٣].

وقال عن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣١ - ١٣٢].

وقال عن موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨].

وقال في خبر عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامِنًا وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١].

وقال عن ملكة سبا أنها اتبعت ما كان عليه سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤٤].

وقال فيمن تقدم من الأنبياء: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤].

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٧٨٦/٢).

(٢) المرجع نفسه: (٧٨٧/٢).

فقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهته ﷺ، فمن لقي الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين غير شريعته فليس بمتقبل<sup>(١)</sup>.

(١) انظر تفسير ابن كثير: (١/٣١١).

[٤] وما جاء به محمد ﷺ هو الإسلام الذي لا نجاة لأحد إلا بالدخول فيه؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَّهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

ولقوله تعالى: ﴿إِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ افْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠].

[٤] مراد المصنف رحمه الله بالإسلام هنا المعنى الخاص، وهو الدين الذي بعث به آخر الأنبياء محمد ﷺ.

وإن النجاة في الآخرة تقتضي اتباع الناجي للحق، وما الحق إلا ما جاء به رسول الله ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠].

فلا مطمع لأحد في النجاة إلا بالإيمان برسول الله ﷺ واتباعه، ولا يكفي ولا يصح التدين بما كان عليه موسى أو عيسى أو غيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لكن الإيمان بهم واجب، والاتباع يكون للمصطفى ﷺ.

يشهد لهذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»<sup>(١)</sup>.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

«ليس المنتمون لموسى عليه السلام ولعيسى عليه السلام باتباع لهم، لأن دعوة الأنبياء عليهم السلام واحدة، ودينهم - وهو الإسلام - واحد، وإن اختلفت بعض الفروع العملية في شرائعهم، فمن لم يؤمن بواحد منهم كمن لم يؤمن بهم كلهم، وما كان محمد ﷺ بدعا من الرسل، وما جاء إلا بمثل ما جاؤوا به، وما جاء إلا مصدقاً لهم،

(١) انظر تخريجه: (ص: ٢٦)، وقد مر معنا حديث الغلام اليهودي قريباً.

فالذين لم يتبعوه من المنتمين إليهما ﷺ غير متبعين لهما، فانقطعت تابعيتهما ببعثة محمد ﷺ، فمن آمن به كان من أتباعه وإلا كان من الهالكين<sup>(١)</sup>.

وأهل الكتاب يعرفون أن ما جاء به رسول الله ﷺ، هو دين الله الحق، وأنه لا نجاة إلا بالدخول فيه.

فعن قتادة رحمه الله تعالى في قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍ﴾ [البقرة: ١٤٦]، قال: «يعرفون أن الإسلام دين الله، وأن محمداً رسول الله، مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل»<sup>(٢)</sup>.

«والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا، كما جاء في الحديث، أن رسول الله ﷺ قال لرجل معه صغير: «ابنك هذا قال: نعم يا رسول الله أشهد به، قال: أما أنه لا يخفى عليك ولا تخفى عليه...» وقد يكون المراد: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ من بين أبناء الناس كلهم، لا يشك أحد ولا يمتري في معرفة ابنه إذا رآه من أبناء الناس كلهم»<sup>(٣)</sup>.

وعليه «فكل من لم يؤمن بالنبي ﷺ وبما بعث به فليس بمؤمن، ولا ينفعه قول لا إله إلا الله، فإن بعض اليهود والنصارى يقول لا إله إلا الله، فدل ذلك على أن التوحيد أن يوحد الله بالعبودية، ومن وحده بالعبودية أطاع أمره، واجتنب نهيه، وأتبع ما جاء فيه، وأتبع رسوله، فإن طاعة الرسول من طاعة الله»<sup>(٤)</sup>.

(١) مجالس التذكير من حديث البشير النذير: (ص: ٣٦).

(٢) خلق أفعال العباد للإمام البخاري رحمه الله تعالى: (٣٢٦).

(٣) تفسير ابن كثير: (١/١٦٩)، والحديث لم أجده وقد ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: (١/١٦٩) ولم يعزه لأحد.

(٤) من كلام الإمام يوسف بن حسن بن عبد الهادي رحمه الله تعالى في كتابه: «مسألة في التوحيد وفضل لا إله إلا الله» (ص: ٥٩)، وهو غير الإمام الحافظ محمد بن حمد بن عبد الهادي صاحب «الصارم المنكي في الرد على السبكي».

.....

وذلك أنّ دين الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ «ظاهر غاية الظهور، يمكن كلّ مميّز من صغير وكبير، وفصيح وأعجم، وذكي وبليد أن يدخل فيه بأقصر زمان، وأتّه يقع الخروج منه بأسرع من ذلك، من إنكار كلمة أو تكذيب أو معارضة أو كذب على الله أو ارتياب في قول الله أو ردّ لما أنزل أو شكّ فيما نفى الله عنه الشكّ أو غير ذلك في معناه... فقد دلّ الكتاب والسنة على ظهور دين الإسلام، وسهولة تعلّمه»<sup>(١)</sup>.

وما احتجّ به المصنّف رحمه الله تعالى يدلّ على أنّ الله تبارك وتعالى أمر نبيه ﷺ أن يخبر المشركين وغيرهم بما جاء به، وبما أمر به من إخلاص الدين لله جلّ شأنه، وعبادته وحده لا شريك له، فمن اهتدى واتّبع ما جاء به رسول الله ﷺ يرجى له الفوز والنجاة، ومن خالف فقد غوى، وما على الرسول إلّا البلاغ المبين.

وجدير بالمسلم الذي أسلم وأنعم الله تعالى عليه بالإسلام، أن يتّبع هدي نبيه ﷺ.

يقول العالم الرباني شيخ الإسلام الثاني ابن القيم رحمه الله تعالى:

«وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ، فيجب على كل من نصّح نفسه، وأحبّ نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقلّ ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم...»<sup>(٢)</sup>.

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (٢/٧٨٧).

(٢) زاد المعاد: (١/٦٩ - ٧٠).

[٥] لا يدخل أحد (\*) في الإسلام إلا بالإيمان بالنبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠].

ولقوله تعالى: ﴿قُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِيَّيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ولقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»، رواه مسلم<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة.

[٥] يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

(\*) في (ح) «لا يدخل أحدكم».

(١) في الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته: (١٨٦/٢ نووي)، وأحمد: (٣١٧/٢ - ٣٥٠)، والبخاري في شرح السنة: (٥٦) وابن منده في الإيمان: (١٩٢/٢)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة: (٢٢٠٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى: «وهو صحيح ولم يروه البخاري أصلاً فيما وصل إليه بحثي» انظر المسند بشرحه: (٨٦/١٦)، وقد أصاب رحمه الله نهاية البحث، فلم يخرج البخاري رحمه الله، انظر السلسلة الصحيحة: (١٥٧). وقوله ﷺ: «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة» أي من موجود في زمن وبعدي إلى يوم القيامة... وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهاً على من سواهما... شرح النووي على مسلم (ص/٢٣٧ ط ابن حزم) (ص: ٢٣٧ ط (ابن ندیم)).

«قال عليّ بن أبي طالب، وابن عمّه ابن عباس رضي الله عنهما: «ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث الله محمداً وهو حيّ ليؤمننّ به وينصرنّه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته، لئن بُعث محمداً وهم أحياء، ليؤمننّ به ولينصرنّه...»<sup>(١)</sup>.

وعليه «فمن بلغته رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فلم يقرّ بما جاء به لم يكن مسلماً ولا مؤمناً، بل يكون كافراً وإن زعم أنّه مسلم أو مؤمن، كما ذكروا أنّه لما أنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٨٥) قالت اليهود والنصارى فنحن مسلمون، فأنزل الله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، فقالوا لا نحج، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> [آل عمران: ٩٧].

و«الآيات في هذا كثيرة جداً، كما أنّ الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة، أنّه - صلوات الله وسلامه عليه - رسول الله إلى الناس كلّهم...»<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «...يا أيّها النّاس إنّني رسول الله إليكم جميعاً...»<sup>(٤)</sup>.

يقول العلامة الألباني رحمه الله تعالى معلقاً على حديث الباب:

(١) انظر تفسير ابن كثير: (٣٣٢/١).

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٦٦/٣).

(٣) تفسير ابن كثير: (٢٣٦/٢)، وقال الإمام ابن أبي العزّ رحمه الله تعالى: «كونه صلى الله عليه وسلم مبعوثاً إلى الناس كافة، معلوم من دين الإسلام بالضرورة...» اهـ، شرح العقيدة الطحاوية: (١/١٧٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: قل يا أيّها النّاس إنّني رسول الله إليكم جميعاً...، حديث رقم: (٤٦٤٠) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

«والحديث صريح في أنّ من سمع بالنبي ﷺ وما أرسل به، بلغه ذلك على الوجه الذي أنزله الله عليه، ثم لم يؤمن به ﷺ، أنّ مصيره إلى النار، لا فرق في ذلك، بين يهودي أو نصراني أو مجوسي أو لا ديني.

واعتقادي أنّ كثيراً من الكفار لو أتيح لهم الاطلاع على الأصول والعقائد والعبادات التي جاء بها الإسلام، لسارعوا إلى الدخول فيها أفواجا، كما وقع ذلك في أول الأمر، فليت بعض الدول الإسلامية ترسل إلى بلاد الغرب من يدعو إلى الإسلام ممّن هو على علم به على حقيقته، وعلى معرفة بما ألصق به من الخرافات والبدع والافتراءات، ليحسن عرضه على المدعوين إليه، وذلك يستدعي أن يكون على علم بالكتاب والسنة الصحيحة، ومعرفة ببعض اللغات الأجنبية الرائجة، وهذا شيء عزيز يكاد يكون مفقوداً، فالقضية تتطلب استعدادات هامة، فلعلهم يفعلون»<sup>(١)</sup>.

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى معلقاً على الحديث السابق الذكر:

«فيه دليل على أنّ من في أطراف الأرض وجزائر البحر المنقطعة، ممّن لم تبلغه دعوة الإسلام، ولا أمر النبي ﷺ، أنّ الحرج عنه في عدم الإيمان ساقط، لقوله: «لا يسمع بي»، إذ طريق معرفته والإيمان به عليه الصلاة والسلام مشاهدة معجزته وصدقه آيات حياته، أو صحة النقل بذلك والخبر لمن لم يشاهده أو جاء بعده...»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«والإيمان برسول الله ﷺ يتضمن الإيمان له، وهو قبول ما جاء به من عند الله عنه، والعزم على العمل به، لأنّ تصديقه في أنّه رسول الله إلزام لطاعته،

(١) السلسلة الصحيحة، الجزء الأول، القسم الأول: (١/١/٢٩٢).

(٢) كتاب الإيمان من الإكمال: (١/٦٠٤).

وهو راجع إلى الإيمان بالله والإيمان له، لأنه من تصديق الرسل، وفي طاعة الرسول طاعة المرسل، لأنه بأمره أطاعه، قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾<sup>(١)</sup> [النساء: ٨٠].

فـ «الناس محتاجون إلى الإيمان بالرسول ﷺ، فطاعته في كل زمان ومكان، ليلاً ونهاراً، سراً وحضراً، سرّاً وعلانية، جماعة وفرداً... والله تعالى قد سمّاه سراجاً منيراً، وسمّى الشمس سراجاً وهّاجاً، والناس إلى السراج المنير أحوج منهم إلى السراج الوهّاج، فإنهم يحتاجون إليه ليلاً ونهاراً، سرّاً وعلانية وهو أنفع لهم، فإنه منير ليس فيه أذى، بخلاف الوهّاج فإنه ينفع تارة ويضر أخرى»<sup>(٢)</sup>.

وهو ﷺ «الذي لا سبيل لأحد إلى النجاة إلا بطاعته، ولا يسأل الناس يوم القيامة إلا عن الإيمان به واتباعه وطاعته... وهو الذي فرّق الله به بين أهل الجنة والنار، فمن آمن به وأطاعه كان من أهل الجنة، ومن كذّب وعصاه كان من أهل النار... والوعد بسعادة الدنيا والآخرة، والوعيد بشقاوة الدنيا والآخرة، يتعلق بطاعته، فطاعته هي الصراط المستقيم، وهي جبل الله المتين، وهي العروة الوثقى، وأصحابها هم أولياء الله المتّقون، وحزبه المفلحون، وجنده الغالبون، والمخالفون لهم هم أعداء الله حزب إبليس اللعين...»<sup>(٣)</sup>.

فإلى الذين آمنوا به ﷺ، تقول أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها: «إن أبا بكر رضي الله عنه، قال: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، وإني لأخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ...».

(١) شعب الإيمان: (١/١٥٠).

(٢) الصارم المنكي للإمام العلامة ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى: (ص: ١٢٢).

(٣) المرجع نفسه: (ص: ١٢١).

قال الإمام ابن بطة رحمه الله تعالى معلقاً على قول عائشة رضي الله عنها:

«هذا يا إخواني الصديق الأكبر يتخوف على نفسه الزيف إن هو خالف شيئاً من أمر نبيه ﷺ، فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزئون بنبيهم وبأوامره، ويتباهون بمخالفته، ويسخرون بسنته، نسأل الله العصمة من الزلل، ونجاة من سوء العمل»<sup>(١)</sup>.

وقد بلغ من شأن السلف الصالح في حب النبي ﷺ ومتابعته أن هجر بعضهم بعضاً بسبب المخالفة والمعارضة لسنة رسول الله ﷺ، فهذا عبد الله بن مغفل رضي الله عنه، قال: «نهى النبي ﷺ عن الخذف، وقال أنها لا تصطاد صيداً ولا تنكأ عدواً، ولكنها تفقأ العين وتكسر السنّ، فقال رجل لعبد الله بن مغفل: وما بأس هذا؟ فقال: إنني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول هذا، والله لا أكلمك أبداً».

«فاعتبروا يا أولي الأبصار، فشتان بين هؤلاء العقلاء السادة الأبرار الأخيار، الذين ملئت قلوبهم بالغيرة على إيمانهم والشح على أديانهم، وبين زمان أصبحنا فيه وناس نحن منهم وبين ظهرائهم، هذا عبد الله بن مغفل، صاحب رسول الله ﷺ، وسيد من ساداتهم يقطع رحمه ويهجر حميمه حيث عارضه في حديث رسول الله ﷺ، وحلف أيضاً على قطيعته وهجرانه، وهو يعلم ما في صلة الأقربين وقطيعه الأهلين...»<sup>(٢)</sup>.

«فالله الله يا إخواني، احذروا مجالسة من قد أصابته الفتنة، فزاغ قلبه وغشيت بصيرته واستحكمت للباطل نصرته، فهو يخط في عشواء ويعشو في

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: (٢٤٦/١)، وقد أخرج رحمه الله تعالى حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) الإبانة: (٢٥٩/١)، وقد أخرج حديث عبد الله بن مغفل أيضاً.

ظلمة، أن يصيبكم ما أصابهم، فافزعوا إلى مولاكم الكريم فيما أمركم به من دعوته، وحضكم عليه من مسأله، فقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (١).

### فائدة:

نقل الحافظ رحمه الله تعالى في فتح الباري: (٢٤٧/١٢) عن الإمام البغوي<sup>(٢)</sup> رحمه الله عليه أن الكافر إذا كان وثنيّاً لا يقرّ بالوحدانية، فإذا قال لا إله إلا الله، حكم بإسلامه ثم يجبر على قبول جميع أحكام الإسلام، ويبرأ من كلّ دين خالف دين الإسلام، وأمّا من كان مقرأً بالوحدانية منكراً للنّبوة، فإنه لا يحكم بإسلامه حتّى يقول محمد رسول الله، فإن كان يعتقد أن الرسالة المحمدية للعرب خاصة، فلا بد أن يقول: إلى جميع الخلق، فإن كان كفر بجحود واجب واستباحة محرّم، فيحتاج أن يرجع عمّا اعتقده... اهـ.

(١) المرجع نفسه: (١/٢٦٠ - ٢٦١).

(٢) كلامه هذا موجود في شرح السنة: (١٠/٢٤٢).

[٦] الدّخول في الإسلام والإيمان بالنبي ﷺ يكون بشهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، لقول رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل لما بعثه لليمن: «إنّك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادتي أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فاعلمهم أنّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كلّ يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فاعلمهم أنّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإنّك وكرائم أموالهم، واتّق دعوة المظلوم، فإنّها ليس بينها وبين الله حجاب»، رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

[٦] هذا هو الباب الذي يلج من خلاله العبد في دين الله الحق، شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، وقد كانت الوفود والأفراد يقدمون على رسول الله ﷺ، لا يقومون من عنده عليه الصلاة والسلام، إلاّ وقد نطقوا بالشهادتين.

فهذا ضمام ﷺ لما جاء إلى النبي ﷺ وشدّد عليه في المسألة، قال بعد أن سأل: «آمنت بما جئت به» الحديث<sup>(٢)</sup>، وفي رواية عند الإمام أحمد في المسند<sup>(٣)</sup>، قال: «فإنّي أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله».

والحديث الذي استدلّ به المصنّف رحمه الله تعالى يشهد لهذا المعنى أيضاً، فإنّ المدعو إلى الإسلام لا يدخل فيه حتّى يتلفظ بالشهادتين.

(١) في الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١٩)، والبخاري: (١٣٩٥) - ١٤٥٨ - ١٤٩٦ - ٢٤٤٧ - ٤٣٤٧ - ٧٣٧١ - ٧٣٧٢) بالفاظ مختلفة، وأبو داود:

(١٥٨٤). عن ابن عباس رضيهما.

(٢) سيأتي تخريجه: (ص / ٧١).

(٣) (٢٦٤/١)، وفي رواية عند ابن عبد البر في التمهيد: (١٦٨/١٦)، قال: «... أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله...».

وفيه إشارة إلى المنهج الدعوي الذي ينبغي على الدعاة إلى دين الله تعالى أن يسلكوه، وتوضحه رواية الإمام مسلم<sup>(١)</sup>، قال: «...فليكن أول ما تدعوهم عبادة الله عزّ وجلّ...»، أي: فليكن أول ما تدعوهم إليه توحيد الله تعالى، كما جاء في سنن البيهقي<sup>(٢)</sup> قوله ﷺ: «فليكن أول ما تدعوهم أن يوحدوا الله عزّ وجلّ».

فجدير بالدعاة إلى الله تعالى أن يسلكوا هذا السبيل في دعوتهم، ف«هذا هو طريق جميع الأنبياء، فإنّ أول ما يدعون قومهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهي طريقة سيّدهم وإمامهم ﷺ، لأنّه قام بهذه الدعوة أعظم قيام، ودعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، لم يفتر ولم يضعف حتّى أقام الله به الدين، وهدى به الخلق العظيم، ووصل دينه ببركة دعوته إلى مشارق الأرض ومغاربها، وكان يدعو بنفسه ويأمر رسله وأتباعه أن يدعوا إلى الله وإلى توحيدِهِ قبل كلّ شيء، لأنّ جميع الأعمال متوقفة في صحتها وقبولها على التوحيد، فكما أنّ على العبد أن يقوم بتوحيد الله، فعليه أن يدعو العباد إلى الله بالتي هي أحسن، وكل من اهتدى على يديه فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء».

وإذا كانت الدعوة إلى الله وإلى شهادة أن لا إله إلا الله فرضاً على كلّ أحد، كان الواجب على كلّ أحد بحسب مقدوره، فعلى العالم من بيان ذلك والدعوة والإرشاد والهداية، أعظم ممّا على غيره ممّن ليس بعالم...»<sup>(٣)</sup>.

(١) وهو أحد ألفاظ حديث الباب.

(٢) كتاب الصدقات، باب: ما فرض الله تبارك وتعالى على المسلمين في أموالهم... (٢/٧).

(٣) من كلام الإمام عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى، انظر القول السديد شرح كتاب التوحيد: (ص: ٢٨، ٢٩).

ورحم الله الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز، حيث قال:

«فالواجب على طلبة العلم - وهم أمل الأمة بعد الله عز وجل في القيادة المستقبلية، وهم رجال الغد في أيّ جامعة تخرّجوا - أن يقودوا السفينة بحكمة وإخلاص وصدق، وأن يعتنوا بالأساس، وأن يعرفوا العامل الوحيد العظيم الذي عليه الارتكاز، والذي يتبعه ما سواه، وهو الغاية بتوحيد الله والإخلاص له»<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: مجلة «السلفية»، (ص: ١٥)، العدد السادس، عام: ١٤٢٢هـ، وهي مجلة التوحيد والسنة على فهم السلف الصالح، وقد أسسها الشيخ موسى بن عبد الله آل عبد العزيز، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء.

[٧] أوّل واجب على المكلّف من مسلم بالغ، أو كافر يريد الدّخول في الإسلام، أن يعلم أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، لحديث معاذ المتقدم، ولحديث وفاة أبي طالب: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أميّة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عمّ، قل لا إله إلاّ الله كلمة أشهد لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أميّة: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيدان عليه تلك المقالة، حتّى قال أبو طالب آخر ما كلّهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلاّ الله» رواه البخاري ومسلم<sup>(١)</sup>.

ولقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل النّاس حتّى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّها، وحسابهم على الله» رواه مسلم عن أبي هريرة<sup>(٢)</sup>.

[٧] قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في كتاب الاعتقاد:

«باب: أوّل ما يجب على العاقل البالغ معرفته والإقرار به: قال الله جلّ

(١) أخرجه البخاري: (١٣٦٠ - ٣٨٨٤ - ٣٦٧٥ - ٤٧٧٢ - ٦٦٨١)، ومسلم: (٢١٤/١) نووي)، والنسائي: (٩٠/٤)، وأحمد: (٤٣٣/٥)، وابن حبان: (٩٧٨ الإحسان)، من حديث المسيّب بن وهب.

وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه الترمذي: (٣٠٦/٢)، وانظر أحكام الجنائز (ص: ١٢٢)، وإرواء الغليل: (١١٤/٥)، كلاهما للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.

ولم يرّد تخريج الحديث في (ص).

(٢) حديث متواتر كما قال الشيخ أبو إسحاق الحويني حفظه الله تعالى في «غوث المكدود»: (٢٨٠/٣ - ٢٨٣)، وهو ثابت عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم فقد أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري: (٧٢٨٤ - ٧٢٨٥)، ومسلم: (٢٠١/١) نووي)، والنسائي: =

ثناؤه لنبية محمد ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال له ولأمته: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٠]، وقال: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أُنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٤]، وقال: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، فوجب بالآيات قبلها معرفة الله تعالى وعلمه، ووجب بهذه الآية الاعتراف به والشهادة له بما عرفه...»<sup>(١)</sup> اهـ.

فأول ما يؤمر به العبد: الشهادتان، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «وقعت البداءة بهما، لأنهما أصل الدين الذي لا يصلح شيء غيرهما إلا بهما»<sup>(٢)</sup>.

وهذا القول هو مذهب السلف رحمهم الله تعالى، قال الإمام قوام السنة الأصهباني رحمه الله تعالى:

«قال علماء السلف: أول ما افترض الله على عباده الإخلاص ومعرفة الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله ﷺ، وأنّ الله تبارك وتعالى خلق السماوات والإقرار به، وطاعته بما أمر ونهى، وأول الفرض شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله ﷺ»<sup>(٣)</sup> اهـ.

= (١٤/٥)، (٦/٤ - ٥ - ٦ - ٧)، والترمذي: (٢٧٣٣ - ٢٧٣٤ تحفة)، وأحمد: (٣٤٥/٢) - (٣٧٧...)، وغيرهم. وانظر: السلسلة الصحيحة: (٤٠٧).

وأخرجه من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: البخاري: (٢٥)، ومسلم: (١/٢١٢ نووي)، وابن حبان: (١٧٥ إحسان)، والبيهقي في السنن: (٩٢/٣)، (١٧٧/٨)، والبلغوي في شرح السنة: (٣٣)، وغيرهم، وانظر الصحيحة: (٣٠٨)، وراجع تمام تخريجه: إرواء الغليل: (٢٤٧٥)، والسلسلة الصحيحة: (٣٠٣)، وغوث المكدود: (٣/٢٨٠). ولم يَرِدْ تخريج الحديث في (ص).

(١) الاعتقاد: (ص: ٨).

(٢) فتح الباري: (٣/٣٥٨).

(٣) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: (٢/٢٧٩).

وقد ذم السلف القائلين بأن النظر هو أول واجب على المكلف.

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى:

«ولهذا كان الصحيح أن أول واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك، كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقيب بلوغه... ولم يوجب أحد منهم على وليه أن يخاطبه حينئذ بتجديد الشهادتان...»<sup>(١)</sup> اهـ.

لذلك كان «التوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا... فهو أول واجب وآخر واجب»<sup>(٢)</sup>.

**فوائد:**

**الفائدة الأولى:**

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: يا رسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ قال: «لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى شارحاً للحديث:

«وهذا لا ينفي تحقيق أبي طالب أنه ينفعه ما صنع إلى النبي ﷺ في التخفيف عنه من عذابه، وقد يجوز أن يكون الحديث وما ورد من الآيات والأخبار في بطلان خيرات الكافر إذا مات على كفره، ورد في أنه لا يكون لها

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (٢٣/١).

(٢) المرجع نفسه: (٢٣/١)، وانظر: الحجة في بيان المحجة: (١٣٣/١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على الكفر... (٨٩/٢) نووي.

موقع التخليص من النار وإدخال الجنة، لكن يخفف عنه من عذابه الذي يستوجبه على جنايات ارتكبها سوى الكفر بما فعل من الخيرات»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أنّ الشفاعة في الكفار للنّجاة من النار لا تنفعهم، أمّا إن كان في الكفار من خفّ كفره بسبب نصرته ومعونته، فإنّه تنفعه شفاعته في تخفيف العذاب عنه، لا في إسقاط العذاب بالكلية، كما هو الحال في شأن أبي طالب<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:

«وشفاعته ثابتة لعمّه أبي طالب في التّخفيف عنه... فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، قيل له: لا تنفع في الخروج من النار كعصاة الموحّدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة...»<sup>(٣)</sup>.

وكان استمرار أبي طالب «على دين قومه من حكمة الله تعالى وما صنعه لرسوله من الحماية، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه، ولا جترؤوا عليه، ولمدّوا أيديهم وألستهم بالسوء إليه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]»<sup>(٤)</sup>.

(١) كتاب البعث والنشور: (ص: ٦٢)، وانظر شرح النووي على مسلم: (٢/ ٨٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ١/ ١٤٤ - ١٤٥، وفتح الباري للحافظ ابن حجر: (٩/ ٢٨٩)، (١١/ ٤٣١).

(٣) التذكرة: (١/ ٢٨٦ - ٢٨٧)، وراجع: شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٢٨٩)، وفتح الباري لابن حجر: (١١/ ٤٣١).

(٤) من كلام العلامة الألباني رحمه الله تعالى، انظر: صحيح السيرة النبوية: (ص: ١٤٢)، وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله: «... ومن حكمة الربّ تعالى في عدم هداية أبي طالب إلى الإسلام، ليبين لعباده أنّ ذلك إليه وهو القادر عليه دون من سواه، فلو كان عند النبي ﷺ الذي هو أفضل خلقه من هداية القلوب وتفريج الكرب ومغفرة الذنوب والنّجاة من العذاب ونحو ذلك، لكان أحقّ الناس بذلك وأولاهم به =

## الفائدة الثانية:

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى معلقاً على قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس»: :

«وفيه دليل على بطلان الحديث الشائع اليوم على ألسنة الخطباء والكتاب أن النبي ﷺ قال في أهل الذمة: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا»، وهذا مما لا أصل له عنه ﷺ، بل هذا الحديث الصحيح يبطله، لأنه صريح في أنه ﷺ إنما قال ذلك فيمن أسلم من المشركين وأهل الكتاب، وعمدة أولئك الخطباء على بعض الفقهاء الذين لا علم عندهم بالحديث الشريف، كما بيّنته في الأحاديث الضعيفة والموضوعة رقم: [١١٠٣]، فراجعه فإنه من المهمات»<sup>(١)</sup>. اهـ.

## الفائدة الثالثة:

قال الإمام يوسف بن حسن بن عبد الهادي رحمه الله في قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس»: :

«وفي هذا الحديث دلالة على أن الإسلام يحصل بالقول باللسان ولا يحتاج إلى معرفة الإيمان بالقلب، كما قال ﷺ لأسماء حين قتل من قال لا إله إلا الله: «هلاً شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها من قلبه أم لا...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

= عمه الذي كان يحوطه ويحميه وينصره ويؤويه، فسبحان من بهرت حكمته العقول، وأرشد العباد إلى ما بدّلهم إلى معرفة وتوحيده وإخلاص العمل له وتجريده... اهـ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: (ص: ١٨٥).

(١) السلسلة الصحيحة: (٣٠٣)، وانظر: جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب الحنبلي - رحمه الله -: (١/ ٢٣٠).

(٢) مسألة في التوحيد وفضل لا إله إلا الله: (ص: ٤٩ - ٥٠)، والحديث أخرجه مسلم في الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، (١/ ٣٧٥ نووي)، والبغوي في شرح السنة: (٢٥٦٢)، عن أسماء ؓ.

[٨] لا يكفي النطق بكلمتي الشهادة إذا كان الناطق بهما<sup>(١)</sup> لا يفهم أصل معناهما، لقوله ﷺ في الحديث المتقدم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به».

[٨] اعلم أخي المسلم - وفقني الله وإياك لطاعته - أن لكلمة التوحيد شروط، كما قال الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى: «شهادة أن لا إله إلا الله، إن معها شروط»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقال الإمام حافظ الحكمي رحمه الله تعالى:

«وبشروط سبعة قد قيّدت وفي نصوص الوحي حقاً وردت  
فإنه لم ينتفع قائلها بالنطق إلا حيث يستكملها  
والعلم واليقين والقبول والانقياد فادر ما أقول  
والصدق والإخلاص والمحبة وفقك الله لما أحبه»<sup>(٣)</sup>

فالعلم والفهم لمعنى لا إله إلا الله محمد رسول الله، من شروط صحة كلمتي التوحيد، وهو العلم بمعناها المراد منها نفيًا وإثباتًا المنافي للجهل بذلك، كما قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وعن أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة»<sup>(٤)</sup>.

ويقول الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

قال: «﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾، أي بالتوحيد، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، أي هم على علم وبصيرة بما شهدوا به...»<sup>(٥)</sup>. اهـ.

(١) في (ح) بها.

(٢) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي - رحمه الله تعالى -: (٤/٥٨٤).

(٣) معارج القبول: (٢/٤١٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، (١/٢٤٩ نووي).

(٥) فتح القدير: (٤/٥٤٣). وسيأتي الكلام حول باقي الشروط إن شاء الله تعالى.

[٩] ويكفي للدخول في الإسلام ما دلّ على معناها<sup>(١)</sup>، لحديث بني جذيمة، قال عبد الله بن عمر: «بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون صباناً، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منّا<sup>(٢)</sup> أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل أحد من أصحابي أسيره حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه له، فرفع النبي ﷺ يده، فقال: اللهم إني أبرأ إليك ممّا صنع خالد، مرتين»، رواه البخاري<sup>(٣)</sup>.

[٩] قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمة الله عليه شارحاً لحديث الباب: «هذا من ابن عمر راوي الحديث يدلّ على أنّه فهم أنّهم أرادوا الإسلام حقيقة، ويؤيده فهمه أنّ قريشاً كانوا يقولون لكلّ من أسلم: صبا، حتى اشتهرت هذه اللفظة وصاروا يطلقونها في مقام الذمّ، ومن ثمّ لمّا أسلم ثمامة بن أثال، وقدم مكة معتمراً قالوا له: صبات؟ قال: لا بل أسلمت.

فلما اشتهرت هذه اللفظة بينهم في موضع أسلمت استعملها هؤلاء، وأما خالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها، لأنّ قولهم صباناً، أي خرجنا من دين إلى

(١) في (ص) «ما دل على معناها».

(٢) لم تردّ هذه الكلمة في (ح).

(٣) في صحيحه: (٤٣٣٩ - ٧١٨٩)، وذكره معلقاً عن ابن عمر رضي الله عنهما: (٢٧٤/١ الفتح)، والنسائي: (٢٣٧/٨)، وأحمد: (١٥٠/٢).

وبنو جذيمة «بفتح الجيم وكسر المعجمة ثمّ تحتانية ساكنة، أي ابن عامر بن عبد مناة بن كنانة، ووهم الكرمانني فظنّ أنّه من بني جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف، قبيلة من عبد قيس، وهذا البعث كان عقب فتح مكة في شوال قبل الخروج إلى حنين عند جميع أهل المغازي، وكانوا بأسفل مكة من ناحية يلملم»، فتح الباري: (٧١/٨).

دين، ولم يكتف خالد بذلك حتى يصرحوا بالإسلام»<sup>(١)</sup>. اهـ.

ولهذا قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى: «... وقد ينعقد الإيمان بغير القول المعروف، إذا أتى بما يؤدى معناه...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

فيحتمل أن يكون خالد عليه السلام: «نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام، لأنه فهم منهم أن ذلك وقع منهم على سبيل الأنفة، ولم ينقادوا إلى الدين، فقتلهم متأولاً قولهم»<sup>(٣)</sup>.

ويقول الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى: «الحكمة من تبرئه عليه السلام من فعل خالد - مع كونه لم يعاقبه على ذلك لكونه مجتهداً -، أن يعرف أنه لم يأذن له في ذلك خشية أن يعتقد أحد أنه كان بإذنه، ولينزجر غير خالد بعد ذلك عن مثل فعله...»<sup>(٤)</sup>. اهـ.

وقال الحافظ رحمه الله تعالى:

«والذي يظهر أن التبرؤ من الفعل لا يستلزم إثم فاعله، ولا إلزامه الغرامة، فإن إثم المخطيء مرفوع وإن كان فعله ليس بمحمود»<sup>(٥)</sup>. اهـ.

كما أن النبي عليه السلام لم يتبرأ من خالد عليه السلام لذاته، وإنما من قتله الذين قالوا صباناً قبل أن يستفسرهم عن مرادهم»<sup>(٦)</sup>.

وكيف يبرأ النبي عليه السلام من سيف من سيوف الله عز وجل، الذي نصر دين الله

(١) فتح الباري: (٧١/٨).

(٢) شعب الإيمان: (٨٩/١).

(٣) من كلام الإمام الخطابي رحمه الله تعالى، انظر: فتح الباري لابن حجر: (٧٢/٨).

(٤) فتح الباري: (٢٢٥/١٣).

(٥) المرجع نفسه.

(٦) راجع التحقيق في هذه المسألة وما يترتب عليها من أحكام، فتح الباري: (٢٢٥/١٣) وما بعدها.

تعالى، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ نعى زيدا وجعفرأ وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «أخذ الراية زيد فاصيب، ثم أخذ جعفر فاصيب، ثم أخذ ابن رواحة فاصيب، - وعيناه تذرفان -، حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «... فإنَّ المراد به خالد، ومن يومئذ تسمّى سيف الله...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

فإذا اتّضع لك ذلك - أخي المسلم - فاعلم أنّ حب خالد وحب الصحابة كلّهم من السنّة ومن الإيمان، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهم من السنّة»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله تعالى: «سمعت قبيصة بن عقبة، يقول: حبّ أصحاب النبي ﷺ كلّهم سنّة»<sup>(٤)</sup>.

فهذا ديننا الذي ندين الله تعالى به، وعليه نربّي أولادنا، كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: «كان السلف يعلمون أولادهم حبّ أبي بكر وعمر، كما يعلمون السورة من القرآن»<sup>(٥)</sup>.

وهذا منهجنا الذي نسير عليه ونوصي به إخواننا، قال شعيب بن حرب

(١) أخرجه البخاري: (٣٧٥٧)، وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «وقد أخرج ابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن أبي أوفى، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تؤذوا خالد فإنه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفّار». فتح الباري: (١٢٨/٧).

(٢) فتح الباري: (١٢٨/٧).

(٣) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي: (١٣١١/٧).

(٤) الحجّة في بيان المحجّة: (٣٩٤/٢)، وانظر: شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي: (٧/١٣١٣)، ولمعة الاعتقاد للإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى: (ص: ٣٩).

(٥) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي: (٧/١٣١٣).

رحمه الله تعالى: «قلت لمالك بن مِقْوَل أوصني، قال: أوصيك بحبّ الشيخين أبي بكر وعمر، فقلت: إنّ الله أعطى من ذلك خيراً كثيراً، قال: أي لُكع، والله إنّني لأرجو لك على حبّهما ما أرجو لك على التوحيد»<sup>(١)</sup>. اهـ.

فالتوحيد هو السبيل والعروة الوثقى وهو براءة من الكفر والتّفاق، فـ «من أحبّ أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحبّ عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحبّ عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحبّ عليّ بن أبي طالب فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسن في أصحاب محمد ﷺ فقد برىء من التّفاق»<sup>(٢)</sup>.

«فَمِنْ صِفَةِ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ خَيْرًا، وَسَلَّمْ لَهُ دِينَهُ، وَنَفَعَهُ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِالْعِلْمِ: الْمَحَبَّةُ لَجَمِيعِ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِأَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ، وَلَا يَخْرُجُ بِفَعْلٍ وَلَا بِقَوْلٍ عَنْ مَذَاهِبِهِمْ، وَلَا يَرْغَبُ عَنْ طَرِيقِهِمْ»<sup>(٣)</sup>.

و«إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنّه زنديق، لأنّ الرسول ﷺ عندنا حقّ، والقرآن حقّ، وإنّما أدّى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله، وإنّما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق: (١٣١٨/٧)، وذلك أنّ من أحبّ شخصاً اتبعه كما قيل: إنّ المحبّ لمن يحب مطيع، فمن أحبّ أبا بكر وعمر وعثمان وعليّ وسائر الصحابة رضي الله عنهم، اتبع نهجهم وما كانوا عليه من الهدى ودين الحق والتوحيد، ومن أبغضهم خالف ما كانوا عليه ولا بد، وصدق الله تعالى إذ يقول: «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً».

(٢) من كلام الإمام أيوب السخيتاني رحمه الله تعالى، انظر: الحجة في بيان المحجة لقوام السنة الأصهباني: (٣٩٥/٢)، وشرح مجمل اعتقاد أهل السنة اللالكائي: (١٣١٩/٧).

(٣) الشريعة للإمام الآجري رحمه الله تعالى: (٤/١٦٩١ - ١٦٩٢).

(٤) من كلام الإمام أبي زرعة، انظر: الكفاية للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى: (ص: ٩٧).

ثم «اعلم أن من تناول أحداً من أصحاب محمد ﷺ، فاعلم أنه إنما أراد محمداً ﷺ، وقد آذاه في قبره»<sup>(١)</sup>.

وما أحسن ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

«وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين:

سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسئلت الرافضة من شرّ أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد، وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى، وسئلت الرافضة من شرّ أهل ملتكم؟ قالوا: حواري محمد، أمروا بالاستغفار لهم فسيبّوهم، فالسيف مسلول عليهم إلى يوم القيامة لا يثبت لهم قدم، ولا تقوم لهم راية ولا تجتمع لهم كلمة، دعوتهم مدحوضة وجمعهم متفرّق، كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله عزّ وجلّ»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

#### فائدة:

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تبارك وتعالى عند قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۚ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]:

«يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ أن يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي على نعمه على عباده من النعم التي لا تعدّ ولا تحصى، وعلى ما اتّصف به من الصفات العلى والأسماء الحسنى، وأن يسلم على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم، وهم رسله وأنبيأؤه الكرام عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام، هكذا قال عبد الرحمن بن زيد وغيره إنّ المراد بعباده الذين اصطفى هم الأنبياء، قال: وهو كقوله: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبَّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سجدة: ١٨٠] ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

(١) شرح السنة للإمام البربهاري رحمه الله تعالى: (ص: ١٢٣).

(٢) السنة للإمام أبي بكر الخلال رحمه الله تعالى، رقم: (٧٩١).

.....

وقال الثوري والسدي: «هم أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم أجمعين، وروي نحوه عن ابن عباس أيضاً، ولا منافاة فإنهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى، فالأنبياء بطريق الأولى والأخرى...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

(١) انظر التفسير: (٣/٣٤٦).

[١٠] ولا يكفي النطق بالشهادتين وفهم معناهما، إلا مع التصديق التام والاعتقاد الجازم به.

لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

ولقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

[١٠] هذا أحد شروط صحة كلمة التوحيد: الصدق المنافي للكذب، وهو أن يقولها العبد صادقاً من قلبه، يواطئ قلبه لسانه، ولذلك شهد المولى عز وجل على كذب المنافقين في قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ فقد اعترض الله جل جلاله «بجملة مخبرة أنه رسول الله، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، أي فيما أخبروا به وإن كان مطابقاً للخارج، لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه، ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم»<sup>(١)</sup>.

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُزَكَّوْا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢ - ٣].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار»<sup>(٢)</sup>. وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم للأعرابي: «...أفلح إن صدق»<sup>(٣)</sup>.

وما فتن الله تعالى العباد إلا ليعلم «الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممن

(١) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله: (٤/ ٣٣١).

(٢) أخرجه البخاري: (١٢٨)، وراجع فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى لزماً، لتعلم أن هذا مقيد بمن أتى بالأعمال الصالحة.

(٣) انظر تخريجه: (ص/ ٧١) هامش ٣.

هو كاذب في قوله ودعواه، والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة، وبهذا يقول ابن عباس وغيره في مثل قوله: ﴿إِلَّا لِنَقْلَمَ﴾ إِلَّا لِنَرَى، وذلك لأن الرؤية إنما تتعلق بالموجود والعلم أعم من الرؤية، فإنه يتعلق بالمعدوم والموجود<sup>(١)</sup>.

ويقول الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى:

«ثُمَّ إِنَّ الشَّهَادَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ الْإِسْلَامِ بِغَيْرِ نِزَاعٍ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْإِتْيَانُ بِلَفْظِهِمَا دُونَ التَّصْدِيقِ بِهِمَا، فَعُلِمَ أَنَّ التَّصْدِيقَ بِهِمَا دَاخِلٌ فِي الْإِسْلَامِ، وَقَدْ فَسَّرَ الْإِسْلَامَ الْمَذْكُورَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] بِالتَّوْحِيدِ وَالتَّصْدِيقِ طَائِفَةً مِنَ السَّلَفِ، مِنْهُمْ مُحَمَّدٌ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وأما استدلال المصنّف رحمه الله تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، فغير ظاهر والله أعلم.

(١) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله: (٣/٣٧٨).

(٢) جامع العلوم والحكم: (١/١١٣)، وانظر تفسير الطبري رحمه الله تعالى: (٣/٢١٢).

[١١] من حصل له اليقين بإخبار الرسول ﷺ كفاه ذلك اليقين، لحديث ضمام بن ثعلبة، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد إذ دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال: أيكم محمد؟ قلنا: هذا الرجل الأبيض المتكىء، قال: ابن عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: قد أجبت<sup>(١)</sup>، فقال: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك، قال: سل عما بدا لك، فقال: أسالك بربك ورب من قبلك، الله أرسلك إلى الناس كلهم؟ قال: اللهم نعم، (قال: أنشدك بالله تعالى، الله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم واللييلة؟ قال: اللهم نعم)<sup>(٢)</sup>، قال: أنشدك بالله تعالى الله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: اللهم نعم، قال: أنشدك بالله تعالى، الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ قال: اللهم نعم، قال الرجل: أمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر»، رواه البخاري ومسلم وغيرهما<sup>(٣)</sup>.

[١١] اليقين شرط من شروط صحة كلمة التوحيد، وذلك بأن يكون قائلها متيقناً بمدلولها يقيناً جازماً، لا يمازجه شك ولا ريب، فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا الظن، فكيف إذا دخله الشك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

(١) في (ح) «قد أجبتك».

(٢) ما بين قوسين غير مثبت في (ص).

(٣) أخرجه البخاري: (٦٣)، ومسلم: (١٦٩/١) نووي، وأبو داود: (٤٨٦)، والنسائي: (١/٢٢٨)، (١٢١/٤ - ١٢٢ - ١٢٣)، وابن ماجه: (١٤٠٢)، والترمذي: (٦١٥ تحفة)، وغيرهم.

وله شاهد من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، أخرجه: البخاري: (٤٦ - ١٨٩١ - ٢٦٧٨ - ٦٩٥٦)، ومسلم: (١٦٦/١) نووي، والنسائي: (٢٢٧/١)، (١٢١/٤)، (١١٨/٨)، وأبو داود: (٣٩١ - ٣٩٢)، وأحمد: (١٦٢/١)، ومالك في الموطأ: (٤٢٤)، وغيرهم.

ومن حديث ابن عباس رضي الله عنه، أخرجه: أبو داود: (٤٨٧)، وأحمد: (٢٦٤/١)، =

الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ [الحجرات: ١٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكّ فيهما إلا دخل الجنة»<sup>(١)</sup>.

«فاليقين هو أصل الإيمان، فإذا أيقن القلب انبعثت الجوارح كلها للقاء الله بالأعمال الصالحة، حتى قال سفيان الثوري: لو أنّ اليقين وقع في القلب كما ينبغي، لطار اشتياقاً إلى الجنة وهرباً من النار»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ولهذا قال صاحب رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «اليقين الإيمان

= والحاكم: (٥٤/٣)، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر: «غوث المكذوب» للشيخ أبي إسحاق الحويني حفظه الله تعالى: (١٤٥/١).

وقد جاء في حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قوله: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد نائر الرأس» الحديث، فقد اختلف أهل العلم في هذا الرجل، فجزم الإمام ابن بطال وآخرون بأنه ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر، والحامل لهم على ذلك إيراد مسلم لقصته عقب حديث طلحة، ولأنّ في كل منهما أنه بدوي، وأنّ كلا منهما قال في آخر حديثه: «لا أزيد على هذا، ولا أنقص»، وتعقبه القرطبي رحمه الله تعالى بأنّ سياقهما مختلف وأستلتهما متباينة، قال: «ودعوى أنهما قصة واحدة دعوى فرط وتكلف وشطط من غير ضرورة» اهـ، انظر فتح الباري للابن حجر رحمه الله تعالى: (١٤٢/١)، وراجع شرح اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي رحمه الله تعالى: (١٩٨/٢ - ١٩٩ - ٢٠٠)، ففيه إشارة أنّ حديث ضمام هو نفسه حديث الأعرابي في حديث طلحة رضي الله عنه. وممّن فرق بينهما الإمام ابن العز رحمه الله تعالى، انظر (شرح العقيدة الطحاوية: (٢/٧٨٧)، والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب: الدليل على أنّ من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (٤٤)، وراجع كلام المصنف رحمه الله تعالى فيمن عدم من إيمانه اليقين، فإنه لا ينفصل عن هذه الفقرة، والله أعلم.

(٢) فتح الباري: (١/٦٨).

كلّه، والصبر نصف الإيمان»<sup>(١)</sup>.

وأما استدلال المصنّف الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى بحديث الباب على اشتراط اليقين في الإيمان، فراجع إلى أنّ ضمناً لله أتى إلى النبي ﷺ مسلماً، كما رجّحه جمع من أهل العلم، فأراد ﷺ أن يتأكد من صحّة ما بلغه عن النبي ﷺ فيحصل له بذلك اليقين، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، أي ليطمئن قلبي ويزداد يقيني<sup>(٢)</sup>، والله أعلم.

وقد ذكر المصنّف رحمه الله تعالى ثلاثة شروط لصحّة الشهادتين: العلم، واليقين، والصدق، وأذكر باقي الشروط بإذن الله تعالى، فأقول مستعيناً بالله عزّ وجلّ وحده:

**فأما الشرط الرابع:** القبول لما تقتضيه هذه الكلمة بالقلب واللسان، وقد قصّ الله تعالى علينا أنباء ما قد سبق، من إنجاء من قبلها وانتقامه ممّن ردّها وأبأها، فقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٧٣﴾ قُلْ أُولَئِكَ حِجَّتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٢٣ - ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نَحْنُ رُسُلُنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس: ١٠٣].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء،

(١) ذكر البخاري طرفه الأول: «اليقين الإيمان كله» تعليقاً في كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ: بُني الإسلام على خمس.

قال الحافظ رحمه الله: «هذا التعليق طرف من أثر وصله الطبراني بسند صحيح، وبقيته: «والصبر نصف الإيمان». فتح الباري (١/٦٣). ولا يصح رفعه إلى النبي ﷺ. ينظر السلسلة الضعيفة للألباني: (١/٧١٤) حديث رقم: (٤٩٩).

(٢) أخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير ومجاهد وغيرهما، انظر فتح الباري: (١/٦٧).

فانبتت الكلا والعشب الكثير، وكانت منها أجاب أمسكت الماء...» الحديث<sup>(١)</sup>.

الخامس: الانقياد لما دلت عليه كلمتي التوحيد، المنافي لترك ذلك، ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَكُمْ﴾ [الزمر: ٥٤]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، ومعنى أسلم وجهه أي انقاد، وهو محسن أي موحد.

السادس: الإخلاص، وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب

(١) أخرجه البخاري: (٧٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب: بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم (٢٢٨٢)، والبغوي في شرح السنة: (١٣٥).

والأجاءد: صلاب الأرض التي تمسك الماء، فلا يسرع إليه النضوب، وقال الأصمعي: الأجاءد من الأرض ما لم تنبت الكلا فهي جرداء بارزة، لا يسترها النبات، ويروي بعضهم: «وكانت منها إخاذات أمسكت الماء»، والإخاذات: الغدران التي تأخذ ماء السماء، فتمسكه على السارية، وهي المساكات والتناهي، والواحدة: إخاذة ومساةة وتنهية، وهي الإخاذ أيضاً، وجمعه أخاذ، انظر شرح السنة: (٢٨٨/١)، وراجع فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٢٣٢/١).

وقد وقع عند البغوي وغيره: «فكان منها ثغبة»، بدلاً من قوله: «فكان منها نقيّة»، قال الحافظ رحمه الله تعالى: «وقع عند الخطابي والحميدي وفي حاشية أصل أبي ذر: ثغبة... قال الخطابي: هي مستنقع الماء في الجبال والصخور. قال القاضي عياض: هذا غلط في الرواية، وإحالة للمعنى، لأنّ هذا وصف الطائفة الأولى التي تنبت، وما ذكره يصلح وصفاً للثانية التي تمسك الماء. قال: وما ضبطناه في البخاري من جميع الطرق إلا «نقية» بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء التحتانية، وهو مثل قوله في مسلم: «طائفة طيبة».

قلت: وهو في جميع ما وقفت عليه من المسانيد والمستخرجات كما عند مسلم... وروي: «بقية»، قلت: هو بمعنى طائفة، لكن ليس ذلك في شيء من روايات الصحيحين، ثم قرأت في شرح ابن رجب أنّ في رواية بالموحدة بدل النون، قال: والمراد بها القطعة الطيبة كما يقال: فلان بقية الناس، ومنه: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةً﴾ [هود: ١١٦]... انظر فتح الباري: (٢٣١/١).

الشرك: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»<sup>(١)</sup>.

وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل»<sup>(٢)</sup>.

السابع: المحبة لهذه الكلمة، ولما اقتضته ودلت عليه، ولأهلها العاملين بها، الملتزمين لشروطها، وبغض من ناقض ذلك، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...» الحديث<sup>(٣)</sup>.

هذه الشروط أصل عقد الإيمان، «الذي لا يتم إلا به، وليست هذه الشروط من المسائل التي للعبد عنها غنى أو منها بد، كدقائق العلم والمسائل التي يختص بها بعض الناس دون بعض، بل هذه مسألة تفرض على العبد، وهي أصل عقد الإيمان الذي لا يدخل فيه الداخل إلا بها، ولا فلاح للعبد، ولا نجاة له من عذاب الله إلا بها... ومن لم يتحقق بهذه الشروط علماً وحالاً وعملاً، لم يتحقق بشهادة أن لا إله إلا الله، فإنها سرها وحقيقتها ومعناها»<sup>(٤)</sup>.

«فحقيق لمن نصح نفسه، وأحب سعادتها ونجاتها، أن يتيقظ لهذه المسألة

(١) أخرجه البخاري: (٩٩ - ٦٥٧٠).

(٢) أخرجه البخاري: (٤٢٥ - ٨٤٠ - ٤٠٠٩...).

(٣) أخرجه البخاري: (٢١ - ٦٠٤١ - ٦٩٤١)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) من كلام الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى بتصرف يسير، انظر طريق الهجرتين: (ص: ٣٥٤).

.....

علماً وعملاً وحالاً، وتكون أم الأشياء عنده، وأجلّ علومه وأعماله، فإنّ الشان كلّه فيها والمدار عليها، والسؤال يوم القيامة عنها، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٧﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣]، وقال غير واحد من السلف: هو عن قول لا إله إلا الله، وهذا حق، فإنّ السؤال كلّه عنها، وعن أحكامها وحقوقها وواجباتها ولوازمها، فلا يسأل أحد قط إلا عنها وعن واجباتها ولوازمها وحقوقها.

قال أبو العالية: كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟، فالسؤال عمّا كانوا يعبدون، هو السؤال عنها نفسها، والسؤال عمّا أجابوا المرسلين، سؤال عن الوسيلة والطريق المؤدية إليها، هل سلكوا وأجابوا الرسل لما دعوهم إليها؟ فعاد الأمر كلّه إليها، وأمر هذا شأنه حقيق بأن تنعقد الخناصر، ويعض عليه بالنواجذ، ويقبض فيه على الجمر، ولا يؤخذ بأطراف الأنامل، ولا يطلب على فضيلة، بل يجعل هو المطلب الأعظم، وما سواه إنّما يطلب على فضيلة، والله الموفق لا إله غيره، ولا ربّ سواه<sup>(١)</sup>.

هذا... وللشيخ حافظ حكيم رحمه الله تعالى رسالة عظيمة في هذا الباب، جليّة في مقصودها ومرادها، شافية كافية لاشتمالها على غرر هذا الموضوع الجليل، بأسلوب مائع وعرض شيق وتحقيق متين، سمّاها: «مفتاح دار السلام بتحقيق شهادتي الإسلام»، وقد قدّم لها الدكتور الفاضل الشيخ عبد الرزاق بن الشيخ الصالح المحدّث عبد المحسن العباد - جزاه الله خيراً وجعل أباه ذخراً للأمة الإسلامية - فراجعها فإنّها جدّ مهمة، وانظر معارج القبول: (٤١٨/٢).

[١٢] يجب على المؤمن مع تصديقه وجزمه، أن ينظر في آيات الله، ويستعمل عقله للفهم، كما تجب عليه جميع<sup>(١)</sup> الواجبات في الإسلام، لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥]، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [٢٤] [عبس: ٢٤]، ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [١٧] ﴿وَلِلَّاسْمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [٨] ﴿وَلِلَّ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [١٩] ﴿وَلِلَّ الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [٢٠] [الغاشية: ١٧ - ٢٠].

النظر الواجب على المكلف، هو النظر على الطريقة التي جاء بها القرآن، كما في الآيات المتقدمة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتْلُغْهُ مَأْمُورًا﴾ [التوبة: ٦].

[١٢] إن «الرب تعالى يدعو عباده في القرآن إلى معرفته من طريقين:

أحدهما: النظر في مفعولاته، والثاني: التفكر في آياته وتدبرها، فتلك آياته المشهودة، وهذه آياته المسموعة المعقولة.

فالنوع الأول، كقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وهو كثير في القرآن.

والثاني، كقوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وهو كثير أيضاً...»<sup>(٢)</sup>.

(١) غير موجودة في (ح).

(٢) انظر الفوائد، لشيخ الإسلام ابن القيم: (ص: ٢٨).

وقد مدح الله تعالى أولي الأبواب أصحاب «العقول الثامة الذكية، التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وليسوا كالصم البكم، الذين لا يعقلون، الذين قال الله فيهم: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (١٥) ثم وصف تعالى أولي الأبواب، فقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَنَّكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي يفهمون ما فيها من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته واختياره ورحمته» (١).

وقد أخذ الشيخ المصنّف رحمه الله تعالى وجوب النظر من صيغ الأمر الواردة في الآيات التي استدلل بها (٢)، وكذلك من قول رسول الله ﷺ مفسراً قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١٦) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَنَّكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٧)، قال: «... ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» (٣).

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١٧) الآيات، «تنبيه للبدوي على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه، والسماء التي فوق رأسه، والجبل الذي تجاهه، والأرض التي تحته، على قدرة خالق ذلك

(١) انظر تفسير ابن كثير: (١/٣٨٦).

(٢) يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عند قوله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، قال: «يقول تعالى أمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته... وكان شريح القاضي، يقول: اخرجوا بنا ننظر إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت...» اهـ، انظر التفسير: (٤/٤٥٧).

(٣) أخرجه: ابن حبان في صحيحه في باب التوبة حديث رقم: (٦١٩) وانظر السلسلة الصحيحة حديث رقم: (٦٨)، فقد جعل الويل لمن ترك النظر، فدل ذلك على وجوب النظر، إذ لا يعاقب الله تعالى إلا على ترك واجب أو فعل محرّم.

وصانعه، وأنه الربّ العظيم الخالق المالك المتصرف، وأنه الإله الذي لا يستحقّ العبادة سواه، وهكذا أقسم ضمّام في سؤاله على رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

ف «التأمل الذي دعا إليه القرآن تأمل مخصوص، إنه ليس ذلك التأمل الذي يقف عند إدراك الحكم الظاهرة من الأعضاء والأجهزة المختلفة للجسم، وليس ذلك التأمل الذي ينتهي بصاحبه إلى مزيد من الحيرة، أو يعكس فيه خواطره وفلسفته في الحياة، لكنّه نظر وتأمّل هادف، يمضي إلى الغاية منه، ويسلك إليها الطريق الصحيح، إنه نظر يتخذ الفكر وسيلة لرسوخ تصوّر الذي أنزل مع الأنبياء عن الله والكون، والحياة والإنسان، إنّ النظر الذي يرفع الغفلة عن القلب، ويوقظ أجهزة الاستقبال لأداء وظيفتها الإنسانية والخروج من الذين ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقد بيّن القرآن الكريم للإنسان كافة الشروط التي تجعل تأمله في نفسه تأملاً هادفاً نافعاً، فلم يكتف بأن وجه نظره إلى آيات نفسه فحسب، بل أرشده إلى مواطن العبرة فيها، وبيّن له ما ينبغي أن يتحلّى به إذا أراد أن ينتفع بهذه الآيات، ويفتح عليه في إدراك أسرارها وغيرها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، ففي هذه الآية شروط ثلاثة لا بد أن يتّصف بها من أراد الانتفاع بآيات الله:

(١) انظر تفسير ابن كثير: (٤/٤٥٨)، وقال ضمّام ﷺ: «... فمن خلق السّماء؟ قال: الله، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: الله، قال: فمن نصب الجبال؟ قال: الله، قال: فبالذي خلق السّماء، وخلق الأرض، ونصب الجبال، الله أرسلك، قال: نعم...»، أخرجه مسلم في صحيح، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام، والترمذي: (٦١٩)، والنسائي: (٤/١٢١ - ١٢٢)، والبغوي في شرح السنة: (٤).

.....

فالأول: سلامة القلب وصحته واستعداده.

والثاني: إحضاره وجمعه ومنعه من التفرق.

والثالث: إلقاء السمع وإصغاؤه وإقباله على الذكرى...»<sup>(١)</sup>.

(١) من مقدمة تحقيق كتاب «دلائل التوحيد» للعلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى:

(ص: ١٥١ - ١٥٢)، وانظر مفتاح دار السعادة لابن القيم رحمه الله تعالى: (ص:

[١٣] من عرضت له شبهة وجب عليه أن يبادر إلى إزالتها بالنظر بنفسه أو بسؤال غيره من أهل العلم، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

ولقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، ولقوله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ومن وردت على قلبه خطرات من دون شبهة، فليستعذ بالله وليقل: آمنت بالله ورسوله، لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته»، ومن طريق آخر: «... فليقل: آمنت بالله ورسوله»<sup>(١)</sup>.

[١٣] يريد المصنّف رحمه الله تعالى، وهو يقرر للمسلم العقيدة الصحيحة السليمة، من الآيات المحكمة والأحاديث الصحيحة الثابتة، أن يرشده مع ذلك

(١) أخرجه البخاري: (٢٢٧٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها (٤٣٠/١) نووي، وأبو داود: (٤٧٢١ - ٤٧٢٢)، وفي رواية عنده: «... فقولوا: الله أحد الله الصّمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً، وليستعذ من الشيطان»، وأحمد: (٢/٢٢٣١)، والبخاري في شرح السنة: (٦١ - ٦٢). وله شاهد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند مسلم، كتاب الإيمان: باب بيان الوسوسة (٨٣٦)، وأبي عوانة: (٨٢/١)، أحمد: (١٠٢/٣)، وابن أبي عاصم في السنة: (٦٤٧ - ٦٥٢).

ومن حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أخرجه أحمد: (٢٥٧/٦)، وابن أبي عاصم في السنة: (٦٤٨)، قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «إسناد جيّد»، وانظر السلسلة الصحيحة: (١١٦)، (١١٧).

إلى ما يعينه على الحفاظ على هذه العقيدة من الخواطر والوساوس، وتلبيسات الشيطان، فقد ﴿قَالَ فِعْرَئِكَ لَاغْوِينَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٨٢﴾ [ص: ٨٢]، فأهل السنة والجماعة أتباع السلف وأهل الحديث «يعتقدون أن الله خلق الشياطين يوسوسون للأدَمِيِّين، ويقصدون استزلالهم، ويطرصدون لهم، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِكُؤْمَرٍ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾»<sup>(١)</sup>، ولكن الله تعالى يحول بينه وبين من أظهر العبودية لله عز وجل وذلل وخضع لربه ولجأ إليه وكان ملاذه ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ [ص: ٨٣].

و«الخواطر على قسمين: فالتى لا تستقر ولا يجلبها شبهة هي التى تندفع بالإعراض عنها، وعلى هذا الحديث<sup>(٢)</sup>، وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة، وأما الخواطر المستقرّة الناشئة عن الشبهة، فهي التى لا تندفع إلا بالنظر والاستدلال»<sup>(٣)</sup>.

والشيطان الرجيم «يستطيع أن يصل إلى فكر الإنسان وقلبه بإذن الله العليّ القدير ولحكّمته بطريقة لا ندركها ولا نعرفها، يساعده في ذلك طبيعته التى خلق عليها، وهذا الذى نسمّيه بالوسوسة، وقد أخبرنا الله بذلك إذ سمّاه: ﴿الْوَسْوَاسَ الْخَنَّاسَ﴾ ﴿١﴾ الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ [الناس: ٤ - ٥]»<sup>(٤)</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «سألنا رسول الله ﷺ عن الرجل يجد الشيء لو خر من السماء فتخطفه الطير، كان أحب إليه من أن يتكلّم به؟ قال:

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة، للإمام الصابوني رحمه الله تعالى: (ص: ٢٩٦).

(٢) أي حديث الباب الذي استدلل به المصنف رحمه الله تعالى.

(٣) من كلام الإمام المازري رحمه الله تعالى، انظر فتح الباري للمحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٤١١/٦).

(٤) عالم الجنّ والشياطين للدكتور الفاضل عمر سليمان الأشقر حفظه الله تعالى: (ص: ٨٨).

.....

ذلك محض - أو صريح - الإيمان»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام الخطّابي رحمه الله تعالى:

«قوله ﷺ: «ذلك صريح الإيمان»، معناه: أن صريح الإيمان هو الذي يمنعكم من قبول ما يلقيه الشيطان في أنفسكم والتّصديق به، وليس معناه أن الوسوسة نفسها صريح الإيمان، وذلك أنها إنما تتولد من فعل الشيطان، فكيف يكون إيماناً صريحاً»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ولهذا نهى رسول الله ﷺ عن التّفكر في ذات الله تبارك وتعالى، فقال عليه الصلاة والسلام: «تفكّروا في الخلق، ولا تفكّروا في الله»<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام البرهاري رحمه الله:

«... والفكرة في الله تبارك وتعالى بدعة.. فإنّ الفكرة في الربّ تقدح الشك في القلب»<sup>(٤)</sup>. اهـ.

وقال العلامة محمد ناصر الدّين الألباني رحمه الله تعالى:

«دلّت هذه الأحاديث الصحيحة على أنّه يجب على من وسوس إليه الشيطان بقوله: من خلق الله؟ أن ينصرف عن مجادلته إلى إجابته بما في الأحاديث المذكورة، وخلاصتها أن يقول: آمنت بالله ورسله، الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ثمّ يتفلّ عن يساره ثلاثاً، ويستعيذ بالله من

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في الإيمان، باب: بيان الوسوسة، (١/٤٣٠ نووي).

(٢) انظر شرح السنة للإمام البغوي رحمه الله تعالى: (١/١١٠)، وراجع فتح الباري للحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: (١٣/٣٣٥).

(٣) حديث صحيح، انظر تخريجه السلسلة الصحيحة: (١٧٨٨). وهو من حديث ابن عمر.

(٤) شرح السنة له: (ص: ٨٤)، وراجع اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي رحمه الله تعالى: (٣/٥٧٩).

الشیطان، ثم ينتهي عن الانسياق مع الوسوسة»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى:

«وجه هذا الحديث أنّ الشيطان إذا وسوس بذلك فاستعاذ الشخص بالله منه، وكفّ عن مطاولته في ذلك اندفع، وهذا بخلاف ما لو تعرّض أحد من البشر بذلك فإنّه يمكن قطعه بالحجّة والبرهان.

والفرق بينهما أنّ الآدمي يقع منه الكلام بالسؤال والجواب والحال معه محصور، فإذا راعى الطريقة وأصاب الحجّة انقطع، وأمّا الشيطان فليس لوسوسته انتهاء، بل كلّما ألزم حجّة زاغ إلى غيرها إلى أن يفضي بالمرء إلى الحيرة، نعوذ بالله من ذلك»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وهذا قول حسن، إلّا أنّه ثبت عنه ﷺ، أنّه سوى في الكفّ عن الخوض في ذلك بين كلّ سائل عن ذلك من بشر وغيره، لذلك قال الحافظ رحمه الله تعالى معلقاً على قول الإمام الخطابي رحمه الله تعالى:

«والذي نحا إليه من التفرقة بين وسوسة الشيطان، ومخاطبة البشر فيه نظر، لأنّه ثبت في مسلم من طريق هشام بن عروة عن أبيه - في هذا الحديث -: «لا يزال الناس يتساءلون حتّى يقال هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنتم بالله...»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

«فذكر ﷺ هذا الدّواء النّافع لهذا الدّاء المهلك، وهي ثلاثة أشياء:

الانتهاء عن هذه الوسوس الشيطانية، والاستعاذة من شرّ من ألقاها، وشبه بها ليضل بها العباد، والاعتصام بعصمة الإيمان الصحيح، الذي من اعتصم به

(١) السلسلة الصحيحة: (١٧٨٨). وانظر التكميل للمعلمي: (٢٨٤/٢).

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر رحمه الله تعالى: (٤١٠/٦).

(٣) فتح الباري: (٤١٠/٦ - ٤١١). والحديث عند مسلم برقم (٢١٢)، (٤٣١/١) نووي.

كان من الآمنين»<sup>(١)</sup>.

ولهذا من استعمل هذا الدواء «طاعة لله ورسوله، مخلصاً في ذلك»<sup>(٢)</sup>، أنه لا بد أن تذهب الوسوسة عنه ويندحر شيطانه، لقوله ﷺ: «فإن ذلك يذهب عنه»، وهذا التعليم النبوي الكريم أنفع وأقطع للوسوسة من المجادلة العقلية في هذه القضية، فإن المجادلة قلما تنفع في مثلها، ومن المؤسف أن أكثر الناس في غفلة عن هذا التعليم النبوي الكريم، فتنبهوا أيها المسلمون، وتعرفوا على سنة نبيكم، واعملوا بها، فإن فيها شفاءكم وعزكم»<sup>(٣)</sup>.

فالله أخى المسلم في عقيدتك وتوحيديك، «وإياك أن تمكن الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك، فإنه يفسدها عليك فساداً يصعب تداركه، ويلقي إليك أنواع الوسوس والأفكار المضرة، ويحول بينك وبين الفكر فيما ينفعك، وأنت الذي أعتته على نفسك بتمكينه من قلبك وخواطرك فملكها عليك»<sup>(٤)</sup>.

(١) من كلام الإمام العلامة الأصولي الفقيه المفسر المرتبي عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله عليه، انظر التوضيح والبيان لشجرة الإيمان له: (ص: ٥١).

(٢) غير شاك فيما قاله الله تعالى ورسوله ﷺ حال المرتابين ومرضى النفوس.

(٣) انظر السلسلة الصحيحة: (٧٨٨).

(٤) من كلام الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، انظر كتاب الفوائد: (ص: ١٩٥).

## بيان معنى الإسلام

[١٤] يجيء لفظ الإسلام في لسان الشرع مراداً به الدين كله، الذي جاء به محمد ﷺ من العقائد والأعمال والأحكام، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ولقوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس...» إلخ.

[١٤] الإسلام بهذا المعنى عَلِمَ على ما جاء به خاتم الأنبياء، نبينا محمد ﷺ، من الهدى ودين الحق، وهو من «أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرّمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حقّ وصدق لا كذب فيه ولا خُلُف، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾، أي صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين، تَمَّت عليهم النعمة، ولهذا قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، أي فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه، وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتبه»<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: (١٣/٢).

فالإسلام بهذا المعنى يشمل كلّ أمور الدّين التي بعث بها رسولنا ﷺ: «من وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان ابتداءً وحالاً ومآلاً، ومن أعمال الجوارح، ومن إخلاص السرائر، والتّحفظ من آفات الأعمال»<sup>(١)</sup>.

ولن يقبل الله تعالى من عباده إلّا الدّين الذي اختاره لهم ورضيه، وهو الإسلام الذي بعث به رسول الله ﷺ، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»<sup>(٢)</sup>، فالمراد بالأمر هنا، دين النّبي ﷺ الذي هو الإسلام.

يقول الحافظ الهمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

«فهذا الحديث يدلّ بمنطوقه على أنّ كلّ عمل ليس عليه أمر الشارع، فهو مردود، ويدلّ بمفهومه<sup>(\*)</sup> على أنّ كلّ عمل عليه أمره، فهو غير مردود، والمراد بأمره ها هنا: دينه وشرعه»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

(١) فتح الباري للحفاظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١/١٦٦).

(٢) أخرجه البخاري: (٢٦٩٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٧١٨)، وأبو داود: (٤٦٠٦)، وابن ماجه: (١٤)، وأحمد: (٧٣/٦ - ٢٤٠ - ٢٧٠)، وابن حبان: (٢٦)، (٢٧).

(\*) المنطوق: هو ما دلّ عليه اللفظ في محلّ النطق، فهو المعنى المستفاد من اللفظ من حيث النطق به.

والمفهوم: هو ما دلّ عليه اللفظ لا في محلّ النطق، فهو المعنى المستفاد من حيث السّكوت اللازم للفظ. انظر معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، للدكتور محمد ابن حسين بن حسن الجيزاني حفظه الله تعالى: (ص: ٤٥٢ - ٤٥٤)، وغيره من كتب أصول الفقه.

(٣) جامع العلوم والحكم: (١/١٧٧).

ومن رضي هذا الإسلام ديناً، فقد ذاق طعم الإيمان، فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً»<sup>(١)</sup>.

«والرضا بربوبية الله، يتضمن الرضا بعبادته وحده لا شريك له، وبالرضا بتدبيره للعبد واختياره له.

والرضا بالإسلام ديناً، يقتضي اختياره على سائر الأديان.

والرضا بمحمد رسولاً، يقتضي الرضا بجميع ما جاء به من عند الله، وقبول ذلك بالتسليم والانسراح، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]<sup>(٢)</sup>.

والإسلام بهذا المعنى «الخاص الذي بعث الله به محمداً ﷺ، المتضمن لشريعة القرآن، ليس عليه إلا أمة محمد ﷺ، والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر (٢٧٦/١ نووي)، والبلغوي في شرح السنة: (٢٤).

(٢) جامع العلوم والحكم: (١١٨/١ - ١١٩).

(٣) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، انظر مجموع الفتاوى: (٦٦/٣).

[١٥] الإسلام الذي سمي به الدين، معناه الانقياد لله تعالى ظاهراً وباطناً، والإخلاص له فيهما، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

ولقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]، وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْتُ﴾ [آل عمران: ٢٠].

الدين كله انقياد لله وإخلاص له، ولذلك سمي إسلاماً، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَقَّاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

[١٥] الإسلام بهذا المعنى هو الانقياد والخضوع والاستسلام والإخلاص لله تبارك وتعالى، وهو دين جميع الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام -، وهو روح دعوة الرسل، وقد سبق أن الإسلام بالمعنى الخاص الذي بعث به رسول الله ﷺ، ليس عليه اليوم إلا أمته ﷺ، «وأما الإسلام العام المتناول لكلّ شريعة بعث الله بها نبياً، فإنه يتناول إسلام كلّ أمة متبعة لنبي من الأنبياء»<sup>(١)</sup>.

فأصل دين الأنبياء الاستسلام والخضوع والانقياد، ولذلك قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: «الإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقد أشار المصنف رحمه الله تعالى إلى هذا المعنى عند قوله: «الإسلام هو

(١) من كلام شيخ الإسلام رحمه الله، انظر مجموع الفتاوى: (٦٦/٣).

(٢) جامع العلوم والحكم: (١٠٨/١)، وانظر شرح السنة للإمام البغوي رحمه الله تعالى: (١١/١).

دين الله الذي أرسل به جميع رسله... وما جاء به محمد ﷺ هو الإسلام الذي لا نجا لأحد إلا بالدخول فيه.

ويقول الإمام أبو عمرو الداني رحمه الله تعالى: «ومعنى الإسلام: الاستسلام، والانقياد، والمتابعة...»<sup>(١)</sup>.

والإسلام الذي بعث به رسول الله ﷺ يشمل هذا المعنى بلا ريب، فعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه، قال: «قلت يا رسول الله، بالذي بعثك بالحق، ما الذي بعثك به؟ قال: الإسلام، قلت: وما الإسلام؟ قال: أسلم قلبك لله، وأن توجه وجهك إلى الله...» الحديث<sup>(٢)</sup>.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ أوصى رجلاً فقال: «إذا أردت مضجعك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت. فإن متّ متّ على الفطرة»<sup>(٣)</sup>.

(١) الرسالة الوافية: (ص: ٨٨).

(٢) أخرجه أحمد: (٣/٥، ٤، ٥)، والنسائي: (٤/٥، ٨٢، ٨٣)، والطبراني في الكبير: (١٠٣٦/١٩)، وابن حبان: (١٦٠)، وصححه، وفي رواية عند النسائي: «قلت: وما آية الإسلام؟ قال: أن تقول، أسلمت وجهي لله وتخليت».

(٣) أخرجه البخاري: (٢٤٧)، (٦٣١١)، (٦٣١٣)، (٦٣١٥)، (٧٤٨٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: ما يقول عند النوم وأخذ مضجعه (٢٧١٠)، والبخاري في شرح السنة: (١٣١٦ - ١٣١٧)، وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: «وأراد بالفطرة دين الإسلام» (١٠٤/٥)، وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «وقوله: على الفطرة، أي على الدين القويم ملة إبراهيم، فإنه عليه السلام أسلم واستسلم... وقال ابن بطال وجماعة: المراد بالفطرة هنا دين الإسلام»، فتح الباري: (١٣٤/١١).

ولا يتحقق هذا المعنى إلا بشرطين عظيمين، هما الإخلاص لله عز وجل، وتجريد المتابعة للنبي ﷺ، وقد نصّ أهل العلم على أنهما - أي الإخلاص والاتباع - شرطاً لقبول الأعمال، لقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْفَقِيرُ﴾ [الملك: ٢].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى في قوله عز وجل ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: «أخلصه وأصوبه، ف قيل يا أبا عليّ، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إنّ العمل إذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، وإذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، حتّى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنّة»<sup>(١)</sup>. اهـ.

ويقول المولى تبارك وتعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

فقد ذكر الله تبارك وتعالى «أن الرسل بعد آدم ﷺ، وهو نوح ﷺ، وآخرهم وهو محمد ﷺ، ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم، وهو إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم... والدين الذي جاءت به الرسل كلّهم، هو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي الحديث: «نحن معشر الأنبياء أولاد علات يميننا واحد»<sup>(٣)</sup>، أي القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم... ولهذا قال تعالى هاهنا<sup>(٣)</sup>: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا

(١) انظر اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي رحمه الله تعالى رقم: (١٨)، (٢٠).

(٢) سبق تخريجه: (ص: ٤٣).

(٣) أي في آية الشورى المتقدمة.

نَفَرَقُوا فِيهِ، أَي وَصَّى اللَّهُ تَعَالَى جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْإِتِّلَافِ  
وَالْجَمَاعَةِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْإِفْتِرَاقِ وَالْإِخْتِلَافِ...»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا  
وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾، قَالَ: «وَصَّاهُمْ بِالْإِخْلَاصِ فِي عِبَادَتِهِ»<sup>(٢)</sup>.

فَالْإِنْقِيَادُ وَالْخُضُوعُ وَالذَّلُّ وَالِاسْتِسْلَامُ لِلَّهِ عَزَّ شَأْنُهُ هُوَ مَرْكَبُ الْعِبُودِيَّةِ،  
وَأَسَاسُ بَنَائِهَا الَّذِي لَا تَقُومُ إِلَّا عَلَيْهِ.

(١) انظر تفسير ابن كثير: (٩٧/٤).

(٢) انظر فتح الباري: (١٤/١).

[١٦] ويجيء الإسلام في لسان الشرع أيضاً بمعنى الأعمال الظاهرة الدالة بحسب الظاهر على الانقياد والإذعان، المبنية على التصديق التام، لما جاء في حديث سؤال جبريل عليه السلام، قال: «يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال جبريل: صدقت»، رواه مسلم وغيره<sup>(١)</sup>.

ويجيء الإسلام بمعنى الاستسلام في الظاهر دون إيمان في القلب، وهذا لا ينفع صاحبه، لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

ولحديث سعد: «أعطى رسول الله ﷺ رهطاً، وسعد جالس فيهم، قال: فترك رسول الله ﷺ منهم من لم يعطه وهو أعجبهم إليّ، قلت: يا رسول الله، مالك عن فلان؟ فوالله إنني لأراه مؤمناً، فقال رسول الله ﷺ: أو مسلماً، فسكت قليلاً، ثم غلبني ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان؟ فوالله إنني لأراه مؤمناً، فقال رسول الله ﷺ: أو مسلماً، فسكت قليلاً، ثم غلبني ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله، مالك عن فلان؟ فوالله إنني لأراه

(١) أخرجه مسلم: (١٥٧/١، نووي)، والنسائي: (٢٦٤/٢ - ٢٦٦)، والترمذي: (٢٨٣٨ تحفة)، وابن ماجه: (٦٣)، وأحمد: (٢٧/١، ٢٨، ٥٢، ٥٣)، وابن حبان: (١٦٨ - ١٧٣ الإحسان)، والبغوي في شرح السنة: (٢)، وغيرهم عن أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه.

وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري: (٥٠)، ومسلم: (١٦١/١، نووي)، وابن ماجه: (٦٤)، وأحمد: (٤٢٦/٢). وأخرجه النسائي: (٢٦٦/٢)، من حديث أبي هريرة وأبي ذر جميعاً.

ومن حديث ابن عباس رضي الله عنه عند أحمد: (٣١٩/١٢)، قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «إسناده حسن مع الشواهد»، انظر إرواء الغليل: (٣).

وتخريج الحديث غير مثبت في (ح).

مؤمناً، فقال رسول الله ﷺ: أو مسلماً، إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إلي منه خشية أن يكب في النار على وجهه»، رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

[١٦] مراد المصنّف رحمه الله تعالى أنّ الأعمال الظاهرة التي يقوم بها صاحبها وهو مؤمن، - قد رضي بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً -، هي التي تنفع صاحبها، لا تلك الأعمال والحركات الخالية من الإيمان والإخلاص شأن المنافقين، فإنّ الإيمان والإذعان والاستسلام والخوف والرجاء، هي الدوافع على الإتيان بالأعمال والاستمرار عليها.

وأما من كان قلبه قد أشرب الكفر والنفاق، ولم يطمئنّ بالإيمان، فمهما قام به من عمل وإن كثر، فإنّه لا ينفعه، كما قال الله سبحانه تعالى في المنافقين **أَنَّهُمْ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ** [المنافقون: ١].

«يقول تعالى مخبراً عن المنافقين أنّهم إنّما يتفوّهون بالإسلام إذا جاؤوا النبي ﷺ، فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك، بل على الضدّ من ذلك...» **﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ﴾**، أي فيما أخبروا به وإن كان مطابقاً للخارج، لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحّة ما يقولون ولا صدقه، ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم<sup>(٢)</sup>.

فمن أسلم لله تعالى صدقاً، فإنّ ذلك لا محالة يظهر في سلوكه وأعماله، وذلك بطاعة الله تعالى، واتباع رسوله ﷺ، والكفّ عمّا نهى عنه.

(١) في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: تأليف قلب من يخاف على إيمانه: (١/ ١٨٠ نووي)، وفي الزكاة، باب: إعطاء من يخاف على إيمانه: (٧/ ١٤٨)، وأبو داود: (٤٦٨٣) - (٤٦٨٥)، والنسائي: (٨/ ١٠٣، ١٠٤)، وأحمد: (١/ ١٧٩)، وابن حبان: (١٦٣) الإحسان.

(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٤/ ٣٣١).

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله عليه:

«من حقق الإيمان ورسخ في قلبه، قام بأعمال الإسلام، كما قال ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»<sup>(١)</sup>، فلا يتحقق القلب بالإيمان إلاّ وتنبعث الجوارح في أعمال الإسلام...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

والذي يلاحظ على الشيخ المصنّف رحمه الله تعالى، أنّ ما استدللّ به من آية الحجرات وحديث سعد رضي الله عنه، لا يدل على هذا المعنى<sup>(٣)</sup>، فإنّ الأعراب في الآية والرجل في الحديث، كانوا مسلمين غير منافقين.

ففي آية الحجرات «يقول تعالى منكراً على الأعراب الذين أوّل ما دخلوا في الإسلام ادّعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يتمكّن الإيمان في قلوبهم بعد»<sup>(٤)</sup>.

وفي حديث سعد رضي الله عنه «فرّق النبي ﷺ بين المؤمن والمسلم... ودلّ ذلك على أنّ ذاك الرجل كان مسلماً ليس منافقاً»<sup>(٥)</sup>، لأنّه تركه من العطاء ووكله إلى ما هو فيه من الإسلام، فدلّ هذا على أنّ هؤلاء الأعراب المذكورين في هذه الآية

(١) هو طرف من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: «إنّ الحلال بيّن وإنّ الحرام بيّن»، أخرجه البخاري: (٥٢)، (٢٠٥١)، ومسلم: (١٥٩٩)، وابن حبان: (٧٢١)، وغيرهم.

(٢) جامع العلوم والحكم: (١٠٨/١، ١٠٩).

(٣) وإنّما هو دليل لمن فرّق من أهل العلم بين الإسلام والإيمان، وأنّ كلّ مؤمن فهو مسلم لا العكس، وستأتي هذه المسألة إن شاء الله تعالى.

(٤) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (١٩٦/٤)، ثمّ قال: «وقد استفيد من هذه الآية الكريمة، أنّ الإيمان أخصّ من الإسلام، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدلّ عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام» اهـ. وظاهر كلامه التفرقة بين الإيمان والإسلام.

(٥) ومما يؤيد ذلك، أنّ الحافظ رحمه الله تعالى ذكر أنّ اسمه: جعيل، من المهاجرين، قال: «وروي في مسند محمد بن هارون الروياني، وغيره بسند صحيح إلى أبي سالم الجيشاني، عن أبي ذر، أنّ رسول الله ﷺ، قال له: «كيف ترى جعيلاً؟ قال: =

ليسوا بمنافقين، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادّعوا لأنفسهم مقاماً أعلى ممّا وصلوا إليه، فادّبووا في ذلك، وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما، وإبراهيم التخعي، وقتادة، واختاره الطبري<sup>(١)</sup>.

ولعلّ الذي جعل المصنّف رحمه الله تعالى يستدلّ بحديث سعد رضي الله عنه وآية الحجرات على هذا المعنى، ما ذهب إليه الإمام البخاري وغيره، من أنّ «أولئك الأعراب كانوا منافقين يظهرون الإيمان وليسوا كذلك... والصحيح الأول... ولو كانوا منافقين لعنّفوا وفضحوا كما ذكر المنافقون في سورة براءة»<sup>(٢)</sup>.

### فائدة:

قال القاضي عيّاظ رحمه الله تعالى:

«ليس مقال سعد مناقضاً للنبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لما قطع سعد على إيمانه، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أو مسلماً»، بمعنى أنّ هذه اللفظة التي تطلق على الظاهر أولى في الاستعمال، إذ السرائر مخفية لا يعلمها إلا الله عزّ وجلّ، وحكم النبي صلى الله عليه وسلم في أمته على الظواهر»<sup>(٣)</sup>.

= قلت: كشكله من الناس - يعني من المهاجرين -، قال: فكيف ترى فلاناً؟ قال: قلت، سيّد من سادات الناس، قال: فجعل خيراً من ملء الأرض من فلان» الحديث... فهذه منزلة جعل المذكور عند النبي صلى الله عليه وسلم كما ترى... اهـ، فتح الباري: (١١٠/١).

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (١٩٦/٤).

(٢) المرجع نفسه، وانظر جامع العلوم والحكم: (١٠٩/١، ١١٠، ١١٣)، والمذهب الثاني - أعني من وصفهم بالنفاق -، هو مذهب سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد، وقد أخرج الإمام البخاري حديث سعد رضي الله عنه تحت باب: إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، وكان على الاستسلام أو الخوف والقتل. انظر فتح الباري لابن حجر رحمه الله تعالى: (١٠٨/١).

(٣) كتاب الإيمان من الإكمال: (٥٩٢/١)، وانظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١٠٩/١ - ١١٠).

## بيان معنى الإيمان

[١٧] الإيمان في اللغة: هو التصديق، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧].

[١٧] ذكر هذا المعنى اللغوي للإيمان الإمام ابن منظور رحمه الله تعالى في لسان العرب<sup>(١)</sup>.

إلا أن الصحيح أن الإيمان في اللغة: التصديق وزيادة، يقول الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى:

«يقول كثير من الناس إنه التصديق، فصَدَقْتَ وآمَنْتَ بمعناها لغة واحد، وقد سبق لنا في التفسير أن هذا القول لا يصح، بل الإيمان في اللغة: الإقرار بالشيء عن تصديق به، بدليل أنك تقول: آمَنْتَ بكذا، وأقررت بكذا، وصَدَقْتَ فلاناً، ولا تقول: آمَنْتَ فلاناً.

إذن، فالإيمان يتضمن معنى زائداً على مجرد التصديق، وهو الإقرار واعتراف المستلزم للقبول للأخبار، والإذعان للأحكام»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقد أشار إلى هذا المعنى الذي ذكره الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى الإمام أبو عمرو الداني رحمه الله عليه قائلاً:

«والدليل على أن الإيمان هو: الإقرار والتصديق، قوله جلّ جلاله: ﴿وَمَا

(١) (١٦٢/٦).

(٢) شرح العقيدة الواسطية: (١/ ٥٤ - ٥٥)، (٢/ ٢٣٠).

أَنْتَ يَمْؤُمِنِ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَدِيقِينَ»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وممن أشار إلى هذا المعنى أيضاً، إمام المفسرين أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى في كتابه «التبصير في معالم الدين»، حيث قال:

«الإيمان اسم للتصديق كما قالته العرب، وجاء به كتاب الله تعالى ذكره خبراً عن إخوة يوسف من قيلهم لأبيهم يعقوب: ﴿وَمَا أَنْتَ يَمْؤُمِنِ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَدِيقِينَ﴾ بمعنى: ما أنت بمصدق لنا على قیلنا، غير أن المعنى الذي يستحق به اسم المؤمن بالإطلاق هو الجامع لمعاني الإيمان، وذلك أداء جميع فرائض الله تعالى ذكره، من معرفة وإقرار وعمل...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ويقول الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى، وهو يتكلم عن الفرق بين الإيمان والإسلام:

«والتحقيق في الفرق بينهما: أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته، والإسلام هو استسلام العبد وخضوعه وانقياده...»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

ويقول الإمام السعدي رحمه الله عليه:

«أما حدّ الإيمان وتفسيره فهو: التصديق الجازم، والاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به، والانقياد ظاهراً وباطناً، فهو تصديق القلب واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب وأعمال البدن، وذلك شامل للقيام بالدين كله...»<sup>(٤)</sup>. اهـ.

(١) الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات: (ص: ٤٥)، وانظر معارج القبول: (٢/٥٩٤).

(٢) (ص: ١٩٠)، وهكذا نصّ عليها في تفسير آية سورة يوسف ﷺ في تفسيره الكبير: (١٢/٩٧)، كما أفاده محقق التبصير في معالم الدين، جزاه الله خيراً.

(٣) جامع العلوم والحكم: (١/١٠٨).

(٤) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان: (ص: ٧).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عدّة أوجه على عدم ترادف لفظ الإيمان والتصديق.

منها: أنّ لفظ الإيمان ليس مرادفاً للفظ التصديق في المعنى، فإنّ كلّ مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال: كذبت، فمن قال: السماء فوقنا، قيل له: صدق، كما يقال: كذب.

وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلّا في الخبر عن الغائب، فلم يوجد في الكلام أنّ من أخبر عن مشاهدة، كقوله: طلعت الشمس وغربت، أنّه يقال: أمّناه، كما يقال: صدقناه.

ومنها: أنّ لفظ الإيمان في اللغة، لم يقابل بالتّكذيب كلفظ التصديق، بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر...<sup>(١)</sup>.

ف«مّا ينبغي أن يعلم أنّ الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث، إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النّبي ﷺ، لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم... واسم الإيمان، والإسلام، والتّفاق، والكفر، هي أعظم من هذا كلّها، فالنّبي ﷺ قد بيّن المراد بهذه الألفاظ بياناً لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق، وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك، فلهذا يجب الرجوع في مسمّيات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله، فإنّه شاف كاف... وهذه طريقة سائر الأئمة المسلمين، لا يعدلون عن بيان الرسول إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً، ومن عدل عن سبيلهم وقع في البدع التي مضمونها أن يقول على الله ورسوله ما لا يعلم، أو غير الحق، وهذا ممّا حرّمه الله ورسوله...»<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع كتاب الإيمان: (ص: ٢٢٧ وما بعدها).

(٢) من كلام شيخ الإسلام، انظر كتاب الإيمان: (ص: ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦).

[١٨] محل الإيمان - بمعنى التصديق الجازم - هو القلب، لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، وقوله (١): ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَزَّابَتْ قُلُوبُهُمْ فُهِمَ فِي رَيْبِهِمْ يَتَذَدُّونَ﴾ [التوبة: ٤٥].

ولحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الله أهل الجنة الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خردل من إيمان، فأخرجوه»، رواه مسلم (٢).

[١٨] لقد خلق الله تعالى القلب، وجعله محلاً ومستقراً للإيمان، وهو زينه، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عوراتهم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته، يفضحه في بيته» (٣).

(١) كلمة «ولقوله» غير مثبتة في (ص).

(٢) في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: إثبات الشفاعة (٣٨/٢ نووي)، والبخاري: (٢٢ - ٤٥٨١ - ٦٥٦٠)، وابن حبان: (١٨٢ - ٢٢٢)، وأبو عوانة في مسنده: (١٨٥/١)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٦٠)، والبخاري في شرح السنة: (٤٣٥٧)، وابن منده في الإيمان: (٣/٥١، ٥٢، ٥٣)، وأبو نعيم في الحلية: (٦/٣٥٠، ٣٥١).

(٣) أخرجه أحمد: (٤/٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٤)، وأبو داود: (٤٨٥٩)، قال محققاً جامع العلوم والحكم وفقهما الله: «وسنده حسن في الشواهد، وهذا منها» (٢/٢٩٢)، وقال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى: «وخرج الترمذي معناه من حديث ابن عمر»، جامع العلوم: (٢/٢٩٢)، وقال محققاً الجامع: «رواه الترمذي: (٢٠٣٢)، وقال: حسن غريب، وهو كما قال، وصححه ابن حبان: (٥٧٦٣)، وهو شاهد لما قبله، وفي الباب عي البراء بن عازب عند أبي يعلى: (١٦٧٥)هـ، انظر هامش: (١) و(٢) من الجزء الثاني من جامع العلوم والحكم: (٢/٢٩٢).

.....

وسئل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، هل كانت الصحابة يضحكون؟ فقال: نعم، والإيمان في قلوبهم أمثال الجبال<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«أصل الإيمان في القلب، وهو قول القلب وعمله، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد، وما كان في القلب فلا بد أن يظهر موجهه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجهه ومقتضاه، دلّ على عدمه أو ضعفه...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

«فإن الله سبحانه غرس شجرة محبته ومعرفته وتوحيده في قلوب من اختارهم لربوبيته، واختصهم بنعمته، وفضلهم على سائر خليقته، فهي ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ تُوَقَّى أَكْلُهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا» [إبراهيم: ٢٤ - ٢٥] فكذلك شجرة الإيمان، أصلها ثابت في القلب، وفروعها الكلم الطيب والعمل الصالح في السماء، فلا تزال هذه الشجرة تخرج ثمرها كل وقت بإذن ربها، من طيب القول، وصالح العمل، ما تقرّ به عيون صاحب الأصل، وعيون حفظته، وعيون أهله، وأصحابه ومن قرب منه...»<sup>(٣)</sup>.

وقد فرض الله تعالى على القلب الإيمان الذي هو التصديق والمعرفة والإقرار.

يقول الإمام الأجرّي رحمه الله تعالى:

«فأما ما لزم القلب من فرض الإيمان، فقول الله تعالى: ﴿يَتَّيِبَهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنَكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنًا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَكَّوْنَ لِلْكَذِبِ سَكَّوْنَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/٣١١)، وانظر جامع العلوم والحكم: (١/١١٤).

(٢) مجموع الفتاوى: (٧/٦٤٤).

(٣) من كلام ابن القيم رحمه الله تعالى، انظر طريق الهجرتين: (ص: ١٦، ١٧).

يُحَرِّقُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَأَحْذَرُوا  
وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتُمْ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ  
يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾  
[المائدة: ٤١]، وقال عز وجل: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ  
وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ  
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [التحل: ١٠٦]... فهذا يدلُّك أنَّ على القلب فرض الإيمان  
وهو التصديق والمعرفة...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

### فائدة:

يُذكر عن الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى، أنَّه قال: «الإيمان ليس  
بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل»، لكنَّه ضعيف لا يثبت عنه<sup>(٢)</sup>.  
وكذا ما يروى عن النَّبِيِّ ﷺ، أنَّه قال: «الإيمان مثبت في القلب، كالجبال  
الزَّوَّاسِي، وزِيَانَتُهُ ونقصه كفر»، فهو موضوع<sup>(٣)</sup>.

(١) الشريعة: (ص: ١٣٦)، وانظر الإبانة للإمام بطة رحمه الله تعالى: (٢/ ٧٦٠، ٧٦٤).

(٢) انظر السلسلة الضعيفة للشيخ الألباني رحمه الله تعالى رقم: (١٠٩٨).

(٣) انظر الموضوعات للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى: (١/ ١٣١)، والآلِيء المصنوعة  
للإمام السيوطي رحمه الله تعالى: (١/ ٣٨)، والسلسلة الضعيفة للألباني رحمه الله تعالى  
رقم: (٤٦٤).

[١٩] ويجيء لفظ الإيمان في لسان الشرع مراداً به التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، حلوه ومره، لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] (١).

ولحديث سؤال جبريل عليه السلام، قال للنبي ﷺ: «... أخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره، حلوه ومره» رواه مسلم (٢).

[١٩] هذه هي الأصول الستة للإيمان التي فُسر بها، وهي أصول الاعتقادات الباطنة، فبذلك فسر رسول الله ﷺ الإيمان، تؤمن بذلك ولا نرتاب.

وهذا هو البر الذي مدح الله تعالى صاحبه، قال عز وجل: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ بِقَلِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فقد «اشتملت هذه الآية الكريمة على جمل عظيمة، وقواعد عميمة، وعقيدة مستقيمة... فإن من اتصف بهذه الآية، فقد دخل في عرى الإسلام كلها، وأخذ بمجامع الخير كله، وهو الإيمان بالله وأنه لا إله إلا هو، وصدق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله.

(١) قال الأستاذ محمد الصالح رمضان في تعليقه على العقائد الإسلامية عند هذا الموضع: (لم يذكر اليوم الآخر هنا، ولكن ذكر في آخر الآية: ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾... اهـ). قلت: وأما الإيمان بالقدر ففي قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، وكسب الإنسان واكتسابه بقدر الله تعالى، والله أعلم.

(٢) سبق تخريجه، انظر: (ص: ٩٣).

والكتاب هو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء، حتى ختمت بأشرفها، وهو القرآن المهيم على ما قبله من الكتب، الذي انتهى إليه كل خير، واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة، ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله.

وآمن بأنبياء الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين...»<sup>(١)</sup>.

(١) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (١/١٨١)، وسيأتي الكلام على هذه الأصول إن شاء الله تعالى.

[٢٠] ويجيء الإيمان في لسان الشرع أيضاً مراداً به الأعمال الظاهرة، من الأقوال والأفعال المبنية على التصديق واليقين، لحديث وفد عبد القيس، قال ابن عباس رضي الله عنهما <sup>(١)</sup>: «أمرهم النبي ﷺ بالإيمان وحده، وقال ﷺ: هل تدرون ما الإيمان؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدّوا خمساً من المغنم...»، رواه البخاري ومسلم <sup>(٢)</sup>.

[٢٠] لقد أجمع السلف الصالح على أن جميع الأعمال من الإيمان، وأنكروا إنكاراً شديداً على من أخرج الأعمال عن الإيمان، فقد «حكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم... وممن أنكر ذلك على قائله <sup>(٣)</sup>، وجعله قولاً محدثاً: سعيد بن جبير، وميمون بن مهران، وقتادة، وأيوب السختياني، وإبراهيم النخعي، والزهري، ويحيى بن أبي كثير، وغيرهم. وقال الثوري: هو رأي محدث، أدركنا الناس على غيره.

وقال: الأوزاعي: كان من مضى ممن سلف، لا يفرّق بين الإيمان والعمل...» <sup>(٤)</sup>.

(١) في (ح) ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري: (٥٣ - ٨٧ - ٥٢٣ - ١٣٩٧...)، ومسلم في الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله، (١/ ١٨١ نووي)، وأبو داود: (٤٦٧٧ - ٣٦٩٢)، والترمذي: (١٦٤٧ - ٢٧٤١ تحفة)، والنسائي: (٨/ ١٢٠، ٣٢٣)، والبيهقي في السنن: (٤/ ١٩٩)، (٦/ ٢٩٤، ٣٠٣)، وفي شعب الإيمان: (١٨ - ٤٣٢٧ - ٤٣٢٨)، وأحمد: (١/ ٢٢٨ - ٣٦١)، والبغوي في شرح السنة: (٢٠)، وغيرهم.

وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عند مسلم: (١/ ١٨٩ نووي)، وأحمد: (٣/ ٢٣)، وابن حبان: (٤٥٢٤ إحسان)، وابن منده في الإيمان: (١/ ٢٣٢، ٣٠٧)، وانظر غوث المكذود للشيخ أبي إسحاق الحويني حفظه الله تعالى ونفع به: (٢/ ٢٩).

(٣) أي ممن أنكر القول بعدم دخول الأعمال في الإيمان.

(٤) انظر جامع العلوم والحكم: (١/ ١٠٤).

وقد سَمَّى الله تعالى الصلاة التي هي أعظم الأعمال إيماناً، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالْكَاسِرِينَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

«باب: الصلاة من الإيمان، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾ يعني صلاتكم عند البيت»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «أفضل الأعمال: إيمان بالله، ثمَّ جهاد في سبيل الله»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله، أيّ العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله وجهاد في سبيله»<sup>(٣)</sup>.

فقوله ﷺ: «إيمان بالله»، جواباً على: «أيّ العمل أفضل؟» دال على أن الاعتقاد والنطق من جملة الأعمال<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري: (١/١٢٨)، وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «... في هذا الحديث - قلت: أي حديث تحويل القبلة الذي أخرجه البخاري: (٤٠) - من الفوائد، الردّ على المرجئة في إنكارهم تسمية أعمال الدين إيماناً...»، فتح الباري: (١/١٣٢).

(٢) أخرجه البخاري: (٢٦ - ١٥١٩)، وأحمد: (٢/٢٦٨)، وابن حبان: (١٥٣)، وقد أخرج الإمام البخاري رحمه الله تعالى الحديث تحت باب: «من قال إنّ الإيمان هو العمل».

(٣) أخرجه البخاري: (٢٥١٨)، وأحمد: (٥/١٥٠)، والنسائي: (٦/١٩)، وابن حبان: (١٥٢).

(٤) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١/١٠٦)، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً.

وقال الإمام الحافظ الجوال ابن منده رحمة الله عليه:

«قال أهل الجماعة: الإيمان هي الطاعات كلّها، بالقلب واللسان وسائر الجوارح، غير أنّ له أصلاً وفرعاً.

فأصله المعرفة بالله والتّصديق له وبه، وبما جاء من عنده، بالقلب واللسان مع الخضوع له، والحبّ له والخوف منه، والتّعظيم له، مع ترك التّكبر والاستنكاف والمعاندة، فإذا أتى بهذا الأصل، فقد دخل في الإيمان، ولزمه اسمه وأحكامه، ولا يكون مستكماً له حتّى يأتي بفرعه، وفرعه المفترض عليه، أو الفرائض، واجتناب المحارم...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:

«وفي الحديث<sup>(٢)</sup> بيان أنّ الأعمال من الإيمان، حيث فسّر الإيمان بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وإعطاء الخمس من الغنمة...»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

فاسم الإيمان يتناول ما فسّر به الإسلام، كما يتناول سائر الطاعات، حيث أنّها ثمرات للتّصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان، ومن أجل هذا أورد هنا تفسير الإيمان بالشهادتين، والصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، وإعطاء الخمس من المغنم<sup>(٤)</sup>.

«ولا يقال إنّ بين تفسير النّبي ﷺ الإيمان في حديث جبريل، وتفسيره إياه

(١) كتاب الإيمان: (١/٢٣١)، وانظر كتاب الصلاة للإمام المروزي رحمه الله تعالى: (ص:

١٢٧، ١٢٨)، وشرح العقيدة الطحاوية: (٢/٥١٣).

(٢) أي حديث وفد عبد القيس المتقدم.

(٣) شرح السنة: (١/٤٧).

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٢/٢٨٧) وما بعدها.

في حديث وفد عبد القيس معارضة، لأنه فسر الإيمان في حديث جبريل بعد تفسير الإسلام، فكان المعنى أنه: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، مع الأعمال التي ذكرها في تفسيره قبل ذكره، بخلاف حديث وفد القيس، لأنه فسر ابتداءً، لم يتقدم قبله تفسير الإسلام...»<sup>(١)</sup>.

فالحاصل أن حديث وفد عبد القيس «صريح في إدخاله الشرائع الظاهرة بالإيمان، مثل الصلاة والزكاة والصيام وإعطاء الخمس من المغنم، وكلّ هذا يفسّر لنا الإيمان تفسيراً يزيل الإشكال، وأنه كما يدخل فيه العقائد القلبية، فتدخل فيه الأعمال البدنية، فكلّ ما قرّب إلى الله من قول وعمل واعتقاد، فإنه من الإيمان»<sup>(٢)</sup>.

ولذلك قال الإمام ابن أبي العز رحمة الله تعالى: «وأيّ دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

وقد فرض الله تعالى الإيمان على كلّ جارحة من جوارح العبد، يقول الإمام ابن بطة رحمه الله تعالى:

«فرض الله الإيمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها، وفرقه فيها، فليس من جوارحه إلّا وهي موكّلة من الإيمان بغير ما وكلت به صاحبته، فمنها قلبه الذي يعقل به ويتقي به ويفهم به، وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر

(١) المرجع السابق: (٥١٣/٢).

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للإمام السعدي - رحمه الله تعالى -: (ص: ١٨)، ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى معلقاً على حديث وفد عبد القيس: «ففي هذه القصة: أن الإيمان بالله هو مجموع هذه الخصال من القول والعمل، كما على ذلك أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون، وتابعوهم كلّهم، كما ذكره الشافعي في «المبسوط»، وعلى ذلك ما يقارب مائة دليل من الكتاب والسنة» اهـ. زاد المعاد: (٥٢٩/٣).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: (٤٨٧/٢).

.....

إلا عن رأيه وأمره، ومنها لسانه الذي ينطق به، ويداه اللتان يبطش بهما، ورجلاه اللتان يخطو بهما... فليس من هذه جارحة إلا وهي موكّلة من الإيمان بغير ما وُكّلت به صاحبته بفرض من الله تعالى، ينطق به الكتاب، ويشهد به عليها<sup>(١)</sup>. اهـ.

وعليه «فمن لقي الله حافظاً لجوارحه موقياً كلّ جارحة من جوارحه ما فرض الله عليها، لقي الله مؤمناً مستكمل الإيمان، ومن ضيّع شيئاً منها وتعدّى ما أمر الله به فيها، لقي الله تعالى ناقص الإيمان، وهو في مشيئة الله، إن شاء غفر له، وإن شاء عذّبه، ومن جحد شيئاً كان كافراً»<sup>(٢)</sup>.

(١) الإبانة: (٢/ ٧٦٥، ٧٦٦).

(٢) المرجع نفسه: (٢/ ٧٧١).

[٢١] قد توارد لفظ الإسلام ولفظ الإيمان على اعتقاد القلب الجازم، والأعمال الظاهرة من قول وغيره، المبنية على الاعتقاد، لحديث جبريل المتقدم في تفسير الإسلام، وحديث وفد عبد القيس المتقدم في تفسير الإيمان.

[٢١] هذا جمع حسن من المصنّف رحمه الله تعالى لنصوص الكتاب والسنة، فقد مرّ معنا أنّ النبي ﷺ فسّر الإيمان بما فسّر به الإسلام، وفسّر الإسلام بما فسّر به الإيمان، وذلك أنّه فسّر الإسلام في حديث جبريل ﷺ بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالمعتقدات الباطنة، وفسّر الإيمان في حديث وفد عبد القيس، بما فسّر به الإسلام في حديث جبريل ﷺ، أي بالأعمال الظاهرة.

وهذا يتّضح بتقرير أصل:

وهو أنّ من الأسماء ما يكون شاملاً لمسمّيات متعدّدة عند إفراده إطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسمّيات، والاسم المقرون به دال على باقيها.

وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كلّ من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر دلّ أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات، والآخر على باقيها فهكذا اسم الإيمان، إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودلّ بانفراده على ما يدلّ عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما دلّ أحدهما على بعض ما يدلّ عليه بانفراده، ودلّ الآخر على الباقي، وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة.

قال أبو بكر الإسماعيلي في رسالته إلى أهل الجبل: قال كثير من أهل السنة والجماعة، إنّ الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كلّ اسم على حدته مضموماً إلى الآخر، فقليل المؤمنون والمسلمون جميعاً مفردين، أريد بأحدهما معنى لم يرد بالآخر، وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكلّ وعمّهم.

وقد ذكر هذا المعنى أيضاً الخطابي في كتابه «معالم السنن»<sup>(١)</sup>، وتبعه عليه جماعة من العلماء من بعده.

ويدلّ على صحّة ذلك، أنّ النّبِيَّ ﷺ فسّر الإيمان عند ذكره مفرداً في حديث وفد عبد القيس بما فسّر به الإسلام المقرون بالإيمان في حديث جبريل، وفسّر في حديث آخر الإسلام بما فسّر به الإيمان، كما في مسند الإمام أحمد<sup>(٢)</sup>، عن عمرو بن عبسة، قال: «جاء رجل إلى النّبِيَّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: أن تسلم قلبك لله، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويديك، قال: فأيّ الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان، قال: وما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، قال: فأيّ الإيمان أفضل؟ قال: الهجرة، قال: فما الهجرة؟ قال: أن تهجر السوء، قال: فأيّ الهجرة أفضل؟ قال: الجهاد».

فجعل النّبِيَّ ﷺ الإيمان أفضل الإسلام، وأدخل فيه الأعمال، وبهذا التحقيق يظهر تحقيق القول في مسألة الإسلام والإيمان، هل هما واحد، أم هما مختلفان...»<sup>(٣)</sup>.

(١) (٣١٣/٤).

(٢) (١١٤/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رجاله ثقات» (٥٩/١)، نقلاً عن هامش جامع العلوم والحكم: (١٠٦/١).

(٣) جامع العلوم والحكم: (١٠٥/١، ١٠٦، ١٠٧)، وراجع شعب الإيمان للإمام البيهقي: (٥٠/١ - ٥٥)، وشرح السنة للإمام البغوي: (١٠/١، ١١)، وشرح العقيدة الطحاوية: (٤٨٧/٢)، وكتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص: ١٥).

## تحصيل ممّا تقدّم

[٢٢] الدين كلّهُ عقد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح الظاهرة والباطنة:

- وكلّ واحد من الثلاثة يسمّى إيماناً باعتبار، ويسمّى إسلاماً باعتبار.
- ١ - فعقد القلب، يسمّى إيماناً لأنّه تصديق، ويسمّى إسلاماً لأنّ عقد القلب على الشيء إذعان وخضوع له.
- ٢ - ونطق اللسان بالشهادتين يسمّى إيماناً، لأنّه دليل على التصديق، ويسمّى إسلاماً لأنّه دليل على الخضوع والانقياد.
- ٣ - والزكاة مثلاً: تسمّى إيماناً لأنها مبنية على التصديق، وثمره من ثمراته، وتسمّى إسلاماً لأنها انقياد وإذعان.
- ٤ - والحبّ في الله مثلاً: يسمّى إيماناً لأنّه مبنيّ على التصديق، وثمره من ثمراته، ويسمّى إسلاماً لأنّه انقياد وإذعان<sup>(١)</sup>.

---

[٢٢] لا شك أنّ عقد القلب، ونطق اللسان، وعمل الجوارح من الدين، وقد فرض الله تعالى على القلب الإيمان والإسلام، فالإيمان أصله في القلب ووظيفته التصديق والمعرفة والإقرار.

---

(١) الحب في الله بتمامه غير مثبت في (ح).

وفرض أيضاً على القلب الإسلام والانقياد والإخلاص، كما قال رسول الله ﷺ، لما سأله معاوية بن حيدة رضي الله عنه عن الإسلام؟: «أن تسلم قلبك لله»<sup>(١)</sup>، وبذلك يحصل اطمئنان القلب.

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال في خطبته بالخيف من منى: «ثلاث لا يغفل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»<sup>(٢)</sup>.

ومن عمل القلب، الحب في الله تعالى، وهو من أوثق عرى الإيمان، كما قال رسول الله ﷺ: «إن أوثق عرى الإيمان، أن تحب في الله، وتبغض في الله»<sup>(٣)</sup>.

وفرض الله تعالى على اللسان الإيمان، كما قال الله جلّ جلاله: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّهِمْ وَلَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَكُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

فقد أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة المؤمنين أن يقولوا بالستهم: آمنا، وذلك فرض الإيمان على اللسان.

(١) تقدم تخريجه انظر: (ص: ٩٠).

(٢) أخرجه أحمد: (٨/١، ٨٢)، والدارمي: (٧٤/١، ٧٥)، والطبراني في الكبير: (١٥٤١)، والحاكم في المستدرک: (٨٧/١)، وفيه عن عنة محمد بن إسحاق.

وله شاهد من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه عند أحمد: (١٨٣/٥)، وابن ماجه: (٢٣٠)، وابن حبان: (٢٧ - ٦٨٠) وصححه، فهو صحيح لغيره بشواهد كما قال محقق جامع العلوم والحكم، وانظر مجمع الزوائد للإمام الهيثمي: (١٣٧/١، ١٣٩).

(٣) أخرجه أحمد: (٢٨٦/٤)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ﴾... الآية»<sup>(١)</sup>.

وأما فرض الإسلام على اللسان، فلحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»<sup>(٢)</sup>.

فاللسان هو الذي يعبر عما في القلب من إيمان، ولذلك قال الحافظ رحمه الله تعالى:

«وخصّ اللسان بالذكر، لأنه المعبر عما في النفس»<sup>(٣)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أيضاً، أن رجلاً سأل النبي ﷺ، أي الإسلام خير؟ قال: «أن تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: (٤٤٨٥ - ٧٢٦٢ - ٧٥٤٢)، والبيهقي في شرح السنة: (١٢٥).  
(٢) أخرجه البخاري: (١٠ - ٦٤٨٤)، ومسلم: (٤٠)، والترمذي: (٢٦٢٩)، والنسائي: (٨/١٠٥)، وأحمد: (٢/١٦٠، ١٦٣، ١٩١، ٢٠٥، ٢٠٦)، والبيهقي في شرح السنة: (١٢).  
وله شاهد من حديث جابر رضي الله عنه، عند مسلم: (٤١)، والإمام أحمد في المسند: (٣/١٥٤).  
ومن حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أخرجه البخاري: (١١)، ومسلم: (٤٢)، والبيهقي: (١٣).

(٣) فتح الباري: (١/٧٥)، ثم قال رحمه الله تعالى: «... وفي التعبير باللسان دون القول نكتة، فيدخل فيه من أخرج لسانه على سبيل الاستهزاء».

(٤) أخرجه البخاري: (١٢ - ٢٨ - ٦٢٣٦)، ومسلم: (١٥٩)، وأبو داود: (٥١٩٤)، وابن ماجه: (٣٢٥٣)، وأحمد: (٢/٦١٩)، وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «وتقرأ، لفظ مضارع القراءة، بمعنى: تقول. قال أبو حاتم السجستاني: تقول، اقرأ عليه السلام، ولا تقول أقرئه السلام، أي اجعله يقرأه». فتح الباري: (١/٧٨).

.....

فأرشد ﷺ إلى استعمال اللسان فيما يؤلف بين المسلمين، وذلك خير الإسلام.

وأما أعمال الجوارح، كالزكاة وغيرها، فقد مرّ معنا أنّها من الإيمان، بل هي من مباني ودعائم الإسلام<sup>(١)</sup>.

---

(١) قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه: [باب: الزكاة من الإسلام، وقوله: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة»، قال الحافظ رحمه الله تعالى: «... والآية دالة على ما ترجم له، لأن المراد بقوله: «دين القيّمة»، دين الإسلام، والقيّمة: المستقيمة، وقد جاء بمعنى استقام في قوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾، أي مستقيمة]. اهـ. فتح الباري: (١/١٤٢).

[٢٣] الإيمان في الوضع الشرعي: هو قول باللسان، وعمل بالقلب، وعمل بالجوارح، فمن استكمل ذلك استكمل الإيمان، ومن لم يستكمله لم يستكمل الإيمان، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

ولقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، رواه الشيخان عن أنس<sup>(١)</sup>.

ولقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده

(١) أخرجه البخاري: (١٣)، ومسلم: (١٦/٢ نووي)، والترمذي: (٢٦٣٤ تحفة)، والنسائي: (٢٧١/٢، ٢٧٤)، والدارمي: (٣٠٧/٢)، وابن ماجه: (٦٦)، والطيالسي: (٢٠٠٤)، والبغوي في شرح السنة: (٣٤٧٤)، وغيرهم. وذكر الصحابي غير مثبت في (ج).

وأخرجه النسائي: (١١٥/٨، ١٢٥)، وابن حبان: (٢٣٤)، والبغوي في شرح السنة: (٣٤٧٤)، بزيادة: «من الخير»، آخر الحديث، وهي عند الإسماعيلي من طريق روح، عن حسين المعلم، عن قادة، عن أنس، كما قال محققاً شرح السنة: (٦٠/١٣)، وإسنادها صحيح، كما في السلسلة الصحيحة: (٧٣).

وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «واعلم أن هذه الزيادة: «من الخير»، زيادة هامة تحدد المعنى المراد من الحديث بدقة، إذ إن كلمة «الخير»، كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدنيوية والأخروية، وتخرج المنهيات، لأن اسم الخير لا يتناولها كما هو واضح، فمن كمال خلق المسلم أن يحب لأخيه المسلم من الخير مثلما يحب لنفسه، وكذلك أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر، وهذا وإن لم يذكره في الحديث، فهو مضمونه، لأن حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه، فترك التنصيص عليه اكتفاءً، كما قال الكرماني ونقله الحافظ في فتح الباري (٥٤/١) وأقره.

وقد عزا هذه الزيادة بعض المتأخرين للشيخين، وذلك من جهلهم بهذا العلم. انظر السلسلة الصحيحة: (١٥٩/١/١).

والنَّاسُ أَجْمَعِينَ»، رواه الشَّيْخَانُ عَنْ أَنَسٍ<sup>(١)</sup>.

ولقوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»، رواه الشَّيْخَانُ رَحِمَهُمَا اللهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(٢)</sup>.

[٢٣] هذا الباب العظيم من أصول عقائد السلف وأهل الحديث.

وقد اتَّفَقَ الصحابة رضي الله عنهم والتابعون رحمهم الله تعالى ومن بعدهم من علماء السنة على ذلك.

(١) أخرجه البخاري: (١٤ - ١٥)، ومسلم: (١٥/٢ نووي)، والنسائي: (١١٤/٨، ١١٥)، وابن ماجه: (٦٧)، وأحمد: (١٧٧/٣، ٢٠٧، ٢٧٥، ٢٧٨)، وأبو عوانة: (٣٣/١)، (٣٠٧/٢)، والبيهقي في شرح السنة: (٢٢)، وغيرهم. وذكر الصحابي غير مثبت في (ح).

وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند النسائي: (١١٥/٨)، والبيهقي في شعب الإيمان: (١٣٨٣)، وصححه الألباني، انظر صحيح النسائي: (٤٦٤٢). ومن حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند أحمد: (٢٣٣/٤، ٣٣٦)، والبيهقي في الشعب: (١٣٨١ - ١٣٨٢).

ومن حديث أبي حنيفة بن عتبة رضي الله عنه عند الحاكم في المستدرک: (٤٨٦/٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وقال الألباني: «إسناده حسن»، انظر السلسلة الصحيحة: (٦٦/٢).

(٢) أخرجه البخاري: (٩)، ومسلم: (٣/٢، ٦ نووي)، وأبو داود: (٤٦٦٢)، والترمذي: (٢٧٤٦ تحفة)، والنسائي: (١١٠/١)، وابن ماجه: (٥٧)، وأحمد: (٤١٤/٢، ٤٤٥)، وفي لفظ عنده: «إمطة العظم من الطريق»، وغيرهم. ولم يذكر في (ح) الترحم على الشيخين، والترضي على أبي هريرة.

وانظر شعب الإيمان: (٣٤/١)، والسلسلة الصحيحة: (١٧٦٩)، لتقف على أقوال أهل العلم في الاختلاف الواقع في الروايات.

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى عليه :

«حكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم ممن أدركهم»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال الإمام البخاري رحمه الله تعالى :

«لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم - فذكر أنفساً، ثم قال - واكتفينا بتسمية هؤلاء كي يكون مختصراً، وأن لا يطول ذلك، فما رأيت واحداً منهم يختلف في هذه الأشياء: أن الدين قول وعمل»<sup>(٢)</sup>.

بل كان رحمه الله رحمة واسعة، لا يروي الحديث إلا عمّن كان يقول: الإيمان قول وعمل<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى :

«وعلى مثل هذا القول كان سفيان، والأوزاعي، ومالك بن أنس، ومن بعدهم من أرباب العلم، وأهل السنة الذين كانوا مصابيح الأرض، وأئمة العلم في دهرهم، من أهل العراق والحجاز والشام وغيرها، راژين<sup>(٤)</sup> على أهل البدع كلها، ويرون الإيمان قولاً وعملاً»<sup>(٥)</sup>.

(١) جامع العلوم والحكم: (١/١٠٤).

(٢) انظر اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي: (١/١٩٥، ١٩٦) وما بعدها، وقد نقل عن الإمام أبي زرة وغيره مثل قول الإمام البخاري رحمه الله على الجميع، وراجع فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١/٦٦).

(٣) انظر هدي الساري مقدمة فتح الباري: (ص: ٦٧٠).

(٤) أي عابئين.

(٥) كتاب الإيمان: (ص: ٣٥)، وانظر شرح العقيدة الطحاوية: (٢/٤٥٩)، والرسالة الوافية لأبي عمرو الداني: (ص: ٨١)، والشريعة للأجري: (٢/٦١١)، وفتح الباري لابن رجب: (١/٥)، وفتح الباري لابن حجر: (١/٦٥).

وقد اختلفت عبارات السلف رحمهم الله تعالى في تفسير الإيمان، «فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل واتباع وسنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح. وكلّ هذا صحيح، فإذا قالوا: قول وعمل، فإنه يدخل في القول، قول القلب واللسان جميعاً... والمقصود هنا أنّ من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب<sup>(١)</sup> واللسان، وعمل القلب والجوارح، ومن رأى الاعتقاد، رأى أنّ لفظ القول لا يفهم منه إلّا القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب.

ومن قال: قول وعمل ونية، قال القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك.

ومن زاد اتباع السنة، فلأنّ ذلك كلّه لا يكون محبوباً لله إلّا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كلّ قول وعمل، إنّما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الردّ على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم، كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: «قول وعمل ونية وسنة، لأنّ الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل، فهو كفر، وإذا كان قولاً وعملًا بلا نية، فهو نفاق، وإذا كان قولاً وعملًا ونية بلا سنة، فهو بدعة»...<sup>(٢)</sup>.

فلا يكون العبد مؤمناً حتّى يجمع هذه الخصال الثلاث ويستكملها، قال الإمام الأجرى رحمه الله تعالى:

«ثمّ اعلموا أنّه لا تجزي المعرفة بالقلب والتصديق، إلّا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزي معرفة القلب ونطق اللسان، حتّى يكون عمل الجوارح، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث كان مؤمناً، دلّ على ذلك القرآن

(١) قول القلب هو إقراره ومعرفته وتصديقه، وعمله هو انقياده لما صدق به.

(٢) انظر كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (ص: ١٣٧، ١٣٨).

والسنة وقول علماء المسلمين...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وما أحسن ما قاله العالم الرباني ابن القيم رحمه الله تعالى:

«والإيمان... هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان، وكماله في الحب في الله والبغض في الله، والعطاء لله والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده، والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظاهراً وباطناً، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وأما قول المصنف رحمه الله تعالى: «فمن استكمل ذلك استكمل الإيمان، ومن لم يستكمله، لم يستكمل الإيمان»، فلأنّ العباد متفاضلون في الإيمان، وفي تحقيق شعبه وخصاله.

والمراد بنفي الإيمان في أحاديث الباب، «نفي بلوغ حقيقته ونهايته، فإنّ الإيمان كثيراً ما ينفي لانتفاء بعض أركانه وواجباته، كقوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»<sup>(٣)</sup>.

وقوله: «لا يؤمن من لا يامن جاره بوائقه»<sup>(٤)</sup>...»<sup>(٥)</sup>.

(١) الشريعة: (٦١١/٢).

(٢) الفوائد: (ص: ١٢١).

(٣) أخرجه البخاري: (٢٤٧٥)، ومسلم: (٥٧)، والبخاري: (٤٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري: (٦٠١٦)، ومسلم: (٤٦)، وأحمد: (٢٨٨/٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) انظر جامع العلوم والحكم: (٣٠٢/١)، وراجع كتاب الصلاة للإمام المروزي رحمه الله تعالى: (ص: ١٩٤).

«وقد نبّه عليه الصلاة والسلام على أفضلها بالتوحيد المتعين على كلّ مسلم، والذي لا يصح شيء من هذه الشعب إلا بعد صحته، وأدناها ما يتوقع ضرره بالمسلمين، من إمطة الأذى عن طريقهم»<sup>(١)</sup>.

وكتب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إلى عدي بن عدي رحمه الله تعالى:

«إنّ للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتّى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص»<sup>(٢)</sup>.

وبالجملة فقد اتفق أهل العلم من السلف «على تفاضل أهل الإيمان في الإيمان، وتباينهم في درجاته»<sup>(٣)</sup>، فكان من أصول عقائدهم أنّ الإيمان يزيد وينقص، وهذا الذي ذكره المصنّف الشيخ العلامة ابن باديس رحمه الله تعالى عقب هذا الباب، وستأتي هذه المسألة بشيء من التفصيل بإذن الله تعالى.

### فوائد:

الفائدة الأولى: ذكر بعض أهل العلم عن النبي ﷺ، أنّه قال: «الإيمان قول باللسان...»<sup>(٤)</sup>.

(١) من كلام الإمام القاضي عياض رحمه الله تعالى، انظر كتاب الإيمان من الإكمال: (١)/ (٢٦٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان: (١٣٥)، وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في عدي بن عدي: «هو ثقة فقيه عمل لعمر بن عبد العزيز على الموصل، والسند إليه صحيح». انظر هامش كتاب الإيمان: (ص: ٤٨).

(٣) شرح السنة للإمام البغوي رحمه الله رحمة واسعة: (٤٠/١).

(٤) أخرجه ابن ماجة: (٦٥)، والطبري في تهذيب الآثار: (١٥٢٤)، والخطيب البغدادي في تاريخه: (٣٤٣/١٠)، (٤٧/١١)، والإمام ابن بطّة في الإبانة: (١٠٦٠)، والإمام الأجرّي في الشريعة: (٦٣٩/٢) رقم: ٢٥٦.

وهذا حديث ضعيف جداً<sup>(١)</sup>، بل حكم عليه بعض أهل العلم بالوضع، قال الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «هذا حديث موضوع، ليس من كلام النبي ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

### الفائدة الثانية:

قال الإمام العلامة السعدي رحمه الله عليه معلقاً على حديث أبي هريرة رضي الله عنه في شعب الإيمان:

«ذكر الحياء - والله أعلم -، لأنّ الحياء به حياة الإيمان، وبه يدع العبد كلّ فعل قبيح، كما به يتحقق كلّ خلق حسن، وهذه الشعب هي جميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

### الفائدة الثالثة:

قال القاضي عيّاظ رحمه الله تعالى:

«قال بعض المتكلمين على الحديث<sup>(٤)</sup>: جمع عليه الصلاة والسلام تحت لفظه هذا القليل معاني كثيرة، إذ أقسام المحبة ثلاثة: محبة إجلال وإعظام، كمحبة الوالد.

(١) كما قال الحافظ رحمه الله تعالى في فتح الباري: (١/٦٥).

(٢) انظر شرحه على مختصر سنن أبي داود للمنذري: (١٢/٢٩٤ عون المعبود)، وممن أشار إلى وضعه: الإمام الدارقطني رحمه الله تعالى، كما نقله الخطيب في التاريخ: (١١/٥١)، والحافظ في التهذيب: (٦/٣٢١)، وأورده الحافظ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى في كتاب الموضوعات: (١/٨٣)، وممن حكم بوضعه أيضاً الشيخ الألباني رحمه الله تعالى، انظر السلسلة الضعيفة: (٢٢٧٠)، وضعيف الجامع: (٢٣٠٩)، وضعيف ابن ماجة: (١١).

(٣) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان: (ص: ١٤).

(٤) وهو قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

ومحبّة رحمة وإشفاق، كمحبّة الولد.  
ومحبّة مشاكلة واستحسان، كمحبّة الناس بعضهم لبعض.  
فجمع عليه الصلاة والسّلام ذلك كلّ في محبّته... ومن الإشفاق في  
محبّته، نصرة سنّته، والذبّ عن شريعته، وتمنّي حضور حياته فيبذل نفسه وماله  
دونه<sup>(١)</sup>.

وإذا تحقق ما ذكرناه، تبيّن أنّ حقيقة الإيمان لا تتمّ إلّا بذلك، ولا يصح  
الإيمان إلّا بتحقيق إنافة<sup>(٢)</sup> قدر النّبّي ﷺ، ومنزلته على كلّ والد وولد، ومحسن  
ومفضل، ومن لم يعتقد هذا، أو اعتقد سواه، فليس بمؤمن<sup>(٣)</sup>. اهـ.

(١) أبّي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه.

(٢) الإنافة: الزيادة والارتفاع والعلو، انظر القاموس المحيط: (٢٠٣/٣).

(٣) كتاب الإيمان من الإكمال: (٢٨٣/١).

[٢٤] الإيمان يزيد وينقص، يزيد بزيادة الأعمال، وينقص بنقصها، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ثَلِثْتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢].

ولقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ولقوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»، رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه<sup>(١)</sup>.

[٢٤] هذا الباب أيضاً من أصول العقيدة السلفية، التي كان عليها خيار الأمة وأتقائها، وهو شعار من شعارات أهل السنة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«ومن أصول أهل السنة، أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ولما كان الإيمان، قول واعتقاد وعمل، والناس تتفاوت في ذلك، - بل

(١) هذا الحديث مما تفرد به مسلم دون البخاري، ولم يتنبه لهذا الخطأ الذي وقع فيه المصنف رحمه الله تعالى، لا المعلق الأستاذ رمضان، ولا هيئة التعليق بدار الفتح بالشارقة، فوجب التنبيه على ذلك. فقد أخرجه مسلم: (٢/٢١، ٢٦ نووي)، وأبو داود: (١١٤٠ - ٤٣٤٠)، والترمذي: (٢٢٦٢ تحفة)، وابن ماجه: (١٢٧٥ - ٤٠١٣)، وأحمد: (١٠/٣، ٢٠، ٤٩، ٥٢، ٥٣).

وأخرجه النسائي: (١١١/٨، ١١٢)، بلفظ: «من رأى منكم منكراً، فغيره بيده فقد برىء، ومن لم يستطع أن يغيره بيده، فغيره بلسانه فقد برىء، ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه، فغيره بقلبه فقد برىء، وذلك أضعف الإيمان»، وصححه الألباني، انظر صحيح النسائي: (١٠٣/٣).

(٢) مجموع الفتاوى: (١٠٠/٣).

.....

الشخص الواحد ينشط أحياناً، ويفتر أخرى في تحقيق أركان الإيمان -، نشأ هذا القول بزيادة الإيمان ونقصانه.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

«فالسلف قالوا، هو اعتقاد ونطق باللسان وعمل بالأركان، وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط في كماله، ومن هذا نشأ لهم القول بالزيادة والنقص»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الآجري رحمه الله تعالى:

«وإنما جازت الزيادة والنقصان عليه، لأنه معرفة وقول وعمل، فالتناس متفاضلون بالأعمال، فأكثرهم له طاعة أكثرهم إيماناً، وأقلهم طاعة أقلهم إيماناً»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

والآيات والأحاديث التي تقرر هذا الأصل، أكثر من أن تحصي في هذا المقام، ولكن حسبنا أن ننقل بعض كلام علماء الأمة العاملين المعتبرين، الذين نصحوا الله ولكتاباه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

قال الصحابي الجليل، عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، لأصحابه: «اجلسوا بنا نرداد إيماناً»<sup>(٣)</sup>.

وكان رضي الله عنه يقول: «اللهم زدني إيماناً وفقهاً»<sup>(٤)</sup>.

وعن عمير بن حبيب بن خماشة رضي الله عنه، قال: «الإيمان يزيد وينقص، قيل:

(١) فتح الباري: (١/٦٥).

(٢) كتاب الشريعة: (ص: ١٩٥)، وانظر الإيمان لابن منده: (١/٣٠٠)، والإبانة لابن بطة: (٢/٨٣٢)، وشعب الإيمان للبيهقي: (١/٦٠)، وفتح الباري للحافظ ابن رجب: (١/٧).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: (٤٥)، وابن أبي شيبه في الإيمان: (ص: ١٠٥)، وحسنه الألباني رحمه الله تعالى في تخريج كتاب الإيمان.

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة: (١١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٤٦)، وصححه الحافظ في فتح الباري: (١/٦٨).

وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله فحمدناه وسبّحناه، فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا، فذلك نقصانه»<sup>(١)</sup>.

ولم ينقل عن أحد من الصحابة رضي الله عنه خلاف هذا الأصل، يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

«وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان فيه عن الصحابة، ولم يعرف فيه مخالف من الصحابة...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

بل هذا هو مذهب نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، إذ قال له ربه تعالى ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالِ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، يريد: لأزداد إيماناً إلى إيماني، بذلك جاء التفسير عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى، قال: ﴿وَلَٰكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، أي ليزداد، يعني إيماناً»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان: (١٤)، والآجري في الشريعة: (٢١٠ - ٢١٦)، والصابوني في عقيدة أصحاب الحديث: (ص: ٢٦٦).

وعمر بن حبيب رضي الله عنه، من الصحابة الذين بايعوا تحت الشجرة، انظر الإصابة للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١٦١٧).

(٢) كتاب الإيمان: (ص: ١٧٦)، وانظر مجموع الفتاوى: (٥٠٦/٧)، والسنة للإمام خلال رحمه الله تعالى: (ص: ٥٨٠).

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة: (١١٢٠)، والآجري في الشريعة: (ص: ١١٨)، وسنده صحيح كما في فتح الباري لابن حجر: (٦٧/١).

وأما الحديث الذي أخرجه البخاري: (٣٣٧٢...)، وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم»، إذ قال: «رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي» الحديث، فليس المراد هنا بالشك ما قد يفهم بلا خلاف، بل قالها رسول الله ﷺ تواضعاً منه، وتقديماً لإبراهيم على نفسه، يريد: إنا لم نشك ونحن دونه، فكيف يشك هو؟ انظر تأويل مختلف الحديث للإمام ابن قتيبة رحمه الله تعالى: (ص: ٩٧)، وراجع تفسير ابن كثير: (٢٧٧/١)، وفتح الباري لابن حجر: (٤٩٨/٦)، لتقف على أجوبة أهل العلم على هذا الحديث.

قال الحافظ رحمه الله تعالى :

«وإذا ثبت ذلك عن إبراهيم عليه السلام مع أنّ نبينا ﷺ قد أمر باتّباع ملّته، كان كأنّه ثبت عن نبينا ذلك...»<sup>(١)</sup>.

وقال سهل بن المتوكل رحمه الله تعالى : «أدركت ألف أستاذ أو أكثرهم يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام الصنعاني صاحب المصنف رحمه الله تعالى :

«لقيت اثنتين وستين شيخاً، منهم: معمر، والأوزاعي، والثوري، والوليد بن محمد القرشي، ويزيد بن السائب، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، وشعيب بن حرب، ووکیع بن الجراح، ومالك بن أنس، وابن أبي ليلى، وإسماعيل بن عیّاش، والوليد بن مسلم، ومن لم نسّمه، كلّهم يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»<sup>(٣)</sup>.

وقال يعقوب بن سفيان رحمه الله تعالى : «أدرکت أهل السنة على ذلك»<sup>(٤)</sup>.

فإذا ثبت أنّ الإيمان يزيد وينقص، فإنّ «أقلّ الإيمان ما لا يجمعه الشكوك، وأكثره إيمان الأنبياء ﷺ»<sup>(٥)</sup>.

(١) فتح الباري: (١/٦٧).

(٢) اعتقاد أهل السنة للالكائي: (٥/١٠٢٨، ١٠٣٦).

(٣) المرجع نفسه: (٥/١٠٢٩).

(٤) المرجع نفسه: (٥/١٠٢٨)، وقد ذكر الإمام ابن بطّة بسنده إلى أبي عبيد القاسم بن سلام، أسماء علماء أهل السنة ممّن كان يقول: الإيمان يزيد وينقص، انظر الإبانة: (٢/٨١٤، ٨٢٦)، وكتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص: ٢٤٢).

(٥) الرسالة الوافية للإمام أبي عمرو الداني رحمه الله تعالى: (ص: ٨٤).

.....

وعلى كل، فهذه «المسألة لا تقبل الاشتباه بوجه من الوجوه، لا شرعاً، ولا حساً، ولا واقعاً»<sup>(١)</sup>.

### فائدتان:

#### الفائدة الأولى:

قوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً... الحديث» دليل صريح على أن الإيمان نوعان: أعلى، وضعيف.

ثم إن الحديث فيه دليل آخر لأهل السنة على أن الإيمان: قول واعتقاد وعمل، إذ جعل رسول الله ﷺ هذه الفريضة، وهي إنكار المنكر، من وظيفة القلب واللسان والجراحة، فعلم أن الإيمان يشمل ذلك كله، والله تعالى أعلم.

#### الفائدة الثانية:

يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «الإيمان يزيد وينقص»، وهو حديث موضوع<sup>(٢)</sup>، وكذلك حديث: «الإيمان لا يزيد ولا ينقص»<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للإمام السعدي رحمه الله تعالى: (ص: ٢٢).
- (٢) انظر الموضوعات للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى: (١/٨٤)، واللالىء للإمام السيوطي رحمه الله تعالى: (١/٢٦).
- (٣) انظر الموضوعات: (١/٨٥)، وكتاب المجروحين للإمام ابن حبان: (١/٢٥٠)، (٢/١٠٢، ١٠٣)، وميزان الاعتدال للإمام الذهبي رحمه الله تعالى: (١/٥٧٤)، ولسان الميزان للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١/٣٣٤)، وراجع شرح العقيدة الطحاوية: (١/٤٨٠)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة: (١/٦٧٨).

[٢٥] التصديق الذي هو الجزء الأصلي في الإيمان يقوى ويضعف، يقوى بالنظر في الآيات الكونية، والتدبر في الآيات السمعية، والتقرب بالعبادات الشرعية، ويضعف بضد ذلك.

لقلوه تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِيُطَمِّنَ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ولقلوه تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان <sup>(١)</sup> العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما <sup>(٢)</sup> بينهم، إلا أنزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»، رواه مسلم <sup>(٣)</sup>.

ولحديث حنظلة الأسدي رضي الله تعالى عنه، - وكان من كتّاب

(١) في (ح) «ما دام».

(٢) غير مثبتة في (ح).

(٣) (٢١/١٧ نووي)، وأبو داود: (٤٩٤٦)، والترمذي: (١٤٤٩ - ١٤٥٠ - ١٩٩٥ تحفة)، وابن ماجه: (٢٢٥)، وأحمد: (٢٥٢/٢، ٢٩٦، ٥٠٠).

وأخرجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، الترمذي: (١٤٥١ تحفة)، وابن حبان: (٥٣٤ إحسان)، والبيهقي في شعب الإيمان: (١١١٥٠)، والبعوي في شرح السنة: (٣٥١٨)، وفي التفسير: (٢١٣/٤)، وقال أبو عيسى الترمذي: «حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر»، وانظر غوث المكدود لأبي إسحاق الحويني حفظه الله تعالى: (١٠٦/٣).

رسول الله ﷺ، قال: «لقيني أبو بكر، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان الله ما تقول؟ قال قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة، حتى كأننا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيراً، فقال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالجنة والنار حتى كأننا رأي عين<sup>(١)</sup>، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة، ساعة وساعة، ساعة وساعة، ساعة وساعة»، رواه مسلم<sup>(٢)</sup>.

[٢٥] لقد أخبرنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق، أن الناس يتفاوتون في الإيمان القائم بالقلب، من وزن الشعيرة والبرّة والذرة، وهذا التفاوت قد يكون على قدر العلم والجهل.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله،

(١) في (ح) «رأي العين».

(٢) (١٧/٦٦ نووي)، والترمذي: (٢٦٣٣ تحفة)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه: (٤٢٣٩)، وأحمد: (١٧٨/٤، ٣٤٦)، والبيهقي في الشعب: (١٥٩)، والطبراني في الكبير: (٣٤٩٠ - ٣٤٩١ - ٣٤٩٢ - ٣٤٩٣).

وله شاهد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، بلفظ: «لو تدومون على ما تكونون عندي في الخلاء، لصافحتكم الملائكة حتى تظلكم بأجنحتها عياناً، ولكن ساعة وساعة»، انظره في السلسلة الصحيحة: (١٩٦٥).

وفي قلبه وزن ذرة من خير»<sup>(١)</sup>، فإن المراد بالخير هنا: الإيمان<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا...» الحديث<sup>(٣)</sup>.

وقد أورد البخاري رحمه الله تعالى حديث أنس رضي الله عنه تحت باب: زيادة الإيمان ونقصانه، وأخرج حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه تحت باب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، وهو بمعنى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وذلك أن «الحديث لما كانت الزيادة والنقصان فيه باعتبار الأعمال وباعتبار التصديق، ترجم لكل من الاحتمالين، وخصّ حديث أبي سعيد بالأعمال، لأن سياقه ليس فيه تفاوت بين الموزونات، بخلاف حديث أنس، ففيه التفاوت في الإيمان القائم بالقلب من وزن الشعيرة والبرّة والذرة»<sup>(٤)</sup>.

ثم اعلم أخي المسلم - بارك الله فيك - أن قوله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه كذا وكذا»، أن المعنى «من أقرّ بالتوحيد وصدّق، فالإقرار لا بد منه، فلهذا أعاده في كلّ مرّة، والتفاوت يحصل في التصديق على الوجه المتقدم»<sup>(٥)</sup>.

والحديثان اللذان استدللّ بهما المصنّف رحمه الله تعالى يشهدان لما تقرر، فالزيادة تكون بالتدبر في آيات الله المتلوة والمرئية، ومداومة الذكر يحصل به

(١) سيأتي تخريجه: (ص: ٤١١).

(٢) راجع فتح الباري للحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: (١/ ١٤٠).

(٣) أخرجه البخاري: (٢٢ - ٤٥٨١...)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، والبغوي في شرح السنة: (٤٣٥٧).

(٤) فتح الباري: (١/ ١٣٩).

(٥) المرجع نفسه: (١/ ١٤٠).

اليقين، «ويؤيده أن كل أحد يعلم أن ما في قلبه يتفاضل، حتى إنه يكون في بعض الأحيان أعظم يقيناً وإخلاصاً وتوكلاً منه في بعضها، وكذلك في التصديق والمعرفة، بحسب ظهور البراهين وكثرتها»<sup>(١)</sup>.

«فإن إيمان الصديقين الذين يتجلى الغيب لقلوبهم حتى يصير كأنه شهادة، بحيث لا يقبل التشكيك ولا الارتياب، ليس كإيمان غيرهم ممن لم يبلغ هذه الدرجة، بحيث لو شكك لدخله الشك، ولهذا جعل النبي ﷺ مرتبة الإحسان، أن يعبد العبد ربه كأنه يراه»<sup>(٢)</sup>.

يقول الإمام المعلمي رحمه الله تعالى في معرض رده على الكوثري: «... تفاوت الإيمان القلبي ثابت نقلاً وعقلاً».

أما النقل فمعروف، وقد تقدمت الإشارة إلى حديث الخروج من النار. وأما النظر، فإن الإنسان إذا قارن بين اعتقاده أن الثلاثة من حيث العددية أقل من الستة وبين اعتقاداته الدينية التي يجزم أنه موقن بها بأن له الفرق... وقد صرح النظار بأن اليقين يتفاوت قوة وضعفاً... قال الشيخ محيي الدين<sup>(\*)</sup>: «الأظهر المختار أن التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر، ووضوح الأدلة، ولهذا كان إيمان الصديق أقوى من إيمان غيره بحيث لا تعتريه الشبهة، ويؤيده أن كل أحد يعلم أن ما في قلبه يتفاضل حتى أنه يكون في بعض الأحيان أعظم يقيناً وإخلاصاً وتوكلاً منه في بعضها، وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها...»<sup>(٣)</sup>.

(١) المرجع السابق نفسه: (١/٦٦).

(٢) جامع العلوم والحكم: (١/١١٣، ١١٤)، وقال الإمام النووي - رحمه الله تعالى -: «والأظهر المختار أن التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة، ولهذا كان إيمان الصديق أقوى من إيمان غيره، بحيث لا يعتريه الشبهة». نقلاً عن فتح الباري: (١/٦٦).

(\*) قال الألباني: كأنه النووي.

(٣) التكميل: (٢/٣٦٧).

## (فصل)

لقد جعل الله تعالى لكلّ شيء سبباً، فجعل «الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ويقوى بالعلم، ويضعف بالجهل، ويخرج بالكفر»<sup>(١)</sup>. وأسباب زيادته متعددة ومتنوعة، إذا داوم العبد عليها، لصافحته الملائكة في الطرقات، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عليه السلام. يقول الإمام السعدي رحمه الله تعالى:

«الإيمان أعظم المطالب وأهمّها وأعمّها، وقد جعل الله له مواد كبيرة تجلبه وتقويه، كما كان له أسباب تضعفه وتوهنه، ومواده التي تجلبه وتقويه أمران، مجمل ومفصل.

أمّا المجمل، فهو التدبّر لآيات الله المتلوة في الكتاب والسنة، والتأمل لآياته الكونية على اختلاف أنواعها، والحرص على معرفة الحقّ الذي خلق له العبد، والعمل بالحقّ، فجميع الأسباب مرجعها إلى الأصل العظيم. أمّا المفصل، فالإيمان يحصل ويقوى بأمور كثيرة:

منها، بل أعظمها معرفة أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، وعلى الحرص على فهم معانيها، والتعبّد لله فيها، فقد ثبت في الصحيحين<sup>(٢)</sup>، عنه عليه السلام، أنّه قال: «إنّ لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلاّ واحد، من أحصاها دخل الجنة».

(١) انظر الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني رحمه الله تعالى: (ص: ٨٣).

(٢) أخرجه البخاري: (٧٣٩٢)، ومسلم: (٢٦٧٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وراجع الكلام على الحديث: (ص: ٣١٣).

أي: من حفظها، وفهم معانيها واعتقدها، وتعبّد الله بها دخل الجنة، والجنة لا يدخلها إلا مؤمن، فعلم أنّ ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان وقوّته وثباته، ومعرفة الأسماء الحسنى هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها...

ومنها، تدبّر القرآن على وجه العموم... ومعرفة أحاديث النّبي ﷺ، وما تدعو إليه من علوم الإيمان، وأعماله كلّها من محصّلات الإيمان ومقوّياته.

فكلّما ازداد العبد معرفة بكتاب الله وسنة رسوله، ازداد إيمانه ويقينه، وقد يصل في علمه وإيمانه إلى مرتبة اليقين، ولهذا كان الراسخون في العلم سادة المؤمنين.

ومن طرق موجبات الإيمان وأسبابه: معرفة النّبي ﷺ، ومعرفة ما هو عليه من الأخلاق العالية، والأوصاف الكاملة...

ومن أسباب الإيمان ودواعيه: التفكّر في الكون، في خلق الله السموات والأرض وما فيهن من المخلوقات المتنوعة، والنّظر في نفس الإنسان وما هو عليه من الصفات، فإنّ ذلك داع قويّ للإيمان...

ومنها الإكثار من ذكر الله...

ومنها معرفة محاسن الدين...

ومن أعظم مقوّيات الإيمان: الاجتهاد في التحقّق في مقام الإحسان. ومنها الصلاة، والزكاة، والإعراض عن اللغو، والعفة عن الفواحش، ورعاية الأمانات والعهود وحفظها.

فشجرة الإيمان محتاجة إلى تعاهدها كلّ وقت بالسقي، وهو المحافظة على الطاعات، وإلى إزالة ما يضرها.

ومن دواعي الإيمان وأسبابه: الدعوة إلى الله، وإلى دينه... وذلك

أنّ الدعوة إلى الله، والنّصيحة لعباده من أكبر مقوّيات الإيمان... فكّلما يسعى إلى تكميل العباد ونصحهم، يؤيده الله بنور منه وروح وقوة وإيمان، وقوة وتوكل...

ومن أهمّ مواد الإيمان ومقوّياته: توطين النّفس على مقاومة جميع ما ينافي الإيمان من شعب الكفر والتّفاق، والفسوق والعصيان، فالعبد المؤمن لا يزال يسعى في أمرين:

أحدهما: تحقيق الإيمان وفروعه، علماً وعملاً.

الثاني: السعي في دفع ما ينافيهما، وينقضهما أو ينقصهما...»<sup>(١)</sup>.

فالحاصل أنّ أسباب «زيادة الإيمان أربعة:

الأول: معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته...

الثاني: النّظر في آيات الله الكونية والشرعية...

الثالث: كثرة الطّاعات وإحسانها...

الرابع: ترك المعصية تقرّباً إلى الله عزّ وجلّ...

وأسابـب نقص الإيمان أربعة:

الأوّل: الإعراض عن معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته.

الثاني: الإعراض عن النّظر في الآيات الكونية والشرعية.

الثالث: قلّة العمل الصّالح.

الرابع: فعل المعاصي...»<sup>(٢)</sup>.

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان بتصرف يسير: (ص: ٢٥ - ٣٨)، وانظر شرح العقيدة الطحاوية: (٤٧٩/٢).

(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ العلامة العثيمين - رحمه الله تعالى -: (٢/٢٣٤، ٢٣٥).

[٢٦] مَنْ عَدِمَ مِنْ إِيْمَانِهِ الْيَقِينَ خَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَانَ مِنْ جَمَلَةِ الْكَافِرِينَ، وَلَوْ نَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَعَمِلَ أَعْمَالَ الْمُؤْمِنِينَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١].

[٢٦] وَذَلِكَ أَنَّ الْإِيْمَانَ لَا يَبْنِي عَلَى الظَّنِّ، وَقَدْ سَبَقَ هَذَا الْمَبْحَثُ عِنْدَ قَوْلِ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «مَنْ حَصَلَ لَهُ الْيَقِينَ بِإِخْبَارِ الرَّسُولِ ﷺ كَفَاهُ ذَلِكَ الْيَقِينَ»، فَذَكَرَ هُنَاكَ الْيَقِينَ الَّذِي هُوَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيْمَانِ، وَذَكَرَ هُنَا - مُحَذَّرًا - ضِدَّهُ وَهُوَ الرِّيبُ وَعَدَمُ الْيَقِينَ، فَلَوْ جَعَلْتَ هَذِهِ الْفَقْرَةَ مَعَ تِلْكَ، لَكَانَ أَحْسَنَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٢٧] من عُدَم منه النطق إباية وعناداً، لم يكن من المؤمنين، وكان من الكافرين، لقوله تعالى: ﴿وَحَاحِدُوا بِهَا وَأَسْتَبَقْتَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

[٢٧] إِنَّ النَّطْقَ بكلمة التوحيد شرط لازم، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ إِذْ رُوحُكُمْ وَلَاسْمِعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله...» الحديث<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «يخرج من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير...» الحديث<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

«قوله: «من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه...»، فيه دليل على اشتراط النطق بالتوحيد»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

فمن جمع بين معرفة القلب وتصديقه، والنطق باللسان، وعمل الجوارح، فذلك المؤمن حقاً، يقول الإمام الآجري رحمه الله تعالى:

«... ثم اعلّموا أنه لا تجزي المعرفة بالقلب والتصديق، إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزي معرفة القلب ونطق اللسان، حتى يكون عمل الجوارح، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث، كان مؤمناً، دلّ على ذلك القرآن والستّة، وقول علماء المسلمين...»<sup>(٤)</sup>.

فمن أبى النطق بالتوحيد مع إمكانه ذلك، لم يستحق اسم الإيمان، ولا يتصور ذلك فيمن دخل قلبه الإيمان.

(١) سبق تخريجه: (ص: ٥٧).

(٢) انظر تخريجه: (ص: ٤١١).

(٣) فتح الباري: (١/ ١٤٠).

(٤) الشريعة: (٢/ ٦١١).

يقول الإمام القاضي عياض رحمه الله تعالى:  
 «إنَّ إقرار القلب وتصديقه دون نطق اللسان، لا ينجي من النار، ولا يستحقَّ صاحبه اسم الإيمان في الشرع»<sup>(١)</sup>.

ولهذا قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:  
 «لما كان القول من أركان الإيمان ومبانيه، وأصل من أصول الإيمان، كان شرطاً في النقل عن الكفر عند عدم العجز»<sup>(٢)</sup>.

(١) كتاب الإيمان من الإكمال: (١/٩٦، ٩٧).

(٢) شعب الإيمان: (١/٣٨).

[٢٨] من لم يخضع قلبه لما عرفه من عقائد الإسلام<sup>(١)</sup>، لم تفده تلك المعرفة، ولم يكن بها من المسلمين، لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

[٢٨] إِنَّ من ركائز الإيمان وشروطه الانقياد لله تعالى، كما مر معنا، بل الذل والخضوع لله عز وجل هما روح الدين، فأصل الإيمان «المعرفة بالله والتصديق له وبه، وبما جاء من عنده بالقلب واللسان، مع الخضوع له والحب له، والخوف منه والتعظيم له، مع ترك التكبر والاستنكاف والمعاندة، فإذا أتى بهذا الأصل، فقد دخل في الإيمان ولزمه اسمه وأحكامه، ولا يكون مستكملاً له حتى يأتي بفرعه، وفرعه المفترض عليه أداء الفرائض واجتناب المحارم<sup>(٢)</sup>».

ويقول الإمام الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى:

«والإيمان... هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان...»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

ويقول المولى جل جلاله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فمن عرف ولم يخضع ولم ينقد، كحال «أهل الكتاب، يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول ﷺ كما يعرف أحدهم ولده، والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا...».

قال القرطبي: ويروى عن عمر أنه قال لعبد الله بن سلام: أتعرف محمداً

(١) في (ح) «من لم يخضع قلبه لعقائد الإسلام».

(٢) انظر كتاب الإيمان للحافظ الجوال ابن منده رحمه الله تعالى: (١/٣٣١).

(٣) الفوائد: (ص: ١٢١).

كما تعرف ولدك؟ قال: نعم وأكثر، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته فعرفته، وإني لا أدري ما كان من أمه. قلت<sup>(١)</sup>: وقد يكون المراد ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ من بين أبناء الناس كلهم، لا يشك أحد ولا يمترى في معرفة ابنه إذا رآه من أبناء الناس كلهم، ثم أخبر تعالى أنهم مع هذا التحقيق والإتقان العلمي ﴿لَيَكُونَنَّ الْحَقُّ﴾، أي ليكتُمون الناس ما في كتبهم من صفة النبي ﷺ ﴿وَهُمْ يَقْلُوبُونَ﴾، ثم ثبت تعالى نبية ﷺ والمؤمنين، وأخبرهم بأن ما جاء به الرسول ﷺ، هو الحق الذي لا مزية فيه ولا شك، فقال: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧]<sup>(٢)</sup>.

فأهل الكتاب لما عرفوا الحق ولم يخضعوا له بقلوبهم وجوارحهم، لعنهم الله تعالى، يقول الإمام ابن كثير رحمه الله عليه:

«فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العلم، ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى، لأن من علم وترك استحق الغضب، بخلاف من لم يعلم، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقهم، لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتباع الحق ضلّوا، وكل من اليهود والنصارى ضالّ مغضوب عليهم، لكن أخصّ أوصاف اليهود الغضب، كما قال تعالى عنهم: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وأخصّ أوصاف النصارى الضلال، كما قال تعالى عنهم: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وبهذا جاءت الأحاديث والآثار<sup>(٣)</sup>. اهـ.

(١) القائل هو الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى.

(٢) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (١/١٦٩).

(٣) المرجع نفسه: (١/٢٦).

[٢٩] من ضيِّع الأعمال لم يخرج من دائرة الإيمان، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].

ولحديث أبي بكره رضي الله عنه، قال: «سمعت رسول الله ﷺ، يقول: إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار، قلت: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»، رواه مسلم <sup>(١)</sup>.

[٢٩] مراد المصنّف رحمه الله تعالى، أنّ مَنْ تلبّس ببعض المعاصي - ما لم تصل إلى الشرك والكفر -، فإنّ ذلك لا يخرج من دائرة الإيمان، وهذا أصل من أصول عقائد السلف الصالح، وما ذكره رحمه الله تعالى من نصوص يشهد لهذا الأصل بلا ريب.

فقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾، أمر منه تبارك وتعالى «بالإصلاح بين الفئتين الباغيتين بعضهم على بعض... فسماهم مؤمنين مع الاقتتال» <sup>(٢)</sup>، وبهذا استدلل البخاري وغيره على أنّه لا يخرج عن

(١) في الفتن، باب: إذا تواجّه المسلمان بسيفيهما (١٨/١١ نووي)، والبخاري: (٣١ - ٦٧٨٥ - ٧٠٧٣)، وأبو داود: (٤٢٦٨ - ٤٢٦٩) مختصراً، والنسائي: (١٢٥/٧)، (٨/١٦٠)، والبيهقي: (٨/١٩٠)، والبغوي في شرح السنة: (٢٥٤٩)، وأحمد: (٥/٤١)، (٤٣، ٤٧، ٥١)، وابن ماجه: (٣٩٦٥)، وعبد الرزاق في المصنّف: (٢٠٧٢٨ - ٢٠٧٣٨) بالفاظ متقاربة.

وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، بلفظ: «إذا تواجّه المسلمان»، عند النسائي: (١٢٤/٧، ١٢٥)، (٨/١٢٦)، وصحّحه الألباني رحمه الله تعالى، كما في صحيح النسائي: (٣/٨٦١، ٨٦٢)، وانظر تمام تخريجه السلسلة الصحيحة: (١٢٣١).

(٢) وأمّا قوله عليه الصلاة والسلام من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عند البخاري: (٤٨)، قال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»، فهذا «وإن كان تضمّن الردّ على المرجئة، لكن ظاهره يقوّي مذهب الخوارج الذين يكفرون بالمعاصي، فالجواب: إنّ المبالغة في الردّ على المبتدع اقتضت ذلك، ولا متمسك للخوارج فيه، لأنّ ظاهره غير مراد، لكن =

الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقول الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم.

وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن عن أبي بكره رضي الله عنه، قال: «إن رسول الله ﷺ خطب يوماً، ومعه على المنبر الحسن بن علي رضي الله عنه، فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى، ويقول: إن ابني هذا سيد، ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»<sup>(١)</sup>.

وأما كون المقتلين في النار، فلائهما ارتكبا ما يستحقان من أجله النار، ثم

= لما كان القتال أشد من السباب - لأنه مفضي إلى إزهاق الروح - عبّر عنه بلفظ أشد من لفظ الفسوق وهو الكفر، ولم يرد حقيقة الكفر التي هي الخروج من الملة، بل أطلق عليه الكفر مبالغة في التحذير معتمداً على ما تقرّر من القواعد، أن مثل ذلك لا يخرج عن الملة، مثل حديث الشفاعة، ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]... أو أطلق عليه الكفر لشبهه به، لأن قتال المؤمن شأن الكافر.

وقيل: المراد هنا الكفر اللغوي، وهو التغطية، لأن حق المسلم على المسلم أن يعينه وينصره ويكف عنه أذاه، فلما قاتله كان كأنه غطى على هذا الحق، والأولان أليق بمراد المصنف وأولى بالمقصود من التحذير من فعل ذلك والزجر عنه، بخلاف الثالث... ومثل هذا الحديث، قوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»، ففيه هذه الأجوبة... ونظيره قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، بعد قوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِينِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٥]، فدلّ على أن بعض الأعمال يطلق عليه الكفر تغليظاً. انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١٥٠/١، ١٥١).

وحديث: «لا ترجعوا بعدي كفاراً...»، أخرجه البخاري: (١٢١)، من حديث جرير رضي الله عنه، ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما برقم: (٦٨٦٨ - ٧٠٧٧).

(١) انظر تفسير ابن كثير: (١٨٩/٤)، وقوله ﷺ: «إن ابني هذا سيد» أخرجه البخاري: (٢٧٠٤ - ٣٦٢٩ - ٣٧٤٦ - ٧١٠٩)، من حديث أبي بكره رضي الله عنه، وأما ما ورد في تفسير ابن كثير، عن أبي بكره رضي الله عنه، فلعله خطأ وقع أثناء الطبع، والله أعلم.

.....

مع هذا هم تحت المشيئة، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :

«قال العلماء: مع كونهما في النار، أنهما يستحقان ذلك، ولكن أمرهما إلى الله تعالى، إن شاء عاقبهما ثم أخرجهما من النار كسائر الموحدين، وإن شاء عفا عنهما، فلم يعاقبهما أصلاً»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وهذه عقيدة السلف أهل السنة والجماعة، لم يخالف أحد منهم هذا الأصل، يقول الإمام البغوي رحمه الله تعالى :

«اتفق أهل السنة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد إباحتها، وإذا عمل شيئاً منها، فمات قبل التوبة، لا يخلد في النار...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى :

«وعلى هذا درج من مضى من الصحابة، والتابعين، وأتباعهم، من أهل السنة»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

ويقول الإمام محمد بن سيرين رحمه الله تعالى :

«لا نعلم أحداً من أصحاب محمد ﷺ، ولا من غيرهم من التابعين تركوا الصلاة على أحد من أهل القبلة تأثيماً»<sup>(٤)</sup>. اهـ.

وقال الإمام المروزي رحمه الله تعالى :

«والذي عندنا أن المعاصي لا تزيل الإيمان، ولا توجب الكفر، ولكنها تنفي حقائق الإيمان التي نعت الله تبارك وتعالى بها أهله في مواضع من كتابه.

(١) فتح الباري: (٤٣/١٣).

(٢) شرح السنة: (١٠٣/١).

(٣) الاعتقاد: (ص: ١٠٣).

(٤) الحجة في بيان المحجة للإمام قوام السنة الأصبهاني رحمه الله تعالى: (٢٩١/٢).

منها قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢، ٤]...<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال قوام السنّة الأصبهاني رحمه الله تعالى في كتابه الماتع الحجة في بيان المحجة<sup>(٢)</sup>:

«فصل في بيان أنّ المسلمين لا يضرّهم الذنوب إذا ماتوا عن توبة منها من غير إصرار، وإن ماتوا عن غير توبة، فأمرهم إلى الله عزّ وجلّ، إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم» اهـ.

ومن الأدلة على عدم خروج من ضيّع الأعمال عن دائرة الإيمان، شفاعته ﷺ في عصاة الموحدين ليخرجوا من النار.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّما شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي»<sup>(٣)</sup>.

قال حنبل: «قلت لأبي عبد الله<sup>(٤)</sup>، ما يروى عن النّبي ﷺ من الشّفاعّة، فقال: هذه أحاديث صحاح، نؤمن بها ونقرّ، وكلّ ما يروى عن النّبي ﷺ بأسانيد جيّدة، نؤمن بها ونقرّ، قلت له: وقوم يخرجون من النار؟ فقال: نعم، إذا لم نقرّ بما جاء به الرسول ودفعناه، رددنا على الله أمره، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا ءَأْتَكُمْ

(١) كتاب الصلاة: (ص: ١٩١، ١٩٢).

(٢) (٢٩١/٢).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنّة: (٨٣١)، وصححه الألباني في ضلال الجنّة: (ص: ٣٨٥)، وانظر اعتقاد أهل السنّة للالكائي: (١١٧٣/٦)، وأحاديث الشّفاعّة كثيرة جدّاً، وهي متواترة بحمد الله تعالى، كما قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى، انظر شرح العقيدة الطحاوية بتحقيقه: (ص: ٤٧).

(٤) يعني إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأْتَهُوا، قلت: والشفاعة؟ قال: كم حديث يروى عن النبي ﷺ في الشفاعة والحوض، فهؤلاء يكذبون بها ويتكلمون، وهو قول صنف من الخوارج، وإن الله تعالى لا يخرج من النار أحداً بعد إذ أدخله، والحمد لله الذي عدل عنا ما ابتلاهم به...»<sup>(١)</sup>.

وأما ما استدلل به المانعون للشفاعة، كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المذثر: ٤٨]، وقوله جلّ شأنه: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وغيرها من النصوص.

فقد ردّ عليهم الإمام أبو محمد بن حزم رحمه الله تعالى بقوله: «... أنه لا يجوز الاقتصار على بعض القرآن دون بعض، ولا عن بعض السنن دون بعض، ولا على القرآن دون بيان رسول الله ﷺ، الذي قال له ربه عزّ وجلّ: ﴿لَتَبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وقد نصّ الله على صحّة الشفاعة في القرآن، فقال تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]، فأوجب عزّ وجلّ الشفاعة إلا من اتخذ عنده عهداً بالشفاعة، ونفاها عن سواه، فقد اتخذ محمد ﷺ عهداً بالشفاعة، وصحّت بذلك الأخبار المتواترة بنقل الكواف لها.

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا: ٢٣].

فنصّ تعالى على أنّ الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عزّ وجلّ ممّن أذن له

.....

فيها ورضي قوله، ولا أحد من الناس أولى بذلك من محمد ﷺ، لأنه أفضل ولد آدم ﷺ.

وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، وقال تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣].

فقد صحت الشفاعة بنص القرآن، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فصحّ يقيناً أنّ الشفاعة التي أبطلها الله عزّ وجلّ، هي غير الشفاعة التي أثبتّها عزّ وجلّ، وإذا لا شكّ في ذلك، فالشفاعة التي أبطل عزّ وجلّ هي شفاعة الكفار، الذين هم مخلّدون في النار، قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْثُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦].

فإذا لا شكّ فيه، فقد صحّ يقيناً أنّ الشفاعة التي أوجب الله عزّ وجلّ لمن أذن له، واتّخذ عنده عهداً، ورضي قوله، فإنّما هي لمذنب أهل الإسلام، وهكذا جاء الخبر الثابت...<sup>(١)</sup> اهـ.

ثمّ اعلم أخي - بارك الله فيك - أنّه «لا تناقض بين الأحاديث التي فيها تحريم أهل هاتين الشهادتين على النار، وبين الأحاديث التي فيها إخراجهم منها بعد أن صاروا حمماً لإمكان الجمع، بأنّ تحريم من يدخلها بذنبه من أهل التوحيد، بأنّ تحريمه عليها يكون بعد خروجه منها برحمة الله، ثمّ بشفاعة

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٤/١١١، ١١٢، ١١٣)، وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (١/٨٩)، وكتاب التوحيد لإمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله عليه: (٢/٨٩، ٥٨٨)، وشرح العقيدة الطحاوية: (١/٢٨٢)، وشرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين رحمه الله تعالى: (٢/١٦٩).

الشافعين، ثم يغتسلون في نهر الحياة، ويدخلون الجنة، فحينئذٍ قد حرّموا عليها، فلا يدخلونها بعد ذلك.

أو يكون المراد، أنهم يحرمون مطلقاً على النار التي أعدت للكافرين، التي لا يخرج منها من دخلها...»<sup>(١)</sup>.

«فمعنى هذه الأخبار لم يخل من أحد هذه المعاني، لأنها إذا لم تحمل على بعض هذه المعاني، كانت على التهاتر والتكاذب، وعلى العلماء أن يتأولوا أخبار رسول الله ﷺ على ما قال علي بن أبي طالب: إذا حدثتم عن رسول الله ﷺ، فظنّوا به الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه...»<sup>(٢)</sup>.

(١) معارج القبول للشيخ العلامة حافظ حكيم رحمه الله تعالى: (١٦٩/٢).

(٢) كتاب التوحيد للإمام ابن خزيمة رحمه الله تعالى: (٨٧٨/٢).

[٣٠] من ارتكب المعاصي سمي فاسقاً حتى يتوب.

لقوله تعالى: ﴿يَسَّ الْأَيْمَنُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]، ولقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَةٍ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [النور: ٤ - ٥].

[٣٠] الفاسق هو الخارج عن طاعة الله عز وجل، لذلك «قد يراد به الكافر، وقد يراد به المعاصي، ففي قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (٨) أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ (٢٠)﴾ [السجدة: ١٨ - ٢٠]، فالمراد بالفاسق: الكافر.

وأما قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ فَبَيِّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]، فالمراد بالفاسق: العاصي، فالله عز وجل لا يرضى عن القوم الفاسقين، لا هؤلاء ولا هؤلاء، لكن الفاسقين بمعنى الكافرين لا يرضى عنهم مطلقاً، وأما الفاسقون بمعنى العصاة، فلا يرضى عنهم فيما فسقوا فيه، ويرضى عنهم فيما أطاعوا فيه... (١).

فالفاسق فسقان، فسق ينقل من ملة الإسلام والتوحيد، إلى ملة الشرك والكفر، وفسق لا يخرج صاحبه من الدين الحق، وإن كان يقدح في كماله، وهذا الذي عناه المصنف الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى.

واعلم أخي المسلم - وفقني الله وإياك لمرضاته -، أنه ليس كل معصية

(١) من كلام العلامة الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى، انظر شرح العقيدة الواسطية: (٢) / ٢١٠، (٣٣٧)، وراجع كتاب الصلاة للإمام المروزي رحمه الله عليه: (ص: ١٦٩،

يقتربها المسلم، يسمّى بها فاسقاً، يقول الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات: ٧].

قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى: «... وفصل بين الفسق والعصيان، وفي ذلك دلالة على أَنَّ مِنَ المعاصي ما لا يفسق به، وإنَّما يفسق بارتكاب ما يكون منها من الكبائر، أو الإصرار على ما يكون منها من الصغائر، واجتناب جميع ذلك من الإيمان...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

ثم اعلم أَنَّ التوبة من المعاصي ترفع عن المتلبّس بها اسم الفسق، والله غفور رحيم، كما قال الله الرحمن الرحيم: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ يَجْهَلُونَ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٩].

ومع هذا لا بد للمسلم المشفق أن يحذر المعاصي، فإنَّ لها من الآثار القبيحة المذمومة، المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة، ما لا يعلمه إلا الله عز وجل<sup>(٢)</sup>.

(١) شعب الإيمان: (١/٤٤).

(٢) راجع كتاب الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، للإمام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى، فقد استوفى البحث وأتى على جميع أطرافه، وعرض ذلك في عبارة أخاذة ناصعة واضحة مستوعبة.

## بيان معنى الإحسان

[٣١] الإحسان في اللغة: الإتيان بما هو حسن<sup>(١)</sup>.

والإحسان في الشرع: هو الإتيان بالحسنات.

والحسنيات: هي فعل الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات، والإخلاص له فيه، ومع استحضار رؤية الله تعالى له، وإطلاعه على ظاهره وباطنه، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ مَنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

ولقوله عليه الصلاة والسلام في حديث جبريل ﷺ، لما فسّر له النبي ﷺ الإحسان، قال: «... أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك...»، رواه البخاري ومسلم<sup>(٢)</sup>.

(١) الإحسان مصدر، تقول: أحسن يُحسن إحساناً، ويتعمد بنفسه وبغيره. تقول: أحسنت كذا، إذا أتقنته، وأحسنت إلى فلان، إذا أوصلت إليه النفع، والأول هو المراد، لأن المقصود إتقان العبادة، وقد يلحظ الثاني بأن المخلص مثلاً محسن بإخلاصه إلى نفسه، وإحسان العبادة بالإخلاص فيها والخشوع، وفراغ البال حال التلبس بها، ومراقبة المعبود. راجع فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١/١٥٩).

(٢) سبق تخريجه (ص: ٩٣).

[٣١] هذا «أصل عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمّة من قواعد المسلمين»<sup>(١)</sup>، فإنّ «معنى الإحسان هاهنا: الإخلاص، وهو شرط في صحّة الإيمان والإسلام»<sup>(٢)</sup>.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«وأما الإحسان الذي فيه أن تعبد الله كأنك تراه، فهذا مقام من ميّز بين المحظور والمأمور، فإنّ العبد إذا صار كأنّه يشاهد ربّه فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، ووالى أوليائه، وعادى أعداءه، هذا مشهد الإلهية الذي دعت إليه الرسل، حيث أمروا بعبادة الله وحده وطاعته...»<sup>(٣)</sup> اهـ.

وقد أشار حديث جبريل ﷺ إلى مقامين:

«أحدهما: مقام الإخلاص، وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إيّاه، وإطلاعه عليه، وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في علمه، وعمل عليه، فهو مخلص لله، لأنّ استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل.

والثاني: مقام المشاهدة، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله بقلبه، وهو أن يتنوّر القلب بالإيمان، وتنفذ البصيرة في العرفان، حتّى يصير الغيب كالعيان، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان»<sup>(٤)</sup>.

وهذان المقامان «يثمرهما معرفة الله وخشيته، وقد عبّر في رواية عمارة بن القعقاع، بقوله: «أن تخشى الله كأنك تراه»<sup>(٥)</sup>.

(١) فتح الباري لابن حجر رحمه الله تعالى: (١/١٥٩).

(٢) شرح السنة للإمام بغوي رحمه الله تعالى: (١/١١).

(٣) تلخيص كتاب الاستغاثة: (١/٣٥١).

(٤) انظر جامع العلوم والحكم: (١/١٢٩).

(٥) فتح الباري لابن حجر رحمه الله تعالى: (١/١٥٩)، ورواية عمارة بن القعقاع، أخرجه مسلم: (١/١٨١ نووي)، رقم: (١٠).

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

«الإحسان يكون في عبادة الله، ويكون في معاملة الخلق، فالإحسان في عبادة الله، فسره النبي ﷺ حين سأله جبريل: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، أي فإن لم تصل إلى هذه الحال، فاعلم أنه يراك، والذي يعبد الله على هذه المرتبة، يعبد عبادة خوف ورهب، لأنه يخاف من يراه.

وأما الإحسان بالنسبة لمعاملة الخلق، فقليل في تفسيره: بذل الندي، وكف الأذى، وطلاقة الوجه...<sup>(١)</sup> اهـ.

وقد ورد ذكر الإحسان «في القرآن في مواضع:

تارة مقروناً بالإيمان، وتارة مقروناً بالإسلام، وتارة مقروناً بالتقوى أو بالعمل.

فالمقرون بالإيمان، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣]...

والمقرون بالإسلام، كقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ١١٢]...

والمقرون بالتقوى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

ويذكر مفرداً، كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتًى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]،

(١) شرح العقيدة الواسطية: (١/٢٢٥، ٢٢٦)، وبذل الندي: أي المعروف سواء كان مالياً أو بدنياً أم جاهاً، وكف الأذى: أن لا تؤدي الناس بقولك ولا بفعلك، وطلاقة الوجه: أن لا تكون عبوساً عند الناس، ويدخل في ذلك: إحسان المعاملة في البيع والشراء، والإجارة والنكاح... انظر المرجع نفسه: (١/٢٢٦).

وقد ثبت في صحيح مسلم، عن النبي ﷺ تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل في الجنة<sup>(١)</sup>، وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان، لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى الله عياناً في الآخرة...»<sup>(٢)</sup>.

- 
- (١) أخرجه مسلم في صحيحه: (١٨١)، والترمذي: (٢٥٥٥ - ٣١٠٤)، وابن ماجه: (١٨٧)، وأحمد: (٣٣٢/٤، ٣٣٣)، من حديث صهيب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل».
- (٢) انظر جامع العلوم والحكم: (١/١٢٥، ١٢٦).

## عقائد الإيمان

(عقيدة الإيمان بالله، منها مسائل كثيرة:

المسألة الأولى: وجوده تعالى وقدمه وبقاؤه: <sup>(١)</sup>)

[٣٢] هو الموجود الحق لذاته، الذي لا يقبل وجوده العدم، فهو القديم الذي لا بداية لوجوده، وهو الباقي الذي لا نهاية لوجوده، لقوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، ولقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَةٌ وَجَعَلْنَا مِنْ أَغْصَانٍ ذَرَّعٌ وَنَجْعٌ لِّمَنْ يَحْمِلُ صُنُوفًا يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد: ٢ - ٤] ولقوله تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، ولقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُضْطَرُّونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾﴾ [الحديد: ٣].

(١) ما بين قوسين غير مثبت في (ص).

[٣٢] إِنَّ وجود الله تبارك وتعالى مركوز في الفطر، فلا تنكره إلا الفطر الإبليسيّة، ووجوده سبحانه وتعالى لذاته، وكلّ الموجودات مفتقرة في وجودها لإيجاد الله تعالى لها.

يقول الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عند قوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِىَ اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]:  
«وهذا يحتمل شيئين:

أحدهما: أفي وجوده شكّ، فإنّ الفطرة شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، فإنّ الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة، ولكن قد يعرض لبعضها شكّ واضطرار، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصول إلى وجوده، ولهذا قالت لهم الرسل ترشدكم إلى طريق معرفته، بأنّه ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سابق، فإنّ شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كلّ شيء وإلهه ومليكه.

والمعنى الثاني: في قولهم<sup>(١)</sup>: ﴿أَفِىَ اللَّهِ شَكٌّ﴾، أي أفي إلهيته وتفردّه بوجوب العبادة له شكّ، وهو الخالق لجميع الموجودات، ولا يستحقّ العبادة إلا هو وحده لا شريك له؟ فإنّ غالب الأمم كانت مقرّة بالصانع، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم، أو تقرّبهم من الله زلفى...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

فكلّ ما في الكون يشهد بوجود ربّ خالق حكيم، فهذه الكواكب النيرات في السموات «ثوابت وسيّارات، والشمس والقمر، والليل والنهار واختلافهما، وإيلاج أحدهما في الآخر حتّى يطول هذا ويقصر هذا، ثمّ يقصر هذا ويطول هذا، وارتفاع السّماء واتّساعها وحسنها وزينتها، وما أنزل الله منها من مطر،

(١) أي في قول رسل الله تعالى ﷺ.

(٢) انظر التفسير: (٢/٤٨٠).

.....

فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير، وصنوف الثّبات وما ذراً فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع، وما فيها من جبال وسهول وقفار، وعمران وخراب، وما في البحر من العجائب والأمواج، وهو مع هذا مستخرّ مذلّل للسالكين، يحمل سفنهم ويجري بها برفق بتسخير القدير لا إله إلاّ هو، ولا ربّ سواه<sup>(١)</sup>.

فالعبد المؤمن «لا فرح له أعظم من فرحه بوجود ربّه، وأنسه به، وطاعته له، وإقباله عليه، وطمأنينته بذكره، وعمارة قلبه بمعرفته، والشوق إلى لقائه، فليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه، ويطمئن به، ويتنعم بالتوجّه إليه، إلاّ الله سبحانه»<sup>(٢)</sup>.

واعلم أخي المسلم، أنّ قول المصنّف رحمه الله تعالى: «فهو القديم الذي لا بداية لوجوده»، تعبير غير مرضي عند أهل العلم، وإن كان قاله بعض الأفاضل وخيرة العلماء، فالأولى التعبير بما قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾.

يقول العلامة الألباني رحمه الله تعالى:

«اعلم أنّه ليس من أسماء الله تعالى «القديم»، وإنّما هو من استعمال المتكلّمين، فإنّ القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن، هو المتقدّم على غيره، فيقال هذا قديم للعتيق، وهذا جديد للحديث، ولم يستعملوا هذا الاسم إلاّ في المتقدم على غيره لا فيما لم يسبقه عدم، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، والعرجون القديم: الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد قيل للأوّل قديم وإن كان مسبقاً بغيره كما حققه شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى»: (١/٢٤٥)، والشارح في شرحه<sup>(٣)</sup>،

(١) المرجع السابق: (٢/٣٩٤).

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم رحمه الله تعالى: (ص: ٧٥).

(٣) أي الإمام ابن أبي العزّ رحمه الله تعالى في شرح العقيدة الطحاوية.

لكن أفاد الشيخ ابن مانع هنا فيما نقله عن ابن القيم في «البدائع»، أنه يجوز وصفه سبحانه بالقدم بمعنى أنه يخبر عنه بذلك، وباب الأخبار أوسع من باب الصفات التوقيفية.

قلت: ولعلّ هذا هو وجه استعمال شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الوصف في بعض الأحيان...»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى، لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء...» الحديث<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾:

«فمعرفة هذه الأسماء الأربعة: الأول والآخر، والظاهر والباطن، هي أركان العلم والمعرفة، فحقيق بالعبد أن يبالغ في معرفتها إلى حيث ينتهي به قواه وفهمه... فأولية الله عز وجل سابقة على أولية كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه، فأوليته سبقه لكل شيء، وآخريته بقاؤه بعد كل شيء. وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضي العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه... فمدار هذه الأسماء الأربعة، أوليته وآخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله بعده...»

(١) العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق: (ص: ٣٣، ٣٤)، وانظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ رحمه الله تعالى: (١/٧٧)، ولعله أيضاً وجه استعمال المصنف رحمه الله تعالى لهذه الكلمة.

(٢) أخرجه مسلم: (١٧/٣٥، ٣٦ نوي).

فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد، فهو الأول في آخريته، والآخر في أوليته، والظاهر في بطونه، والباطن في ظهوره، لم يزل أولاً وآخرأً، وظاهراً وباطناً...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وينبغي على المسلم الموحّد، أن يتعبّد الله تعالى بأسمائه وصفاته، والتعبّد باسمه الأول والآخر على مرتبتين:

«المرتبة الأولى: أن تشهد الأوليّة منه تعالى في كلّ شيء، والآخرية بعد كلّ شيء، والعلو والفوقية فوق كلّ شيء، والقرب والدنو دون كلّ شيء، فالمخلوق يحجبه مثله عمّا هو دونه، فيصير الحاجب بينه وبين المحجوب، والربّ جلّ وجلاله ليس دونه شيء أقرب إلى الخلق منه.

المرتبة الثانية: أن يعامل كلّ اسم بمقتضاه، فيعامل سبقه تعالى بأوليته لكل شيء بفضله وإحسانه، والأسباب كلّها بما يقتضيه ذلك من إفراده وعدم الالتفات إلى غيره، والثوق بسواه، والتوكّل على غيره، فمن ذا الذي شفع لك في الأزل، حيث لم تكن شيئاً مذكوراً، حتّى سمّاك باسم الإسلام، ووسمك بسمة الإيمان، وجعلك من أهل قبضة اليمين... فعصمك عن العبادة للعبد... وكانت أوليتها منه بلا سبب...

ثمّ تعبّد له باسمه الآخر، بأن تجعله وحده غايتك التي لا غاية لك سواه، ولا مطلوب لك سواه، فكما انتهت إليه الأواخر، وكان بعد كلّ آخر، فكذلك اجعل نهايتك إليه، فإنّ إلى ربّك المنتهى، إليه انتهت الأسباب والغايات فليس وراءه مرمى ينتهي إليه»<sup>(٢)</sup>.

(١) طريق الهجرتين: (ص: ٣٨).

(٢) المرجع نفسه: (ص: ٣٨، ٣٩)، راجعه لتقف على كيفية التعبّد باسمه الظاهر والباطن.

(المسألة الثانية: سبق وجوده لكل وجود: <sup>(١)</sup>)

[٣٣] وهو الموجود، الذي سبق وجوده كل وجود، فكان تعالى وحده ولا شيء معه، ثم خلق ما شاء من مخلوقاته <sup>(٢)</sup>، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿قُلْ أَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَىٰ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ لَيَالٍ﴾ [١٠]، ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [١١]، ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [١٢] [فصلت: ٩ - ١٢].

[٣٣] قول المصنّف رحمه الله تعالى: «وهو الموجود الذي سبق وجوده كل وجود»، هذا نعت وصفة لوجود الله تبارك وتعالى، فقد نعته بالسبق لكل وجود، كما وصفه قبلُ بأنه لا يقبل العدم، وهذا وذاك معنى قول الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾.

ثم قال رحمه الله تعالى: «فكان تعالى وحده، ولا شيء معه، ثم خلق ما شاء من مخلوقاته»، ثم ذكر رحمه الله الآيات الدالة على خلق المخلوقات.

وفي هذا المعنى يقول رسول الله ﷺ: «كان الله، ولم يكن شيء غيره، وكان

(١) ما بين قوسين غير موجود في (ص) ولا في (ح)، وإنما أضفته زيادة في التوضيح، وهكذا المسألة التي ستأتي بعدها.

(٢) في (ح) «هو الذي لم يسبق وجوده عدم، فلا بداية لوجوده، والباقي في حقه تعالى معناه: هو الذي لا يلحق وجوده عدم، فلا نهاية لوجوده، ووجود الله تعالى حق لذاته بلا بداية ولا نهاية، وهو الموجود الذي سبق وجوده كل وجود، فكان تعالى وحده ولا شيء معه، ثم خلق ما شاء من مخلوقاته»، ثم ذكر الآيات.

عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض»<sup>(١)</sup>.

فوجود الله تعالى سبق كل الموجودات، وكل ما سوى الله عز وجل مفتقر في وجوده إلى إيجاد الله تعالى له.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: «... ثم خلق ما شاء من مخلوقاته».

فقوله: «ما شاء الله»، قد يكون احترازاً عن الترجيح فيما اختلف فيه السلف رحمهم الله تعالى: ما خلق الله أولاً؟

«فذهب كثير من السلف والخلف إلى أن العرش متقدم على القلم واللوح، مستدلين بهذا الحديث<sup>(٢)</sup>، وحملوا قوله: «أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: وما اكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>، على هذا الخلق المذكور في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق: (٣١٩١)، وفي التوحيد: (٧٤١٨)، عن عمران بن حصين رضي الله عنه. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «في الرواية الآتية في التوحيد: «ولم يكن شيء قبله»، وفي رواية غير البخاري: «ولم يكن شيء معه»، والقصة متحدة فافتضى ذلك أن الرواية وقعت بالمعنى، ولعل راويها أخذها من قوله ﷺ في دعائه من صلاة الليل، كما تقدم من حديث ابن عباس: «أنت الأول فليس قبلك شيء»، ولكن رواية الباب أصرح في العدم، وفيه دلالة على أنه لم يكن شيء غيره، لا الماء ولا العرش، ولا غيرهما، لأن كل ذلك غير الله تعالى». اهـ. انظر فتح الباري: (٣٤٧/٦)، وراجع: (٥٠١/١٣) وما بعدها، وقول الحافظ رحمه الله تعالى: «ولكن رواية الباب أصرح في العدم»، أي رواية: «ولم يكن شيء غيره»، التي معنا.

(٢) أي حديث عمران بن حصين رضي الله عنه المتقدم.

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير: (٣٣١٩)، وأحمد: (٣١٧/٥)، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وقال أبو عيسى الترمذي: «حسن غريب».

عَلَى الْمَاءِ ﴿[هود: ٧]...﴾<sup>(١)</sup>.

غير أَنَّ الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى يرى أَنَّ أَوَّلَ المخلوقات على الإطلاق هو الماء.

فقال رحمه الله تعالى: «وقوله ﷺ لأبي هريرة لَمَّا سَأَلَهُ مِمَّا خَلَقَ الْخَلْقُ؟ فقال له: «من الماء»، يدلُّ على أَنَّ الماء أصل جميع المخلوقات ومادتها، وجميع المخلوقات خلقت منه.

وفي المسند من وجه آخر<sup>(٢)</sup>، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله، إذا رأيتك طابت نفسي، وقَرَّتْ عيني، فأنبئني عن كلِّ شيء، فقال: «كل شيء خلق من ماء».

وقد حكى ابن جرير وغيره، عن ابن مسعود وطائفة من السلف: أَنَّ أَوَّلَ المخلوقات الماء...<sup>(٣)</sup> اهـ.

وقال أيضاً: «والخلاف في أَنَّ الماء، هل هو أَوَّلَ المخلوقات أم لا مشهور، وحديث أبي هريرة يدل على أَنَّ الماء مادة جميع المخلوقات.

وقد دلَّ القرآن على أَنَّ الماء مادة جميع المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، وقول من قال أَنَّ المراد بالماء النطفة التي يخلق منها الحيوانات، بعيد لوجهين:

أحدهما: أَنَّ النطفة لا تسمَّى ماء مطلق بل مقيداً، لقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (١٦٧/٢)، وراجع شرح العقيدة الطحاوية: (٣٤٥/٢).

(٢) (٢٩٥/٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٤٩٣).

(٣) كتاب لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: (ص: ٢٩).

دَافِقٍ ﴿١﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ [الطارق: ٦ - ٧]، وقوله تعالى: ﴿أَزْخَفُكُم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات: ٢٠].

**والثاني:** أن من الحيوانات ما يتولد من غير نطفة، كدود الخل والفاكهة ونحو ذلك، فليس كل حيوان مخلوقاً من نطفة، والقرآن دلّ على خلق جميع ما يدبّ، وما فيه حياة من الماء، فعلم بذلك أن أصل جميعها الماء المطلق، ولا ينافي هذا قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُورِ ﴿٧٧﴾﴾ [الحجر: ٢٧]، وقول النبي ﷺ: «خلقت الملائكة من نور»<sup>(١)</sup>، فإن حديث أبي هريرة دلّ على أن أصل النور والنار الماء، كما أن أصل التراب الذي خلق منه آدم الماء، فإن آدم خلق من طين، والطين تراب مختلط بماء، والتراب خلق من ماء، كما تقدّم عن ابن عباس وغيره.

وزعم مقاتل، أن الماء خلق من نور، وهو مردود بحديث أبي هريرة هذا وغيره، ولا يستنكر خلق النار من الماء، فإن الله عزّ وجلّ جمع بقدرته بين الماء والنار في الشجر الأخضر<sup>(٢)</sup>، وجعل ذلك من أدلة القدرة على البعث...<sup>(٣)</sup> اهـ.

(١) انظر تخريجه: (ص: ٣٢١).

(٢) كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [يس: ٨٠]، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «أي الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضراً نضراً، ثم ذا ثمر وينع، ثم أعاده إلى أن صار حطباً يابساً توقد به النار، كذلك هو فقال لما يشاء، قادر على ما يريد لا يمنعه شيء».

قال قادة في قوله: «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون»، يقول: الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر على أن يبعثه. اهـ. انظر التفسير: (٣/ ٥٤٢).

(٣) لطائف المعارف: (ص: ٣١، ٣٢)، وانظر فتح الباري للمحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٦/ ٣٤٧، ٣٤٨).

.....

---

فكلام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى قويّ، وله وجه من الدليل، وعلى كلّ حال، «سواء كان الراجع هذا أم ذاك، فالاختلاف المذكور يدلّ بمفهومه على أنّ العلماء اتّفقوا على أنّ هناك أوّل مخلوق»<sup>(١)</sup>، والله تعالى أعلم.

---

(١) من كلام العلامة الألباني رحمه الله تعالى، انظر العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق: (ص: ٥٣)، وقال قبل ذلك: «ذكر الشارح هنا أنّ العلماء اختلفوا هل القلم أوّل المخلوقات، أو العرش؟ على قولين لا ثالث لهما، وأنا وإن كان الراجع عندي الأوّل، كما كنت صرحت به في تعليقي عليه: (ص: ٢٩٥) [٢٦٤ - ٢٦٥]، فلنني أقول الآن سواء...» اهـ.

وقد علمت أخي المسلم أنّ هناك قولاً ثالثاً مشهوراً، كما قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى.

## (المسألة الثالثة: غناؤه عن كل وجود:)

[٣٤] فهو الغني بذاته عن جميع المخلوقات، وهي المفتقرة كلها ابتداء ودواماً إليه، لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتَ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٥) **﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾** (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ **﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾** [المائدة: ١٧]، **﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾** (٣١) **﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِّي تُصْرِفُونَ﴾** [يونس: ٣١ - ٣٢]، **﴿قُلْ غَيْرَ اللَّهِ أَنْتَخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يَطْعَمُهُ﴾** [الأنعام: ١٤].

[٣٤] إن من عقائد أهل السنة أن كل الموجودات محتاجة إلى الله تعالى في جميع الحركات والسكنات، وهو جلّ جلاله الغني عنهم بذاته، فهو المنفرد بالغي وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقول ويقدره ويشرعه.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:

«قال الله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتَ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٥) **﴿يَبَيِّنُ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ فُقْرَ الْعِبَادِ إِلَيْهِ أَمْرٌ ذَاتِي لَهُمْ، لَا يَنْفَكُ عَنْهُمْ، كَمَا أَنَّ كَوْنَهُ غَنِيًّا حَمِيداً ذَاتِي لَهُ، فغناه وحمده ثابت له لذاته، لا لأمر أوجبه، وفقر من سواه إليه ثابت لذاته، لا لأمر أوجبه، فلا يعلل هذا الفقر بحدوث ولا إمكان، بل هو ذاتي للفقير، فحاجة العبد لربه لذاته، لا لعلّة أوجبت تلك الحاجة، كما أَنَّ غنى الرب سبحانه لذاته، لا لأمر أوجب غناه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:**

والفقر لي وصف ذات لازم أبداً كما الغنى أبداً وصف له ذاتي فالخلق فقير محتاج إلى ربه بالذات لا بعلّة، وكلّ ما يذكر ويقرر من أسباب الفقر والحاجة، فهي أدلّة على الفقر والحاجة، لا علل لذلك، إذ ما بالذات لا

يعلل، فالفقر بذاته محتاج إلى الغني بذاته... والمقصود أنه سبحانه أخبر عن حقيقة العباد وذواتهم بأنها فقيرة إليه سبحانه، كما أخبر عن ذاته المقدسة وحقيقته أنه غني حميد، فالفقر المطلق من كل وجه ثابت لذواتهم وحقائقهم من حيث هي، والغنى المطلق من كل وجه ثابت لذاته تعالى وحقيقته من حيث هي، فيستحيل أن يكون العبد إلا فقيراً، ويستحيل أن يكون الرب سبحانه إلا غنياً، كما أنه يستحيل أن يكون العبد إلا عبداً والرب إلا رباً...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وهكذا كل المخلوقات، من العالم العلوي والسفلي، محتاجة ومفتقرة في حركاتها وسكناتها إلى ربها وخالقها يصرفها كيف يشاء، «فالإنسان وكل مخلوق فقير إلى الله بالذات، وفقره من لوازم ذاته، يمتنع أن يكون إلا فقيراً إلى خالقه... فالعبد فقير إليه من جهة ربوبيته ومن جهة ألوهيته»<sup>(٢)</sup>.

ولهذا كان أحب الخلق إلى الله تعالى «أكملهم عبودية وأعظم شهوداً لفقره، وضرورته وحاجته إلى ربه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، ولهذا كان من دعائه ﷺ: «أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك»<sup>(٣)</sup>، وكان يدعو: «يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك»<sup>(٤)</sup>، يعلم ﷺ

(١) طريق الهجرتين: (ص: ٢١، ٢٢)، وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (١/٣٨...).

(٢) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، انظر مجموع الفتاوى: (١/٣٥).

(٣) أخرجه أحمد: (٤٢/٥)، وأبو داود: (٥٥٩٠)، والبخاري في الأدب المفرد: (٧٠١)، والنسائي في العمل واللبلة: (٢٠٢ - ٦٥٦)، وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «حديث حسن»، كما في حاشية الأدب المفرد.

(٤) أخرجه الإمام أحمد: (١١٣/٣)، والترمذي: (١٢٤٠)، والحاكم في المستدرک: (٢٨٨/٣)، وابن ماجه: (٢٨٣٤)، والآجري في الشريعة: (٣١٧)، وابن أبي عاصم في السنة: (٢٢٥)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في الظلال: (١/٤٤، ٩٨).

.....

---

أَنَّ قَلْبَهُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يَمْلِكُ شَيْئًا، وَأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَصْرِفُهُ كَمَا يَشَاءُ  
 كَيْفَ يَشَاءُ، وَهُوَ يَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَنَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَتًّا  
 قَلِيلًا ۖ﴾ [الإسراء: ٧٤].

فضرورته ﷺ إلى ربه، وفاقته إليه بحسب معرفته به، وحسب قربه منه،  
 ومنزلته عنده... ولهذا كان أقرب الخلق إلى الله وسيلة، وأعظمهم عنده جاهاً،  
 وأرفعهم عنده منزلة، لتكميله مقام العبودية والافتقار إلى ربه<sup>(١)</sup>.

---

(١) طريق الهجرتين: (ص: ٢٣، ٢٤).

## عقيدة الإثبات والتنزيه

[٣٥] نثبت<sup>(١)</sup> له ما أثبتته لنفسه على لسان رسله من ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه، وننزّهه في ذلك عن مماثلة أو مشابهة شيء من مخلوقاته، لقوله تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ مَا كَانُوا لَكُمْ فِي الْأَنْفُسِ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «بعث رسول الله ﷺ عشرة، منهم: خبيب الأنصاري، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه، قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أيّ جنب كان في الله مصرعي وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزّع فلما قتل هو وأصحابه، أخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم يوم أصبحوا»، رواه البخاري<sup>(٢)</sup>.

ولقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۖ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۖ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۖ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ۖ﴾ [الأعلى: ٢ - ٥]، ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۖ﴾ [٧٦]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۖ﴾ [النحل: ٧٣ - ٧٤]، ﴿إِنَّمَا بِأَمْرِكُمْ

(١) في (ح) «نثبت لله تعالى».

(٢) برقم: (٣٩٨٩ - ٧٤٠٢)، والبيهقي في كتاب الاعتقاد: (ص: ٦)، وقوله: «شلو ممزّع»، الشلو: العضو، أي عضو متقطع، انظر فتح القاموس المحيط: مادة (شلو).

بِأَسْوَأَ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ [البقرة: ١٦٩]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

[٣٥] هذا الذي ذكره المصنّف رحمه الله تعالى هو منهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى في التعامل مع نصوص الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة، يثبتون لله تعالى ما أثبتته لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وينفون عنه ما نفاه هو تعالى عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ، إذ الله عزّ وجلّ أعلم بنفسه، ثم إنّ ورسوله ﷺ ما ﴿يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ④ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿[النجم: ٣ - ٤].

ويقول المصنّف رحمه الله تعالى وهو يشرح بيتين في التوحيد لأحدهم:

فنحن معشر فريق السنة      السالكين في طريق الجنة  
نقول بالإثبات والتنزيه      من غير تعطيل ولا تشبيه  
قال: «المعطلون، هم الذين ينفون الصفات الإلهية، والمشبّهون هم الذين يشبهونها بصفات المخلوقات، وكلاهما على ضلال، أمّا السنيون: فهم الذين يثبتونها له تعالى، ويتزّهونها عن التشبيه بالمخلوقات.

والتعطيل: تعطيل اللفظ عن دلالة معناه الحقيقي، أو الخروج به معنى آخر، والتشبيه: تشبيه الله بمخلوقاته، فنحن نثبت لله ما أثبتته لنفسه من أقوال أو أفعال أو صفات، ولا نشبّهه في شيء من ذلك بالمخلوقات، ولا غرابة في إثبات شيء مع عدم تكييفه، فالإنسان يثبت أنّ بين جنبيه نفساً، ولكن لا يستطيع تكييفها، كذلك نثبت صفات الله بلا كيف»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقد استدللّ الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى بهذه الجملة من

(١) نقل هذا الكلام عن المصنّف رحمه الله تعالى تلميذه الأستاذ محمد الصالح رمضان في تعليقه على العقائد الإسلامية للمصنّف: (ص: ٥٨)، وقوله: «والتعطيل، تعطيل اللفظ عن دلالة معناه الحقيقي...»، إلى آخر كلامه، لعله للأستاذ محمد الصالح رمضان، يشرح كلام شيخه، وسواء كان كلام التلميذ أم كلام الشيخ، فهو عينه كلام السلف، وهو يخرج من مشكاة واحدة، فجزاها الله تعالى عن عقيدة التوحيد خير الجزاء.

.....

الآيات الكريمات، ليثبت ما جاء فيها من أسماء وأفعال وصفات، كالنفس، وخلق الخلق السوي، والتقدير والهداية، وإخراج المرعى، وأنه تعالى فعّال لما يريد.

وقد أشار رحمه الله تعالى من خلال الآيات الثلاث الأخيرة، إلى حرمة ضرب الأمثال لله تعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله، فإنّ ذلك من التّقول على الله تعالى بغير علم وبغير حقّ، والسلامة أن تثبت وتنزّه، وتكون قاعدتك في ذلك كلّهُ، قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، تضمنت المنهج الصحيح للتعامل مع نصوص الأسماء والصفات.

وهذا المنهج يقوم على ركيزتين:

الأولى: تنزيه بلا تعطيل، ودلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

الثانية: إثبات بلا تمثيل، ودلّ على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وأما حديث خبيب رضي الله عنه، ففيه إثبات الذات لله تعالى، فكما أنّ الله عزّ وجلّ ذاتاً لا تشبه ذوات الخلق، فكذلك له سبحانه صفاتاً لا تشبه صفات الخلق، «فإنّ ذات الله تسمّى بأسماء وتوصف بأوصاف، ووجود ذات مجردة عن الأوصاف أمر مستحيل، فلا يمكن أن توجد ذات مجردة عن الأوصاف أبداً»<sup>(١)</sup>.

والله تبارك وتقدّس «أعلم بذاته، وهو موصوف غير مجهول، وموجود غير مدرك، ومرئّي غير محاط به، لقربه كأنك تراه، يسمع ويرى، وهو العلّيّ الأعلى، وعلى العرش استوى تبارك وتعالى، ظاهر في ملكه وقدرته، قد حجب عن الخلق كنه ذاته، ودلّهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه، والعقول لا تكيفه، وهو

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين رحمه الله تعالى: (٧٤/١)، وراجع مدارج السالكين لابن القيم رحمه الله تعالى: (٣/٣٦١)، وشرح العقيدة الطحاوية: (١/

بكل شيء محيط، وعلى كل شيء قدير»<sup>(١)</sup>.

وهكذا ما جاء من الصفات في الآيات التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى، كالنفس لله تعالى، فقد أثبت لها أعلم الخلق به ﷺ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ حين خرج إلى صلاة الصبح، وجويرة جالسة في المسجد، فرجع حين تعالى النهار، فقال: «لم تزال جالسة بعدي؟ قالت: نعم، قال: قد قلت بعدك أربع كلمات، لو وزنت لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ومداد كلماته، ورضي نفسه، وزنة عرشه»<sup>(٢)</sup>.

وجلّ ربنا «أن تكون نفسه كنفس خلقه، وعزّ أن يكون عدماً لا نفس له. قال جلّ ذكره لنبيه ﷺ: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، فأعلمنا ربنا أن له نفساً كتب عليها الرحمة...

وقال جلّ ذكره لكليمه موسى: ﴿ثُمَّ جِئْت عَلَى قَدَرٍ يَكُونُ أَنتَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤٠ - ٤١]، فثبت أن الله له نفساً اصطنع لها كليمه موسى ﷺ...

وقال روح الله عيسى بن مريم مخاطباً ربه: ﴿تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]، فروح الله عيسى بن مريم يعلم أن لمعبوده نفساً...<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر الحجة في بيان المحجة: (١/١٨٥، ١٨٦).

(٢) أخرجه مسلم: (٤٤/١٧ نووي)، والترمذي في الدعوات، باب: في دعاء النبي ﷺ، والنسائي في السهو، باب نوع آخر من التسبيح، وأبو داود في الصلاة، باب: التسبيح بالحصي، وأحمد: (٢٥٨).

(٣) انظر كتاب التوحيد لإمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله تعالى: (١/١١، ١٢).

وهكذا باقي صفات الله تعالى وأفعاله الواردة في الآيات التي استدلل بها المصنّف رحمه الله تعالى.

وليس مراده رحمه الله تعالى إحصاء الصفات والأسماء، وإنّما الغرض تقرير المنهج الذي ينبغي أن يتّبع، والذي كان عليه السلف في التعامل مع آيات وأحاديث الصفات، فهو إثبات من دون تشبيه، وتنزيه من دون تعطيل.

يقول الإمام البغوي رحمة الله الواسعة عليه:

«فهذه ونظائرها صفات لله تعالى، ورد بها السمع يجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها معرضاً فيها عن التأويل، معتقداً أنّ الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق، قال الله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وعلى هذا مضى سلف الأمة، وعلماء السنّة، تلقّوها جميعاً بالإيمان والقبول، وتجنّبوا فيها عن التمثيل والتأويل، ووكّلوا العلم فيها إلى الله عزّ وجلّ، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن الرّاسخين في العلم، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى:

«لا يوصف الله إلّا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

«مذهب السلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون ما وصف به نفسه ووصفه به

(١) شرح السنّة: (١/ ١٧٠، ١٧١)، وانظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين رحمه الله تعالى: (١/ ١١٣، ١١٧).

(٢) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (٥/ ٢٠).

رسوله، فيعطلون أسماءه الحسنی وصفاته العليا، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويلحدون في أسماء الله وآياته...»<sup>(١)</sup> اهـ.

فقد «أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتشبيه والتكيف، ومن عليهم بالتعريف والتفهم، حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتبعوا قول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾...»<sup>(٢)</sup>.

ويلتزمون في ذلك قاعدة «على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم»<sup>(٣)</sup>.

ويتمسكون بما قاله الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: «إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فاخضع له»<sup>(٤)</sup>.

ويدينون الله تعالى بما قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «ما صح عن رسول الله ﷺ قاله، فلا يقال فيه: لم، وكيف»<sup>(٥)</sup>.

وقال الإمام أبو يوسف، صاحب أبي حنيفة رحمة الله عليهما:

«فقد أمرنا الله أن نوحده، وليس التوحيد بالقياس، لأن القياس يكون في

(١) مجموع الفتاوى: (٢٠/٥).

(٢) انظر عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام الصابوني رحمه الله تعالى: (ص: ١٦٣، ١٦٤).

(٣) من كلام الإمام الزهري رحمه الله تعالى، انظر عقيدة السلف: (ص: ١٩٠)، وراجع شرح السنة للبغوي: (١/١٧١)، وفتح الباري للحافظ ابن حجر: (١٣/٥٠٣)، وقال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى: «وهذا كلام جامع مانع»، انظر شرح العقيدة الطحاوية: (١/٢٣١).

(٤) انظر عقيدة السلف: (ص: ١٩٦).

(٥) انظر الرد على الجهمية من كتاب الإبانة للإمام ابن بطه رحمه الله تعالى: (٣/٢٠٣)، رقم: ١٥٧.

.....

شيء له شبه ومثل، والله لا شبيه له ولا مثل، تبارك الله أحسن الخالقين»<sup>(١)</sup>. اهـ.

ويقول الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى:

«أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكتفون شيئاً من ذلك، ولا يحدّون فيه صفة محدودة»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

فتوحيد الأسماء والصفات يقوم على «أسس ثلاثة:

الأول: أن أسماء الله عزّ وجلّ وصفاته كلّها توقيفية، لا يجوز إطلاق شيء منها على الله في الإثبات أو النفي، إلا بإذن من الله ورسوله.

الثاني: أن الله عزّ وجلّ في كلّ ما ثبت له من الأسماء والصفات، لا يماثل شيئاً من خلقه، ولا يماثله شيء.

الثالث: أن صفاته سبحانه وتعالى كمال كلّها...»<sup>(٣)</sup>.

«فقد ثبت ما ادّعيناه من مذهب السلف رحمة الله عليهم، بما نقلناه عنهم جملة وتفصيلاً، واعتراف العلماء من أهل النقل كلّهم بذلك، ولم أعلم عن أحد منهم خلافاً في هذه المسألة»<sup>(٤)</sup>.

فهذا دين الأمة، وقول أهل السنة في الصفات، «فمن لم يشفه القرآن، ولم تنفعه السنة وما فيهما من النور والبيان، والهدى والضياء، وتنطع وتعمّق وقال

(١) انظر الحجة في بيان المحجة: (١٤٢/١٩).

(٢) التمهيد: (١٤٥/٧).

(٣) من مقدمة كتاب دلائل التوحيد للإمام العلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى: (ص: ٥٣)، وانظر أضواء البيان للإمام العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى: (٤١١/٣)، وكذا رسالته في منهج دراسة الأسماء والصفات.

(٤) من كلام الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى، انظر كتابه «ذم التأويل»: (ص: ٢٣٨).

برأيه، وقاس على الله وعلى رسوله بفعله وهواه، داخل الله في علمه، ونازعه في غيبه، ولم يقنع بما كشف له عنه حتى خالف الكتاب والسنة، وخرق إجماع الأمة، وضلّ ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً ميبئاً، واتبع غير سبيل المؤمنين، ولآه الله ما تولّى، وأصله جهنم وساءت مصيراً<sup>(١)</sup>.

### فائدة:

قال الشيخ العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

«قد جمع الله فيما وصف وسمّى به نفسه بين التّفي والإثبات، وذلك لأنّ تمام الكمال لا يكون إلّا بثبوت صفات الكمال، وانتفاء ما يضادها من صفات النقص، فصفات الله عزّ وجلّ قسمان: ثبوتية وسلبية، أو إن شئت، فقل: مثبتة ومنفية، والمعنى واحد ما دام السلب في اللغة بمعنى واحد، فالاختلاف في اللفظ لا يضر.

فالمثبتة: كلّ ما أثبتته الله لنفسه، وكلّها صفات كمال، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه.

وأما الصفات المنفية، أو السلبية، فكثيرة، ولكن الإثبات أكثر، وهذا ليس نفيّاً مجرداً، بل هو نفي يتضمن عكسه، وهو: المدح والثناء...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

(١) من كلام الإمام ابن بطّة رحمه الله تعالى، انظر الإبانة: (٧٧٣/٢)، وقال الإمام أبو عمرو الداني رحمه الله تعالى: «وهذا دين الأمة، وقول أهل السنة في هذه الصفات، أن تمر كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد، فمن تجاوز المروي فيها، وكيف شيئاً منها، ومثلها بشيء من جوارحنا... فقد ضلّ واعتدى، وابتدع في الدين ما ليس منه، وفرّق إجماع المسلمين، وفارق أئمة الدين...» اهـ. انظر الرسالة الوافية: (ص: ٥٨، ٥٩).

(٢) شرح العقيدة الواسطية: (١/١٤١، ١٤٨).

[٣٦] ولا تحيط العقول بذاته ولا بصفاته ولا بأسمائه، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ولقوله ﷺ: «لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»<sup>(١)</sup>.

ولقوله ﷺ في دعاء الكرب: «اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: (٢٠٣/٤) نووي، وأبو داود: (٨٧٩ - ١٤٢٤ عون المعبود) والترمذي: (٣٥٦٢ - ٣٥٦٣ تحفة)، والنسائي: (١٠٢/١)، (٤٢٩/٣)، وابن ماجه: (١١٧٩)، ومالك في الموطأ، كتاب الصلاة، باب: ما جاء في الدعاء، والدارقطني: (١٤٤/١)، وأحمد: (٩٦/١)، (٥٨/٦)، (٢٠١)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وله شاهد من حديث علي رضي الله عنه، أخرجه الترمذي: (٣٥٦١)، وأبو داود: (١٤٢٧)، والنسائي: (٢٥١/١)، (٢٤٨/٣)، (٢٤٩)، وابن ماجه: (١١٧٩)، وأحمد: (٩٦/١)، (١١٨، ١٥٠)، والحاكم في المستدرک: (٣٠٦/١)، وصحه ووافقه الذهبي، وصحه الألباني في الإرواء: (١٧٥/٢).

(٢) أخرجه أحمد: (٣٩١)، والحاكم في المستدرک: (٥٠٩/١)، والطبراني في الكبير: (٢١٠/١٠)، وابن السني في عمل اليوم والليلة: (٣٤٠)، من حديث أبي سلمة الجهني، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، إلا ابن السني، أخرجه من طريق عبد الرحمن بن إسحاق، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وصحه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى في طبعته للمسند: (٢٦٦/٥)، وقال الحاكم رحمه الله تعالى: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه عن أبيه».

وقال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: «أبو سلمة، لا يدرى من هو، ولا رواية له في الكتب الستة».

وترجم له في الميزان: (٣٨٧/٦)، فقال: «والحق أنه مجهول الحال، وابن حبان =

[٣٦] وذلك «أنَّ صفات الله عزَّ وجلَّ من الأمور الغيبية، والواجب على الإنسان نحو الأمور الغيبية، أن يؤمن بها على ما جاءت، دون أن يرجع إلى شيء سوى النصوص»<sup>(١)</sup>.

وهذا راجع إلى أنَّ العقل مخلوق من مخلوقات الله تعالى، شأنه كشأنها، له قدراته المحدودة، وخصائصه الثابتة، فكما أنَّه لا يمكن للعين أن تبصر ما يبعد عنها مسافات بعيدة، ولا يمكن للأذن أن تسمع ما يدور بين المتناجين، ولا يمكن لليد أن تحمل ما لا تطيق، فكذلك لا يمكن، بل ولا يطلب من العقل أن يدرك ما لا يمكنه.

فدور العقل في العقيدة السلفية، هو دور الرضا والتسليم لنصوص الكتاب

= يذكر أمثاله في الثقات، ويحتج به في الصحيح، إذا كان ما رواه ليس بمنكر». وردَّه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى بصنيع أهل الحديث في احتجاجهم بتوثيق ابن حبان للراوي، إذا لم يكن مجروحاً بشيء ثابت، لا سيما وأنَّ البخاري ترجم له في الكنى: [٣٤١]، ولم يذكر فيه جرحاً. وقد رجح رحمه الله تعالى سماع عبد الرحمن من أبيه، فزال بذلك احتمال الإرسال.

وهذا الذي رجحه الشيخ أبو الأشبال رحمه الله تعالى، هو الذي جزم به الشيخ الألباني رحمه الله عليه، مؤكداً أنَّ الحديث على شرط مسلم، وذكر أسماء جماعة من الأئمة ممَّن شهدوا بسماع عبد الرحمن من أبيه. انظر السلسلة الصحيحة: (١٩٨)، والمسند شرح العلامة أحمد شاكر رحمه الله تعالى: (٣٦٩٠).

وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عند ابن السني في العمل والليلة: (٣٤٣)، قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «وجملة القول، أنَّ الحديث صحيح من رواية ابن مسعود وحده، فكيف إذا انظم إليه حديث أبي موسى رضي الله عنه، وقد صححه شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه البار ابن القيم رحمهما الله تعالى». اهـ. انظر السلسلة الصحيحة، القسم الأول من الجزء الأول: (٣٨٧/١/١).

(١) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين رحمه الله تعالى: (٧٤/١).

والسنة، والتفكر يكون في مخلوقات الله تعالى، وما يستدل به على وحدانية الله عز وجل، وعلمه وقدرته وحكمته، والبعث والنشور، فالبحث العقلي ليس مذموماً على الإطلاق.

وأما أن يقحم الإنسان عقله في مجالات الغيب، وذات الله تبارك وتعالى، وصفاته وأسمائه وأفعاله، فهذا انزلاق خطير، بل هو إهانة للعقل نفسه.

وقد ميّز الله سبحانه وتعالى الإنسان، بأن منحه العقل الذي يستطيع أن يعرف به ربه، ويميّز بين ما ينفعه وما يضره، ومن رحمته تعالى بعباده، أنه لم يكلهم إلى العقل وحده في معرفة الخير والشر، فإنه لا يستطيع الاستقلال بنفسه في معرفة طريق الخير، بل أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنزل عليهم الكتب، تشمل على أوامر الله تعالى ونواهيه التي فيها سعادتهم، وتعرف إلى عباده بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسله عليهم الصلاة والسلام.

فالعقل الموفق، هو العقل الذي يدعو صاحبه إلى موافقة أمر ربه تعالى المفترض عليه، والطاعة والانقياد لحكمه، والتسليم لما جاء من وصف لذاته<sup>(١)</sup>.

ف «كل من تعرّض لمعرفة الذات العلية بعقله، فقد تعرّض لأمر يعجز عنه، ولا يمكنه بلوغ الأرب منه، والمرء إذا عجز عن معرفة كنه نفسه، بل عن اكتناه أبسط الأشياء لديه، فعن اكتناه الحق تعالى بالأولى»<sup>(٢)</sup>.

قال قوام السنة الأصبهاني رحمه الله تعالى:

«... واعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة، هو مسألة العقل، فإنهم أسسوا دينهم على العقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول.

وأما أهل السنة، قالوا: الأصل في الدين الاتباع، والمعقول تبعاً، ولو كان

(١) اقتباس ما مقدمة دلائل التوحيد.

(٢) دلائل التوحيد، لعلامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى: (ص:

أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء، ولو كان الدين بني على المعقول لجاز للمؤمنين أن لا يقبلوا شيئاً حتى يعقلوا، ونحن إذا تدبرنا عامة ما جاء في أمر الدين، من ذكر صفات الله، وما تعبد الناس به من اعتقاد، وكذلك ما ظهر بين المسلمين وتداولوه بينهم، ونقلوه عن سلفهم إلى أن أسندوه إلى رسول الله ﷺ، من ذكر عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والحوض، والميزان، والصراط، وصفات الجنة، وصفات النار، وتخليد الفريقين فيهما، أمور لا تدرك حقائقها بعقولنا، وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها، فإذا سمعنا شيئاً من أمور الدين وعقلناه وفهمناه، فلله الحمد في ذلك والشكر ومنه التوفيق، وما لم يمكننا إدراكه وفهمه، ولم تبلغه عقولنا، آمنا به وصدقناه، واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته وقدرته، واكتفينا في ذلك بعلمه ومشيبته، وقال الله تعالى في مثل هذا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأنبياء: ٨٥]...

ثم نقول لهذا القائل الذي يقول بني ديننا على العقل وأمرنا باتباعه، أخبرنا إذا أتاك أمر من الله يخالف عقلك، فأيهما تأخذ، بالذي تعقل، أو بالذي تؤمر؟ فإن قال بالذي أعقل، فقد أخطأ وترك سبيل الإسلام، وإن قال آخذ بالذي جاء من عند الله، فقد ترك قوله... وهذا معنى قول القائل من أهل السنة: «إن الإسلام قنطرة لا تعبر إلا بالتسليم»، فنسأل الله التوفيق فيه، والثبات عليه، وأن يتوفانا على ملة رسول الله ﷺ، بمنه وكرمه...<sup>(١)</sup> اهـ.

وبهذا تعلم أخي المسلم أن «طريق أهل السنة: أن لا يعدلوا عن النص الصحيح، ولا يعارضوا بمعقول»<sup>(٢)</sup>.

الحجة في بيان المحجة: (١/٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩).

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٢/٥٠٠)، وراجع: (١/٢٣١)، وما بعدها.

[٣٧] فمن صفاته تعالى: الحياة، لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

[٣٧] سبق معنا أنَّ صفات الله تعالى ثبوتية وسلبية، أو مثبتة ومنفية، فالثبوتية، هي ما أثبتته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان عبده ورسوله ﷺ. والصفات السلبية، هي ما نفاه الله سبحانه وتعالى عن نفسه في كتابه، أو على لسان نبيه ﷺ.

ثم اعلم أخي المسلم - بارك الله فيك - أنَّ الصفات الثبوتية الواردة في الكتاب والسنة قسمان، ذاتية وفعلية، «فالذاتية نوعان: معنوية وخبرية. فالمعنوية، وهي التي دلت على معنى، مثل: الحياة، والعلم، والقدرة، وغيرها.

والخبرية، مثل: اليدين، والوجه، والعينين، وغيرها، وسمّيت صفات ذاتية لأنها ملازمة للذات لا تنفك عنها.

وأما الصفات الفعلية، فهي الصفات المتعلقة بمشيئة، وهي نوعان: صفات لها سبب معلوم، كالرضى وغيرها، وصفات ليس لها سبب ومعلوم، كالنزول وغيرها.

ومن الصفات ما هو صفة ذاتية وفعلية باعتبارين، فالكلام صفة فعلية باعتبار أحاده، لكن باعتبار أصله صفة ذاتية، لأنَّ الله لم يزل ولا يزال متكلِّماً، لكنّه يتكلَّم بما شاء متى شاء.

وسمّيت صفات فعلية، لأنها من فعله سبحانه وتعالى...»<sup>(١)</sup>.

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية: (١/٧٨، ٧٩)، للشيخ العثيمين رحمه الله تعالى، وراجع «القواعد المثلى» له: (ص: ٢١ - ٢٥)، وشرح العقيدة الطحاوية: (ص: ٦٨ طبعة الألباني)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (٥/٥١٨)، (٦/٦٨، ٧٥، ٧٧، ١١٤، ٢١٧، ٢٣٧...).

وقد بدأ المصنف رحمه الله تعالى في الكلام على بعض الصفات المعنوية، ثم أشار إلى بعض الصفات الفعلية، كالاستواء والنزول، ولم يرد رحمه الله تعالى حصر هذه الصفات الفعلية، وإنما أراد التمثيل.

فمن صفاته تبارك وتعالى «الحياة»، التي بان بها من الأموات، والقدرة التي أبدع بها الأجناس والذوات، والعلم الذي أحكم به جميع الموضوعات، والسمع والبصر اللذان أدرك بهما جميع المسموعات والمبصرات، والكلام الذي باين فيه أهل السكوت والخرس وذوي الآفات، والبقاء الذي سبق المكونات، وباين معه جميع الفانيات»<sup>(١)</sup>.

فمن مستلزمات الذات المقدسة: الحياة، فالله تعالى حي لا يموت أبداً، فهو الدائم الباقي السرمدي الأبدى، لم يزل ولا يزال، وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن سبحانه وتعالى.

يقول الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى:

«فهو الحيّ، أي ذو الحياة الكاملة المتضمنة لجميع صفات الكمال، لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال، ولا يعترها نقص بوجه من الوجوه...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

فالله سبحانه وتعالى حيّ قيوم، حيّ بحياة باقية، لا يشبه الحيّ بحياة زائلة، فصفة الحياة الباقية، مختصة به تعالى دون خلقه، فإنهم يموتون.

ثم اعلم أخي المسلم - بارك الله فيك - أن هذين الاسمين، ﴿الْحَيُّ﴾، ﴿الْقَيُّومُ﴾، «فيهما الكمال الذاتي، والكمال السلطاني، فالذاتي في قوله: ﴿الْحَيُّ﴾،

(١) من كلام الإمام أبي عمرو الداني رحمه الله تعالى، انظر الرسالة الوافية: (ص: ٤٧)، وراجع شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٨٩)، والعقيدة في الله للشيخ عمر سليمان الأشقر حفظه الله تعالى: (ص: ١٨٢).

(٢) شرح العقيدة الواسطية: (١/ ١٦٥).

والسلطاني في قوله: ﴿الْقَيُّومُ﴾، لأنه يقوم على كل شيء، ويقوم به كل شيء<sup>(١)</sup>.  
وعليهما مدار الأسماء الحسنی کلّھا، وإليهما يرجع معانيها، فإنّ الحياة  
مستلزمة لجميع صفات الكمال، فلا تتخلّف عنها صفة منها إلّا لضعف الحياة،  
فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمّها، استلزم إثباتها إثبات كلّ كمال يضادّ  
نفيه كمال الحياة.

وأما القيوم، فهو متضمّن كمال غناه وكمال قدرته، فإنّه القائم بنفسه، فلا  
يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، المقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلّا بإقامته،  
فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتمّ انتظام<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق (١/١٦٧).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (١/٩١، ٩٢).

[٣٨] ومن صفاته تعالى: القدرة على إيجاد كل ممكن وإعدامه<sup>(١)</sup>،  
 لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

[٣٨] إِنَّ من صفات الله تعالى القدرة، فهو القادر ذو القوة الذي لا يعجزه شيء، كما أخبر سبحانه وتعالى عن نفسه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْتَبَتِ﴾ [الذريات: ٥٨]، وقال أهل التفسير، أن المعنى في وصفه تعالى بالقوة، أنه القادر البالغ الاقتدار على كل شيء<sup>(٢)</sup>.

وعن جابر رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلم السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحكم بالامر فليركع ركعتين من دون الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب...» الحديث<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام ابن أبي العزّ رحمه الله تعالى:

«وأما أهل السنّة، فعندهم أن الله على كل شيء قدير، وكلّ ممكن فهو مندرج في هذا... وهذا الأصل، هو الإيمان بربوبيته العامة التامة، فإنه لا يؤمن بأنه ربّ كل شيء، إلا من آمن بأنه قادر على تلك الأشياء، ولا يؤمن بتمام ربوبيته وكمالها، إلا من آمن بأنه على كل شيء قدير...»<sup>(٤)</sup>. اهـ.

(١) في (ح) «لو إعدامه».

(٢) راجع فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١٣/٤٤٠).

(٣) أخرجه البخاري: (١١٦٢ - ٦٣٨٢ - ٧٣٩٠)، والترمذي في الصلاة، باب: في صلاة الاستخارة، وأبو داود: في الصلاة، باب: في الاستخارة، وابن ماجه: (١٣٨٣)، وأحمد: (٣/٣٤٤).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية: (١/١١٧).

فالقوة من صفات الذات، وهي بمعنى القدرة، ولم يزل سبحانه وتعالى ذا قوة وقدرة، ولم تزل قدرته موجودة قائمة به، موبجة له حكم القادرين، والمتين بمعنى القوي، وهو في اللغة: الثابت الصحيح.

وقال البيهقي: القوي: التام القدرة، لا ينسب إليه عجز في حالة من الأحوال، ويرجع معناه إلى القدرة، والقادر هو الذي له القدرة الشاملة، والقدرة صفة قائمة بذاته، والمقتدر: هو التام القدرة، الذي لا يمتنع عليه شيء<sup>(١)</sup>.

### فائدة:

قال العلامة الألباني رحمه الله تعالى رحمة واسعة في تعليقه على العقيدة الطحاوية:

«قال الشيخ ابن مانع رحمه الله: يجيء في كلام بعض الناس: وهو على ما يشاء قدير، وليس ذلك بصواب، بل الصواب ما جاء بالكتاب والسنة: وهو على كل شيء قدير، لعموم مشيئته وقدرته تعالى، خلافاً لأهل الاعتزال، الذين يقولون: إنّ الله سبحانه لم يرد من العبد وقوع المعاصي، بل وقعت من العبد بإرادته، لا بإرادة الله...»<sup>(٢)</sup>، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١٣/٤٤١).

(٢) العقيدة الطحاوية: شرح وتعليق: (ص: ٣٥).

[٣٩] ومن صفاته تعالى: الإرادة والمشئنة المطلقة في جميع الممكنات، فيخصص ما شاء بما شاء.

لقوله تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

[٣٩] إِنَّ صفة الإرادة والمشئنة من مقتضيات ربوبيته سبحانه وتعالى، فـ «مهما أراد فعله، لا معقّب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل، لعظمته وقدرته وحكمته وعدله»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «لا يقل أحد: اللهم اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت، وليعزم مسأله، إنه يفعل ما يشاء لا مكره له»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: «بايعت رسول الله ﷺ في رهط، فقال: لبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تاتوا ببهتان تفتريه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن رضي منكم فاجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فاخذ به في الدنيا، فهو كفارة وظهور، ومن ستره الله، فذلك إلى الله، إن شاء عنبه وإن شاء غفر له»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٤/٤٥٠).

(٢) أخرجه البخاري: (٦٤٤٩ - ٧٤٧٧)، ومسلم في الذكر والدعاء والدعوة والاستغفار، باب: العزم في الدعاء، ولا يقل إن شئت (٢٦٧٩)، والبخاري في شرح السنة: (١٣٩١ - ١٣٩٢)، وله شاهد من حديث أنس عند مسلم: (٢٦٧٨).

قال الحافظ رحمه الله تعالى: «ومعنى الأمر بالعزم: الجّد فيه، وأن يجزم بوقوع مطلوبه، ولا يعلق ذلك بمشيئة الله، وإن كان مأموراً في جميع ما يريد فعله أن يعلقه بمشيئة الله تعالى، وقيل: معنى العزم: أن يحسن الظنّ بالله في الإجابة... اهـ. فتح الباري: (١١/١٦٨).

(٣) أخرجه البخاري: (٦٨٠١ - ٧٤٦٨).

وهذه هي عقيدة جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، أن ما شاء الله تعالى كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج شيء عن إرادته ومشئته تعالى.

قال الإمام ابن بطة رحمه الله تعالى:

«فاعلموا - رحمكم الله - أن هذه طريقة الأنبياء ﷺ، وبذلك تعبدهم الله، وأخبر به عنهم في كتابه، أن المشيئة لله وحده، ليس أحد يشاء لنفسه شيئاً من خير أو شر، ونفع وضرر، وطاعة ومعصية، إلا أن يشاء الله، وبالتبري إليه من مشيئتهم ومن حولهم وقوتهم ومن استطاعتهم<sup>(١)</sup>، وبذلك أخبر عن نوح ﷺ حين قال له قومه: ﴿يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْنَا فَأَيْنَا يَمَا تَعْدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾، فقال نوح ﷺ مجيباً لهم: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ﴾ ﴿٣٢﴾ وَلَا يَنْفَعُكَ نَصِيحِي إِن أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٢ - ٣٤]...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته السلفية:

«كل شيء يجري بتقديره ومشئته، ومشئته تنفذ، لا مشيئة للعباد، إلا ما شاء الله لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن»<sup>(٣)</sup>.

«يعني أن مشيئته تعالى وإرادته، شاملة لكل ما يقع في هذا الكون، من خير أو شر، وهدى أو ضلال، والآيات الدالة على ذلك كثيرة معروفة... والمقصود بهذه الفقرة الرد على المعتزلة النافين لعموم مشيئته تعالى.

(١) أي أن الله تعالى تعبد الأنبياء كذلك بأن يتبرأوا من مشيئتهم ومن حولهم ومن قوتهم ومن استطاعتهم.

(٢) كتاب الإبانة، قسم القدر: (١/٢٨٧).

(٣) انظر العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق، للشيخ الألباني رحمه الله تعالى: (ص: ٣٦،

.....

لكن يجب أن يعلم أنه لا يلزم من ذلك أن الله يحب كل ما يقع، فالحب غير الإرادة، وإلا كان لا فرق عند الله تعالى بين الطائع والعاصي، وهذا ما صرح به بعض كبار القائلين بوحدة الوجود، من أن كلاً من الطائع والعاصي، مطيع لله في إرادته! ومذهب السلف والفقهاء وأكثر المثبتين للقدر من أهل السنة وغيرهم، على التفريق بين الإرادة والمحبة<sup>(١)</sup>.

ونقل الإمام البيهقي بسنده إلى الربيع بن سليمان أن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى قال:

«المشيئة إرادة الله، وقد أعلم الله خلقه أن المشيئة له دونهم، فقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩]، فليست للخلق مشيئة إلا أن يشاء الله»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وذلك أن الله تعالى خالق أفعال العباد<sup>(٣)</sup>، فلا يفعلون إلا ما يشاء، وهذا أصل قامت عليه البراهين.

قال الإمام ابن بطال رحمه الله تعالى:

«هذه المسألة مبنية على القول بأنه سبحانه خالق أفعال العباد، وأنهم لا يفعلون إلا ما يشاء، وقد دلّ على ذلك قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، وغيرها من الآيات، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ثم أكد ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فدلّ على أنه فعل اقتتالهم الواقع منهم لكونه مريداً له، وإذا كان هو الفاعل لاقتتالهم فهو المريد

(١) المرجع السابق، وراجع مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (٥٨/٨)،

(٦١...٦٠)، وشفاء العليل لابن القيم رحمه الله تعالى: (ص: ٤٧، ٤٨)، وفتح الباري

لابن حجر رحمه الله تعالى: (٥٥٠/١٣)، وشرح العقيدة الطحاوية: (٧٩/١).

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر رحمه الله تعالى: (٥٤٨/١٣).

(٣) وستأتي هذه المسألة بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

لمشيئتهم والفاعل، فثبت بهذه الآية أن اكتساب العباد إنما هو بمشيئة الله وإرادته، ولو لم يرد وقوعه ما وقع<sup>(١)</sup>. اهـ.

هذا... وإن الإرادة الواردة في كتاب الله تعالى نوعان: «إرادة دينية شرعية، وإرادة كونية قدرية.

فالأول كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْمُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٦ - ٢٧].

(١) فتح الباري لابن حجر رحمه الله تعالى: (١٣/٥٤٩، ٥٥٠)، وقال الحافظ رحمه الله تعالى في معرض رده على المعتزلة: «... وأما قوله في الأنعام: «سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا» [١٤٨]، فقد تمسك بها المعتزلة، وقالوا إن فيها رد على أهل السنة، والجواب: أن أهل السنة تمسكوا بأصل قامت عليه البراهين، وهو أن الله خالق كل مخلوق ويستحيل أن يخلق المخلوق شيئاً، والإرادة شرط في الخلق، ويستحيل ثبوت المشروط بدون شرطه، فلما عاند المشركون المعقول، وكذبوا المنقول الذي جاءتهم به الرسل، وألزموا الحجة بذلك، تمسكوا بالمشيئة والقدر السابق، وهي حجة مردودة، لأن القدر لا تبطل به الشريعة، وجريان الأحكام على العباد بأكسابهم، فمن قدر عليه بالمعصية كان ذلك علامة على أنه قدر عليه العقاب إلا أن يشاء أن يغفر له من غير المشركين، ومن قدر عليه بالطاعة كان ذلك علامة على أنه قدر عليه بالثواب. وحرف المسألة أن المعتزلة قاسوا الخالق على المخلوق وهو باطل، لأن المخلوق لو عاقب من يطيعه من أتباعه عد ظالماً، لكونه ليس مالكا له للحقيقة، والخالق لو عذب من يطيعه لم يعد ظالماً؛ لأن الجميع ملكه، فله الأمر كله يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل.

وقال الراغب: يدل على أن الأمور كلها موقوفة على مشيئة الله، وأن أفعال العباد متعلقة بها وموقوفة عليها، ما اجتمع الناس على تعليق الاستثناء به في جميع الأحوال... اهـ. فتح الباري: (١٣/٥٤٩).

فإن الإرادة هنا بمعنى المحبة والرضى، وهي الإرادة الدينية، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥١) [الذاريات: ٥٦].

وأما الإرادة الكونية القدرية، فمثل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ومثل قول المسلمين: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وجميع الكائنات في هذه الإرادة والإشاعة لا يخرج عنها خير ولا شر، ولا عرف ولا نكر، وهذه الإرادة والإشاعة تتناول ما لا يتناوله الأمر الشرعي، وأما الإرادة الدينية فهي مطابقة للأمر الشرعي لا يختلفان...»<sup>(١)</sup>.

«فصار الفرق بين الإرادتين من وجهين:

- ١ - الإرادة الكونية يلزم فيها وقوع المراد، والشرعية لا يلزم.
- ٢ - الإرادة الشرعية تختص فيما يحب الله، والكونية عامة فيما يحبه وفيما لا يحبه...»<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (٧٨، ٧٧/١٨)، وانظر شرح العقيدة الواسطية: (٢٢٢/١، ٢٢٣)، وشرح العقيدة الطحاوية: (٧٩/١). وقال الحافظ ابن حجر: «وقال بعضهم الإرادة على قسمين: إرادة أمر وتشريع، وإرادة قضاء وتقدير، فالأولى تتعلق بالطاعة والمعصية سواء وقعت أم لا، والثانية شاملة لجميع الكائنات محيطة بجميع الحوادث طاعة ومعصية...» اهـ. فتح الباري: (٥٥٠/١٣).

(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين رحمه الله تعالى: (٢٢٣/١)، وراجع شرح العقيدة الطحاوية: (١١٠/١)، لتقف على المعاني المستنبطة من قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾.

[٤٠] ومن صفاته تعالى: العلم الذي تنكشف له جميع المعلومات، من الواجبات والجائزات والمستحيلات، فيعلمها على ما هي عليه من الحالات، وتستوي عنده الجليات والخفيات، لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [٤١] ﴿الملك: ١٤﴾، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا تُعَلِّنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

[٤٠] إن الله تبارك وتعالى هو العالم الذي أحاط بكل شيء علمه، وهو سبحانه وتعالى عليم بعلم مضاف إليه من صفات الذات، قال تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرٍ إِنَّهُ يَعْلَمُ خَيْرًا مِنْكَ مَا تُخْفِي﴾ [النساء: ١٦٦]، وقال سبحانه: ﴿قَالَ بَسْتَخْبِيئُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أُنْزِلَ بِهِ عِلْمُ اللَّهِ﴾ [هود: ١٤].

قال ابن بطال رحمه الله تعالى: «في هذه الآيات إثبات علم الله تعالى، وهو من صفات ذاته، خلافاً لمن قال إنه عالم بلا علم»<sup>(١)</sup>. اهـ.

«فأعلمنا الله أنه أنزل القرآن بعلمه، وخبرنا جل ثناؤه أن الأنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه»<sup>(٢)</sup>، فأضاف الله جلّ وعلا إلى نفسه العلم الذي خبرنا أنه أنزل القرآن بعلمه...»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث الاستخارة قال ﷺ: «اللهم إني استخيرك بعلمك... وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب...» الحديث.

والله «يعلم سبحانه ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وإن كان يعلم أنهم لا يردون، ولكن أخبر أنهم لو ردوا لعادوا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ

(١) فتح الباري لابن حجر رحمه الله تعالى: (٤٤٣/١٣).

(٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فصلت: ٤٧].

(٣) كتاب التوحيد لإمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله تعالى: (٢٢/١).

.....

اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٣﴾ [الأنفال: ٢٣]، وفي ذلك ردّ على الرافضة والقدرية الذين قالوا: إنّه لا يعلم الشيء قبل أن يخلقه ويوجده، وهي من فروع مسألة القدر، وسيأتي لها زيادة بيان، إن شاء الله تعالى<sup>(١)</sup>.

ثم إن الله تعالى موصوف بأنه بكلّ شيء عليم أزلاً وأبداً لم يتقدّم علمه بالأشياء جهالة، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

فقد ثبت بدليل النقل والعقل أنّ الله تعالى موصوف بالعلم، فأما الدليل النقلي ما تقدم من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

وأما «الدليل العقلي على علمه تعالى: أنّه يستحيل إيجاد الأشياء مع الجهل، ولأنّ إيجاد الأشياء بإرادته، والإرادة تستلزم تصوّر المراد، وتصور المراد هو العلم بالمراد، فكان الإيجاد مستلزماً للإرادة، والإرادة مستلزمة للعلم، فالإيجاد مستلزم للعلم.

ولأنّ المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها، لأنّ الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير عالم، ولأنّ من المخلوقات ما هو عالم، والعلم صفة كمال، ويمتنع أن لا يكون الخالق عالماً. وهذا له طريقتان:

أحدهما: أن يقال: نحن نعلم بالضرورة أنّ الخالق أكمل من المخلوق... ونعلم ضرورة أنّا لو فرضنا شيئين، أحدهما عالم والآخر غير عالم، كان العالم أكمل، فلو لم يكن الخالق عالماً، لزم أن يكون الممكن أكمل منه، وهو ممتنع.

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (١٣٢/١)، وقال الحافظ رحمه الله تعالى في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «حدثنا الصادق المصدوق... الحديث، قال: «وفيه أنّ الله يعلم الجزئيات كما يعلم الكلّيات لتصريح الخبر بأنه يأمر بكتابة أحوال الشخص المفصلة...» اهـ. فتح الباري: (٥٩٧/١١).

الثاني: أن يقال كلّ علم في الممكنات التي هي المخلوقات فهو منه، ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عارياً منه، بل هو أحقّ به، والله تعالى له المثل الأعلى، لا يستوي هو والمخلوقات، لا في قياس تمثيل ولا في قياس شمول، بل كلّ ما ثبت للمخلوق من كمال، فالخالق به أحقّ، وكلّ نقص تنزّه عنه مخلوق ما، فتنزيه الخالق عنه أولى...»<sup>(١)</sup>.

ومن نفى علم الله تعالى المطلق وفق القواعد السابقة الذكر، شمله قول الله تعالى لأهل الشقاء: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

«أي تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم ما كنتم تكتُمون منّا الذي كنتم تفعلونه، بل كنتم تجاهرون بالكفر والمعاصي ولا تبالون منه في زعمكم، لأنكم كنتم لا تعتقدون أنّه يعلم جميع أفعالكم، ولهذا قال

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ١٢٥، ١٢٦).

وقياس التمثيل هو: قياس يستوي فيه الأصل والفرع، وقياس الشمول، هو قياس يستوي فيه جميع أفرادها. وإنما يستعمل قياس الأولى، فكلّ كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، وكلّ عيب ونقص نفى عن المخلوقات، فيجب نفىه عن الله تعالى بطريق الأولى.

فقد «اتفق أهل السنة على أنّ القياس لا يجري في التوحيد، إن أدّى إلى البدعة والإلحاد وتشبيه الخالق بالمخلوق، وتعطيل أسماء الله وصفاته وأفعاله، وإنما يصح القياس في باب التوحيد إذا استدّل به على معرفة الصانع وتوحيده، ويستخدم في ذلك قياس الأولى، لئلا يدخل الخالق والمخلوق تحت قضية كلية تستوي أفرادها، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، ولئلا يتماثلان أيضاً في شيء من الأشياء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]». انظر معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، للشيخ محمد بن حسين بن حسن الجيزاني: (ص: ١٨٩)، وراجع غير ملزم تسهيل المنطق، للشيخ عبد الكريم بن مراد الأثري: (ص: ٤٨، ٥٥).

تعالى: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ كُفْرًا﴾ [فصلت: ٢٢ - ٢٣]، أي هذا الظن الفاسد، وهو اعتقادكم أن الله تعالى لا يعلم كثيراً مما تعملون، هو الذي أتلفكم وأرداكم عند ربكم...<sup>(١)</sup> اهـ.

فهؤلاء الأشقياء - نعوذ بالله من حالهم -، قادهم ظنهم بالله تعالى بأنه لا يعلم أعمالهم إلى جهنم وبئس المصير، وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فيقولون: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

[٤١] ومن صفاته تعالى: السمع الذي تنكشف به جميع المسموعات.

ومن صفاته تعالى: البصر الذي تنكشف به جميع المبصرات.

لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُحَدِّثُ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١].

ولحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: «كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال: اربعوا<sup>(١)</sup> على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً قريباً»، رواه البخاري<sup>(٢)</sup>.

[٤١] قال الإمام قوام السنة الأصبهاني رحمه الله تعالى: «أهل السنة يعتقدون أن الله وحده لا شريك له، ولا مثيل له، وأنه لم يزل متصفاً بصفاته الحسنی، وأنه سميع بسمع، بصير ببصر، عليم بعلم، متكلم بكلام»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

«وقد أعلمنا ربنا الخالق الباري أنه يسمع قول من كذب على الله، وزعم أن الله فقير، ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران: ١٨١]، فكذبهم الله في مقالتهم تلك، فردّ الله ذلك عليهم، وخبر أنه الغني وهم الفقراء، وأعلم عباده المؤمنين أنه السميع البصير.

(١) في (ح) «ارباوا» ولعله خطأ في الطبع.

(٢) (٢٩٩٣ - ٢٩٩٤ - ٤٢٠٢ - ٦٣٨٤ - ٦٤٠٩)، ومسلم: (٢٥/١٧، ٢٦، ٢٧ نووي)، وأبو داود: (١٥٢٦ - ١٥٢٧)، والترمذي: (٣٥٢٨ تحفة)، وأحمد: (٤/٣٩٤، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤١٧، ٤١٨).

وقوله ﷺ: «اربعوا على أنفسكم»، أي ارفقوا بها، ويقال: اربع على نفسك، أي انتظر. ويقال معناه: امسكوا عن الجهر، وقفوا عنه، يقال: ربيع الرجل بالمكان، إذا وقف عن السير وأقام. انظر شرح السنة للبغوي: (٦٧/٥).

(٣) الحجة في بيان المحجة: (٤٣٣/٢)، ومثله قول الإمام الحجة إسحاق بن راهويه رحمه الله تعالى: «إن الله سميع بسمع، بصير ببصر، قادر بقدرة»، انظر شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي رحمه الله تعالى: (٤٥٠/٣).

فكذلك خبر المؤمنين أنه قد سمع قول المجادلة تحاور النبي ﷺ والمجادلة، وخبرت الصديقة بنت الصديق ﷺ، أنه يخفى عليها بعض كلام المجادلة مع قربها منها، فسبّحت خالقها الذي وسع سمعه الأصوات، وقالت: «سبحان من وسع سمعه الأصوات»<sup>(١)</sup>.

فسمع الله جلّ وعلا كلام المجادلة، وهو فوق سبع سموات، مستو على عرشه، وقد خفي بعض كلامها على من حضرها وقرب منها...»<sup>(٢)</sup>.

وهذا والله الحمد والمئة قول أهل السنة قاطبة، لا يعرف فيه مخالف.

قال ابن بطلال رحمه الله تعالى معلّقاً على كلام أمتنا عائشة رضي الله عنها السابق:

«غرض البخاري في هذا الباب: الردّ على من قال إنّ معنى «سميع بصير» علم، قال: ويلزم من قال ذلك أن يسويه بالأعمى الذي يعلم أنّ السماء خضراء ولا يراها، والأصمّ الذي يعلم أنّ في الناس أصواتاً ولا يسمعها، ولا شك أنّ من سمع وأبصر أدخل في صفة الكمال ممّن انفرد بأحدهما دون الآخر، فصحّ أنّ كونه سميعاً بصيراً يفيد قدراً زائداً على كونه عليمّاً، وكونه سميعاً بصيراً يتضمن

(١) ذكره البخاري رحمه الله تعالى تعليّقاً في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: «وكان الله سميعاً بصيراً»، عن الأعمش، عن تميم، عن عروة، عن عائشة، قالت: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات».

قال الحافظ رحمه الله تعالى عن تميم هذا: «هو ابن سلمة الكوفي، تابعي صغير، وثقه يحيى بن معين، ووصل حديثه المذكور أحمد والنسائي وابن ماجة باللفظ المذكور، وأخرجه ابن ماجة أيضاً من رواية أبي عبيدة بن معن، عن الأعمش بلفظ: «تبارك»، وسياقه أتم... قال ابن التين: قول البخاري: «قال الأعمش مرسل»، لأنه لم يلقه، قال الشيخ أبو الحسن: ولهذا لم يذكره في تفسير سورة المجادلة اهـ، وتسمية هذا مرسلًا مخالف للاصطلاح، والتعليل ليس بمستقيم، فإنّ في الصحيح عدّة أحاديث معلقة لم تذكر في تفسير الآية التي تتعلق بها...». فتح الباري: (٤٥٧/١٣).

(٢) انظر كتاب التوحيد لإمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله تعالى: (١٠٧/١).

أنه يسمع بسمع، وببصر ببصر، كما تضمن كونه عليمًا أنه يعلم بعلم، ولا فرق بين إثبات كونه سميعًا بصيرًا، وبين كونه ذا سمع وبصر، قال: وهذا قول أهل السنة قاطبة...<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«السميع من له سمع يدرك به المسموعات، والبصير من له بصر يدرك به المرئيات، وكلّ منهما في حقّ الباري صفة قائمة بذاته...»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وهذا ما يؤكد حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «أنه قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، فوضع إصبعه الدعاء وإبهامه على عينيه وأذنه»<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام اللالكائي معلقاً على الحديث المتضمن لإشارته ﷺ: «يعني سميع بسمع، بصير ببصر...»<sup>(٤)</sup> اهـ.

وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«أراد بهذه الإشارة تحقيق إثبات السمع والبصر لله ببيان محلها من

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٤٥٦/١٣).

(٢) نقلاً عن المرجع نفسه.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب: في الجهمية (٤٧٢٨)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد: (٩٧/١، ٩٨)، قال الإمام اللالكائي رحمه الله تعالى: «وهو إسناد صحيح على شرط مسلم يلزمه إخراج»، انظر شرح اعتقاد أهل السنة: (٤٥٥/٣)، وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم» فتح الباري: (٤٥٦/١٣).

(٤) انظر اعتقاد أهل السنة والجماعة: (٥٤١/٣، ٥٤٢)، وراجع شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: (٨٥/١).

الإنسان، يريد أن له سمعاً وبصراً، لا أن المراد به العلم، فلو كان كذلك لأشار إلى القلب، لأنه محل العلم، ولم يرد بذلك الجارحة، فإن الله تعالى منزه عن مشابهة المخلوقين...<sup>(١)</sup> اهـ.

فقد أثبت لنفسه أنه يسمع ويرى، والمعطلة من الجهمية تنكر كل صفة لله جلّ وعلا وصف بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيه ﷺ، لجهلهم بالعلم.

وقال عز وجل: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝﴾ [الفرقان: ٤٣ - ٤٤]، فأعلم الله عز وجل أن من لا يسمع ولا يعقل كالأنعام بل هم أضل سبيلاً.

فمعبود الجهمية عليهم لعائن الله كالأنعام التي لا تسمع ولا تبصر، والله قد ثبت لنفسه أنه يسمع ويرى، والمعطلة من الجهمية تنكر كل صفة لله وصف بها نفسه في محكم تنزيله، أو على لسان نبيه ﷺ لجهلهم بالعلم، وذلك أنهم وجدوا

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٤٥٦/١٣)، وهو عند البيهقي في الأسماء والصفات، واحذر أخي المسلم طبعة زاهد الكوثري، فقد دنسها بتأويلاته وتدليساته.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «... وقوله البصير، يعني المدرك لجميع المبصرات، ويطلق البصير بمعنى العليم، فالله سبحانه وتعالى بصير يرى كل شيء وإن خفي، وهو سبحانه بصير بمعنى: عليم بأفعال عباده، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٌ يَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨]، والذي نعمل بعضه مرئي وبعضه غير مرئي، فبصر الله إذا ينقسم إلى قسمين، وكله داخل في قوله: البصير... اهـ انظر شرح العقيدة الواسطية: (٢٠٨/١).

.....

في القرآن أنّ الله قد أوقع أسماء من أسماء صفاته على بعض خلقه، فتوهموا لجهلهم بالعلم أنّ من وصف الله بتلك الصفة التي وصف الله بها نفسه، قد شبهه بخلقهم...<sup>(١)</sup>.

قال إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله تعالى:

«وجدت الله وصف نفسه في غير موضع من كتابه، فأعلم عباده المؤمنين أنّه سميع بصير، فقال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وذكر عزّ وجلّ الإنسان فقال: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]...»<sup>(٢)</sup>.

ونحن معشر أهل السنة نثبت وننزه، ونقول: «إنّ الله سميع بصير، كما أعلمنا خالقنا وبارؤنا، ونقول: من له سمع وبصر من بني آدم، فهو سميع بصير، ولا نقول أنّ هذا تشبيه المخلوق بالخالق...»<sup>(٣)</sup>.

فوائد:

الفائدة الأولى:

قال العلامة الشيخ العثيمين رحمه الله عليه:

«السميع له معنيان، أحدهما بمعنى المجيب، والثاني بمعنى السامع للصوت.

أما السميع بمعنى المجيب، فمثّلوا له بقوله تعالى عن إبراهيم: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، أي لمجيب الدعاء.

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة رحمه الله تعالى: (٥٨/١).

(٢) المرجع نفسه: (٥٩/١).

(٣) المرجع نفسه.

وأما السمع بمعنى إدراك الصوت، فإنهم قَسَموه إلى عدّة أقسام:  
**الأول:** سمع يراد به بيان عموم إدراك سمع الله عزّ وجلّ، وأنّه ما من صوت  
 إلّا ويسمعه الله.

**الثاني:** سمع يراد به النّصر والتأييد.

**والثالث:** سمع يراد به الوعيد والتهديد.

مثال الأول: قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١]، فهذا فيه بيان إحاطة سمع الله تعالى بكلّ مسموع...  
 ومثال الثاني: كما في قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦].

ومثال الثالث، الذي يراد به التهديد والوعيد، قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، فإنّ هذا يراد به تهديدهم ووعيدهم، حيث كانوا يسرون ما لا يرضى من القول.

والسمع بمعنى إدراك المسموع من الصفات الذاتية، وإن كان المسموع قد يكون محدثاً.

والسمع بمعنى النّصر والتأييد من الصفات الفعلية، لأنّه مقرون بسبب.

والسمع بمعنى الإجابة من الصفات الفعلية أيضاً...»<sup>(١)</sup>.

**الفائدة الثانية:**

قال الإمام ابن بقال رحمه الله تعالى:

«في هذا الحديث<sup>(٢)</sup> نفي الآفة المانعة من السمع، والآفة المانعة من النّظر،

(١) شرح العقيدة الواسطية: (٧٠٦/١، ٧٠٧، ٧٠٨)، وانظر: (٣٢٣/١، ٣٢٤).

(٢) أي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، الذي ذكره المصنف رحمه الله تعالى تحت هذا الباب.

وإثبات كونه سمياً بصيراً قريباً، يستلزم أن لا تصحّ أضداد هذه الصفات عليه<sup>(١)</sup>. اهـ.

### الفائدة الثالثة:

يقول الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى:

«أما الرؤية فنستفيد من الإيمان بها: الخوف والرجاء، الخوف عند المعصية، لأنّ الله يرانا، والرجاء عند الطاعة، لأنّ الله يرانا. ولا شكّ أنّه سيثبنا على هذا، فتقوى عزائمنا بطاعة الله، وتضعف إرادتنا لمعصيته.

وأما السمع، فالأمر فيه ظاهر، لأنّ الإنسان إذا آمن بسمع الله، استلزم إيمانه كمال مراقبة الله تعالى فيما يقول خوفاً ورجاء؛ خوفاً فلا يقول ما يسمع الله تعالى منه من سوء، ورجاء فيقول الكلام الذي يرضي الله عزّ وجلّ...»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٤٥٨/١٣)، وقوله ﷺ: «تدعون سمياً بصيراً قريباً»، عنق الراحلة للراكب قريب جداً، فالله تعالى أقرب من هذا إلى الإنسان، ومع هذا فهو فوق سماواته على عرشه، ولا منافاة بين القرب والعلو، لأنّ الشيء قد يكون بعيداً قريباً، هذا بالنسبة للمخلوق، فكيف بالخالق؟! فالرب عزّ وجلّ قريب مع علوّه، أقرب إلى أحدنا من عنق راحلته. انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: (٥٥/٢، ٨٩ وما بعدها).

(٢) شرح العقيدة الواسطية: (١/٣٣٠، ٣٣١).

[٤٢] ومن صفاته تعالى: الكلام، الذي يدل على جميع المعلومات، لقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

[٤٢] من عقائد أهل السنة والجماعة، «أن الله يتكلم بكلام حقيقي متى شاء، كيف شاء، بما شاء، بحروف وصوت، لا يماثل أصوات المخلوقين»<sup>(١)</sup>. هذا هو «مذهب أهل الحق، ومما اتفق عليه أهل التوحيد والصدق، أن الله لم يزل متكلماً بكلام مسموع مفهوم مكتوب، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، وقال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا يكلمه الله يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان»<sup>(٢)</sup>... الحديث.

وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: «لما قتل عبد الله - يعني إياه -، قال رسول الله ﷺ: يا جابر! ألا أخبرك بما قال الله لأبيك؟ قال: بلى، قال: ما كلم أحداً إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحاً...»<sup>(٣)</sup>...<sup>(٤)</sup>.

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الطويل، يقول رسول الله ﷺ: «...ثم أعود الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي، لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله...»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين رحمه الله تعالى: (٤١٩/١).

(٢) أخرجه البخاري: (٧٤٤٣ - ٧٥١٢)، ومسلم: في الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق ثمرة (١٠١٦)، والترمذي: (٢٤١٧)، وابن ماجه: (١٨٥)، والبيهقي في شرح السنة: (٤٣٣١)، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن ماجه: (١٩٠ - ٢٨٠٠)، والترمذي: (٤٠٩٧)، وكفاحاً: مواجهة ليس بينهما حجاب، انظر النهاية: (١٨٥/٣).

(٤) انظر قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، للإمام العلامة صديق حسن خان رحمه الله تعالى: (ص: ٦٩).

(٥) أخرجه البخاري: (٧٥١٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣)، والبيهقي في شرح السنة: (٤٣٣٤).

والأحاديث عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين فمن بعدهم، جمّة كثيرة متظاهرة بتحقيق كلام الله وتشبيته...<sup>(١)</sup>.

«والوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص. قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ قَوْمَ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَيْبِهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَّهُمْ خُورًا أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ لَا يَكْتُمُهُمْ وَلَا يَدِيرُهُمْ سَيِّئًا﴾<sup>(٢)</sup> [الأعراف: ١٤٨].

فثبت بنص الكتاب والسنة، أنّ من صفات الله تعالى الكلام، «وأنّه يتكلم متى شاء إذا شاء، ولم يقع في معناه خلاف في عهد الصحابة رضي الله عنهم، ولم يظهر الكلام فيه وإنكاره إلّا في أوائل القرن الثاني، أظهره الجعد بن درهم فيما أظهر من نفي صفات الباري عزّ وجلّ، وقد ترتب على هذا القول بدعة خلق القرآن، وهي من أعظم الفتن التي وقعت في تاريخ الأمة الإسلامية... وهذه البدعة - أعني تعطيل الله عزّ وجلّ عن صفة الكلام، وأنّه لم يتكلم عزّ وجلّ بالقرآن ولا بغيره -، لا شك أنّ ذلك من أعظم الكفر وأشنعه، إذ أنّهم فرّوا من تشبيه الله عزّ وجلّ ببعض خلقه إلى تشبيهه ببعض آخر، وهو الجماد، نعوذ بالله من خذلانه...»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام الدارمي رحمه الله تعالى:  
«فلا ينكر كلام الله عزّ وجلّ إلّا من يريد إبطال ما أنزل الله عزّ وجلّ، وكيف يعجز عن الكلام من علّم العباد الكلام وأنطق الأنام...»<sup>(٤)</sup>. اهـ.

(١) انظر الردّ على الجهمية للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله تعالى: (ص: ١٥٨).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ١٧٥)، وراجع الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني رحمه الله تعالى: (ص: ٦٩).

(٣) هامش على كتاب التوحيد للإمام ابن خزيمة: (١/ ٣٢٨)، وانظر العقيدة السلفية في كلام رب البرية، للشيخ الجديع وفقه الله تعالى.

(٤) الرد على الجهمية: (ص: ١٥٥)، وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (٣٢/ ١٢).

وفي قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ رد على كل من ينكر كلام الله تعالى، فقد قال أئمتنا «هذه الآية أقوى ما ورد في الرد على المعتزلة.

قال النّحاس: أجمع النّحويّون على أنّ الفعل إذا أكد بالمصدر لم يكن مجازاً، فإذا قال: ﴿تَكْلِيمًا﴾ وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة التي تعقل...»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:

«وعلى العبد أن يعتقد أنّ الله سبحانه وتعالى عظيم له عظمة، كبير له كبرياء، عزيز له عزّة، حيّ له حياة، باق له بقاء، عالم له علم، ومتكلّم وله كلام، قويّ له قوّة، وقادر وله قدرة، وسميع وله سمع، بصير له بصر...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

تلك هي بعض الصفات الذاتية التي ذكرها المصنف الإمام ابن باديس رحمه الله تعالى، وهذه الصفات تدرك بالفكر والسمع.

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:

«أمّا الصفات السمعية العقلية ممّا تدرك بالفكر والرويّة، كالحياة والقدرة والخلق والوجود، ولذا سمّيت عقلية لإدراك العقل الصحيح لها، ولو لم يأت بها خبر، والخلاف فيها قليل...»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٥٨٥/١٣).

(٢) شرح السنة: (١٧٧/١).

(٣) التبصير في معالم الدين: (ص: ١٣٩)، وقال رحمه الله تعالى: «وذلك أنّ الذي ذكرنا قبل من صفاته، لا يعلو بالجهل به أحد بلغ حدّ التكليف، كان ممّن أتاه من الله تعالى ذكره رسول أم لم يأت به رسول، عاين من الخلق غيره، أو لم يعاين أحداً سوى نفسه». (ص: ١٣٢).

## (فصل) (١)

[٤٣] قال المصنف رحمه الله تعالى: «ونثبت الاستواء والنزول ونحوهما، ونؤمن بحقيقتهما على ما يليق به تعالى بلا كيف، وبأنّ ظاهرهما المتعارف في حقنا غير مراد.

[٤٣] هذه بعض الصفات الفعلية التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى، ولم يرد الحصر كما هو ظاهر كلامه، وإنّما أراد التمثيل وذلك وفق المنهج الذي ذكره قبل، «نثبت ما أثبتته لنفسه على لسان رسوله من ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه، وننزهه في ذلك عن مماثلة أو مشابهة شيء من مخلوقاته».

(١) قال الأستاذ محمد الصالح رمضان: «قوله: ونثبت الاستواء والنزول... إلى قوله: غير مراد، قال: كان في الأصل بعد صفة الكلام... ومن غير استشهاد عليه بالآيات والأحاديث، فرأيت إثباته هنا تحت هذا العنوان - أي بعد قول المصنف: فهو الغني بذاته...، ثم تأتي بقية الصفات كما رتبها الأستاذ الإمام مستدلاً عليها بالآيات والأحاديث، وأرجو ألا يكون هذا من التحكم وسوء تصرف» اهـ.

قلت: لقد أحسن الأستاذ رمضان جزاء الله تعالى خيراً بصنيعه وترتيبه هذا، وقد ساق مع ذلك الأدلة على الاستواء والنزول في تعليقه على العقائد الإسلامية الذي هو أصل هذا الكتاب فبارك الله فيه، ولكنني رأيت أن أعيد هذه الفقرة إلى ترتيبها الأصلي كما وضعه الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى، وذلك لحسن ترتيبها كذلك، فقد جاءت مباشرة بعد الصفات الذاتية العقلية، وعادة العلماء أن يقرنوا بين الصفات في التأليف، ويظهر بوضوح مخالفة المصنف للأشاعرة الذين يتفنون الصفات إلا السبع المشهورة. والله أعلم.

فيكون إثبات النزول والاستواء على هذا المنهج، وكذا سائر الصفات الفعلية التي لم يذكرها المصنف رحمه الله تعالى، كالضحك والغضب، والإتيان والمجيء، وغيرها من الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ.

فأما صفة الاستواء، فقد «أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين، أن الله تبارك وتعالى على عرشه فوق سماواته، بائن من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه»<sup>(١)</sup>.

وقد أخبر الله عز وجل عن استوائه على عرشه في سبعة مواضع في كتابه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣].

وقال عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢].

وقال تبارك وتعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

وقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

(١) من كلام الإمام ابن بطه رحمه الله تعالى، انظر الإبانة، قسم الرد على الجهمية: (٣)

العرش ﴿[الحديد: ٤]﴾.

وأما الأحاديث عن رسول الله ﷺ، فمنها عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق، إن رحمت سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش»<sup>(١)</sup>.

وعنه رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الأخير، يقول: من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى مفسراً للحديث:

«وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات، كما قالت الجماعة»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

(١) أخرجه البخاري: (٣١٩٤ - ٧٤٠٤ - ٧٤٢٢ - ٧٤٥٣ - ٧٥٥٣ - ٧٥٥٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه، (٢٧٥١)، والترمذي: (٣٥٤٣)، وابن ماجه: (٤٢٩٥)، وأحمد: (٢٤٢/٢)، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٩٣، ٣٥٨، ٣٨١، ٣٩٧، ٤٣٣، ٤٦٦)، والبغوي في شرح السنة: (٤١٧٧ - ٤١٧٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات: (٢٧٨/٢).

(٢) أخرجه البخاري: (١١٤٥)، ومسلم في الصحيح، في صلاة المسافرين، ومالك في الموطأ، باب: في القرآن: (٣٠).

(٣) التمهيد: (١٢٩/٧)، وانظر الرد على الجهمية للإمام الدارمي رحمه الله تعالى: (ص: ٧٣)، واجتماع الجيوش الإسلامية للحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى: (ص: ٦٧).

ومن الأدلة على استواء الله تعالى على عرشه، حديث الإسراء والمعراج، فقد استدلل به أئمة السنة على ذلك، وهو أول حديث ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه العجائب، اجتماع الجيوش الإسلامية، وقال إنه متواتر، انظره: (ص: ٣٨)، وراجع قطف الثمر للإمام صديق حسن خان رحمه الله تعالى: (ص: ١١٤)، والفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (ص: ١٧ - ٥١).

وقال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى:

«قال أبو نصر السجزي في كتاب «الإبانة»: وأئمتنا، كسفيان، ومالك، والحمّادين، وابن عيينة، والفضيل، وابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وإسحاق، متفقون على أنّ الله سبحانه فوق العرش، وعلمه بكلّ مكان، وأنّه ينزل إلى السماء الدنيا، وأنّه يغضب، ويرضى، ويتكلّم بما شاء...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

«وليس في كتاب الله، ولا سنة رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من السلف، لا من الصحابة، ولا من التابعين، ولا عن أئمة الدين، حرف واحد يخالف ذلك، ولم يقل أحد منهم إنّ الله ليس في السماء، أو أنّه ليس على العرش»<sup>(٢)</sup>.

واعلم أخي المسلم أنّ كون الله تعالى مستو على عرشه لا يعارض قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، فإنّ الله عزّ وجلّ أراد إثبات علمه على خلقه، وأنّه معهم بعلمه، وهو مستو على عرشه.

يقول الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى مفسراً لهذه الآية:

«قال تعالى مخبراً عن إحاطة علمه بخلقه، وإطلاعه عليهم، وسماعه كلامهم، ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

(١) سير أعلام النبلاء: (١٧/٦٥٦)، وقد نقل الإجماع على عقيدة الاستواء الإمام الحافظ أبو نعيم رحمه الله تعالى في كتابه «محبّة الوائقين، ومدرجة الوامقين»، انظر الفتوى الحموية الكبرى: (ص: ٦٣).

(٢) انظر قطف الثمر للإمام صديق حسن خان رحمه الله تعالى: (ص: ٥٣)، وراجع أقوال السلف في ذلك «الفتوى الحموية الكبرى»: (ص: ٢٨ - ٤٣ وما بعدها)، وانظر أقوال الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين، والأئمة، وأهل اللغة، والفلاسفة، والشعراء في علو الله تعالى، اجتماع الجيوش الإسلامية: (ص: ٤٩ وما بعدها).

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ﴿١﴾، أَي مِنْ سَرِّ ثَلَاثَةٍ، ﴿إِلَّا هُوَ رَاقِبُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾، أَي مَطْلَع عَلَيْهِمْ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ وَسِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ، وَرَسُولُهُ أَيْضاً مَعَ ذَلِكَ تَكْتُبُ مَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ، مَعَ عِلْمِ اللَّهِ بِهِ وَسَمْعِهِ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾، وَلِهَذَا حَكَى غَيْرُ وَاحِدٍ الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَعِيَةِ عِلْمِهِ تَعَالَى، وَلَا شَكَّ فِي إِرَادَةِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ سَمِعَهُ أَيْضاً مَعَ عِلْمِهِ مُحِيطٌ بِهِمْ وَبَصَرُهُ نَافِذٌ فِيهِمْ، فَهُوَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَطْلَعٌ عَلَى خَلْقِهِ، لَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْ أُمُورِهِمْ شَيْءٌ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: افْتَتَحَ الْآيَةَ بِالْعِلْمِ وَاخْتَتَمَهَا بِالْعِلْمِ<sup>(١)</sup>. اهـ.

فثبت أنَّ المراد من الآية إثبات علم الله تعالى المطلق بخلقه، ولهذا قال إمام دار الهجرة، الإمام مالك رحمه الله تعالى: «الله في السماء وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم رحمه الله تعالى:

«سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين، فقالوا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار، فكان من مذهبهم: أنَّ الله على عرشه، بائن من خلقه، كما وصف نفسه بلا كيف، أحاط بكل شيء علمه»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

(١) تفسير ابن كثير: (٤/٢٩٠).

(٢) إسناده صحيح، انظر الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني رحمه الله تعالى: (ص: ٥٢)، وإثبات صفة العلو للمقدسي: (ص: ١٢٦)، والتمهيد لابن عبد البر: (٧/١٣٨)، والسير للذهبي: (٨/١٠١)، والشرعية للأجري: (ص: ٢٨٩)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام: (٥/٥٣).

(٣) انظر سير أعلام النبلاء: (١٣/٨٤)، وراجع مختصر العلو للإمام الألباني رحمه الله تعالى: (ص: ٢٠٤)، واعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي رحمه الله تعالى: (١/١٧٦).

وقال الإمام الحجة إسحاق بن راهويه رحمه الله تعالى :

«إجماع أهل العلم أنه تعالى على العرش استوى، ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال الإمام الدارمي رحمه الله تعالى :

«فالله تبارك وتعالى فوق عرشه فوق سماواته، بائن من خلقه، فمن لم يعرف بذلك لم يعرف إلهه الذي يعبد، وعلمه من فوق العرش بأقصى خلقه وأدناهم واحد، ولا يبعد عنه شيء، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]، سبحانه وتعالى عما يصفه المعطلون علواً كبيراً»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ولهذا قال الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى :

(١) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: (١١/٣٧٠)، وقد أورده في كتاب العلو، انظر المختصر: (ص: ١٩٤)، وقال رحمه الله تعالى معقباً على قول الإمام إسحاق بن راهويه: «اسمع ويحك إلى هذا الإمام، كيف نقل الإجماع على هذه المسألة الشريفة» مختصر العلو: (ص: ١٩٤)، وراجع اجتماع الجيوش الإسلامية: (ص: ٨٨).

وقول الإمام ابن راهويه: «ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة»، مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، فقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، أي سبعا كذلك.

وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ، قال: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوّقه من سبع أرضين»، أخرجه البخاري: (٢٤٥٣ - ٣١٩٥)، قال الحافظ رحمه الله تعالى: «وفيه أن الأرضين السبع طباق كالمسوات، وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، خلافاً لمن قال إن المراد بقوله سبع أرضين سبعة أقاليم، فتح الباري: (٥/١٣٠)، وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: «ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة، وأغرق في النزاع، وخالف القرآن والحديث بلا مستند» انظر التفسير: (٤/٣٤٧)، وراجع البداية والنهاية: (١/٣١).

(٢) الرد على الجهمية: (ص: ٤٧).

«نعرف ربنا فوق سبع سموات على العرش استوى، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه هاهنا، وأشار إلى الأرض»<sup>(١)</sup>. اهـ.

قال الإمام الدارمي رحمه الله تعالى معقباً على قول ابن المبارك:

«ومما يحقق قول ابن المبارك، قول رسول الله ﷺ للجارية: «إين الله؟»، يمتحن بذلك إيمانها، فقالت: «في السماء»، قال رسول الله ﷺ: «أعتقها، فإنها مؤمنة»، والآثار في ذلك عن رسول الله ﷺ كثيرة، والحجج متظاهرة، والحمد لله على ذلك...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقال رحمه الله تعالى:

«والحجة لقول ابن المبارك رحمه الله، قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَرَى الْمَلَائِكَةُ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥]، فلماذا يحفون حول العرش، إلا لأن الله عز وجل فوقه، ولو كان في كل مكان، لخلقوا بالأمكنة كلها لا بالعرش دونها، ففي هذا بيان بين للحد<sup>(٣)</sup>، وأن الله فوق العرش، والملائكة حوله حافون يسبحون ويقعدسون، ويحمل عرشه بعضهم، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَمْجُلُونَ الْعَرْشَ

(١) انظر عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني رحمه الله تعالى: (ص: ١٨٦).

(٢) الرد على الجهمية للدارمي: (ص: ٤٧)، وحديث الجارية، أخرجه مسلم في صحيحه: (٥٣٧)، كتاب المساجد وموضع الصلاة فيها، باب: تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، وأبو داود: في الصلاة، باب: تشميت العاطس في الصلاة، والنسائي: (٣/ ١٤، ١٩)، وأحمد: (٤٤٧/٥، ٤٤٨)، والبيهقي: (٣٨٧/٧)، وابن أبي عاصم في السنة: (٤٨٩)، والدارمي في الرد على الجهمية: (ص: ٢١، ٢٢)، من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

(٣) أي جهة العلو، وإلا فقد قال الإمام ابن بطة رحمه الله تعالى: «وهو على العرش بلا حد، كما استوى على العرش كيف شاء، المشيئة إليه والاستطاعة إليه: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» انظر الإبانة، قسم الرد على الجهمية: (٣٤/٢)، وراجع مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (١٦٢/٥، ١٦٣).

وَمَنْ سَوَّلَهُ يُسَيِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴿[غافر: ٧]...﴾<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال شيخ الإسلام رحمة الله عليه :

«والمقصود أنه تعالى وصف نفسه أيضاً بالمعية والقرب، والمعية معيتان: عامة وخاصة.

فالأولى: كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

والثانية: كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [التحل: ١٢٨] وإلى غير ذلك من الآيات.

وأما القرب فهو كقوله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وقد افترق الناس في هذا المقام أربع فرق ...».

فذكر رحمه الله تعالى بعض الفرق الضالة، ثم قال: «وأما القسم الرابع، فهم سلف الأمة وأئمتها، أئمة العلم والدين من شيوخ العلم والعبادة، فإنهم أثبتوا وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة كله من غير تحريف للكلم، أثبتوا أن الله تعالى فوق سماواته، وأنه على عرشه بائن من خلقه وهم منه بائون، وهو أيضاً مع العباد عموماً بعلمه، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية، وأيضاً قريب مجيب، ففي آية النجوى دليل على أنه عالم بهم.

وكان النبي ﷺ يقول: «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل»<sup>(٢)</sup>، فهو سبحانه مع المسافر في سفره، ومع أهله في وطنه، ولا يلزم في هذا أن تكون ذاته مختلطة بذواتهم، كما قال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾

(١) الرد على الجهمية: (ص: ٩٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الحج، باب: ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره برقم (١٣٤٢)، والترمذي في الدعوات، باب: ما جاء ما يقول إذا ركب دابة، وأبو داود في الجهاد، باب: ما يقول الرجل إذا سافر، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

[الفتح: ٢٩]، أي معه على الإيمان، لا أن ذاتهم في ذاته، بل هم مصاحبون له، وقوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٦]، يدل على موافقتهم في الإيمان وموالاتهم، فالله تعالى عليم بعباده، وهو معهم أينما كانوا، وعلمه بهم من لوازم المعية... وفي القرآن: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠]، فإنه يراد برؤيته وسمعه إثبات علمه بذلك...<sup>(١)</sup> اهـ.

والقاعدة والميزان في الاستواء وغيرها من الصفات، قول الإمام مالك رحمه الله تعالى رحمة واسعة: «الاستواء معقول والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»<sup>(٢)</sup>.

وهو قول أهل السنة جميعاً، قال الإمام الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى معلقاً على قول الإمام مالك:

«وهو قول أهل السنة قاطبة، أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجعلها، وأن استواءه معلوم، كما أخبر به في كتابه، وأنه كما يليق به لا نتعمق ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفيّاً ولا إثباتاً، بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه، ونعلم يقيناً مع ذلك أن الله جلّ جلاله لا مثل له في صفاته، ولا في استوائه، ولا في نزوله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً

(١) مجموع الفتاوى: (٥/١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣).

(٢) وهو قول لشيخه ربيعة الرأي، وانظر الرد على الجهمية من كتاب الإبانة للإمام ابن بطة رحمه الله تعالى: (٣/١٦٤) رقم: (١٢١)، وصححه الألباني رحمه الله تعالى في مختصر العلو: (ص: ١٣٢)، قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: «هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي ومالك وأبي جعفر الترمذي، وأما أم سلمة فلا يصح» (ص: ٨١)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وقد روي عن أم سلمة موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه» انظر مجموع الفتاوى: (٥/٣٦٥)، وقول الإمام مالك، أخرجه اللالكائي: (٣/٣٩٨).

كبيراً...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال الإمام الدارمي رحمه الله تعالى:

«وصدق مالك، لا يعقل منه كيف، ولا يجهل منه الاستواء، والقرآن ينطق ببعض ذلك في غير آية...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقال الحسن رحمه الله تعالى:

«وقول مالك من أنبل جواب وقع في هذه المسألة، وأشدّه استعاباً، لأنّ فيه نبذ التكيف، وإثبات الاستواء المعقول، وقد ائتمّ أهل العلم بقوله واستجودوه واستحسنوه»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

وهكذا سائر الأئمة قولهم يوافق قول مالك في أنّ لا نعلم كيفية استوائه، كما لا نعلم كيفية ذاته، ولكن نعلم المعنى الذي دلّ عليه الخطاب، فنعلم معنى الاستواء، ولا نعلم كيفيته، وكذلك نعلم معنى النزول، ولا نعلم كيفيته، ونعلم معنى السمع والبصر والعلم والقدرة، ولا نعلم كيفية ذلك، ونعلم معنى الرحمة والغضب والرضا والفرح والضحك، ولا نعلم كيفية ذلك»<sup>(٤)</sup>.

ف «لا نحتاج في هذا الباب إلى قول أكثر من هذا، أن نؤمن به، وننفي الكيفية عنه ونتق الشكّ فيه، ونوقن بأنّ ما قاله الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، ولا نتفكر في ذلك، ولا نسلط عليه الوهم والخطر والوسواس، وتعلم حقّاً يقيناً أنّ كلّ ما تصور في همك ووهمك من كيفية أو تشبيه، فالله سبحانه يخالفه وغيره.

(١) مختصر العلو: (ص: ١٤١، ١٤٢).

(٢) الرد على الجهمية: (ص: ٦٧).

(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٥/٣١٠).

(٤) انظر شرح حديث النزول لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (ص: ٣٢)، وراجع مجموع الفتاوى: (٥/٢١٩).

نقول: هو بذاته على العرش، وعلمه محيط بكل شيء<sup>(١)</sup>.  
ولهذا قال أهل السنة: الإيمان بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ واجب، والخوض فيه بالتأويل بدعة<sup>(٢)</sup>.

ولأبي الخطاب رحمه الله تعالى قصيدة في المعتقد<sup>(٣)</sup>، قول فيها:  
قالوا أنزعهم أن على العرش استوى قلت الصواب كذاك خبر سيدي  
قالوا فما معنى استواء ابن لنا فأجبتهم هذا سؤال المعتدي  
وعليه، «فمن آمن بهذا القرآن الذي احتججنا منه بهذه الآيات، وصدق هذا  
الرسول الذي روينا عنه هذه الروايات، لزمه الإقرار بأن الله بكماله فوق عرشه،  
فوق سماواته»<sup>(٤)</sup>.

(١) الحجة في بيان المحجة لقوام السنة الأصهباني رحمه الله تعالى: (١٠٩/٢)، وقد ذكره  
من كلام الإمام يحيى بن عمار رحمه الله تعالى، ويقول الإمام العلامة محمد الأمين  
الشنقيطي رحمه الله تعالى: «إنه ينبغي للمؤولين أن يتأملوا آية من سورة الفرقان، وهي  
قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِمِهِ خَيْرًا﴾، يتأملوا معها قوله تعالى في سورة  
فاطر: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ فإن قوله في الفرقان: ﴿فَسَلَّ بِمِهِ خَيْرًا﴾ بعد قوله: ﴿ثُمَّ  
اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾، يدل دلالة واضحة أن الله الذي وصف نفسه بالاستواء خبير  
بما وصف به نفسه، لا تخفى عليه الصفة اللائقة من غيرها، ويفهم منه الذي ينفي عنه  
صفة الاستواء ليس بخبير، نعم هو والله ليس بخبير<sup>هـ</sup>. انظر رسالته: منهج ودراسات  
لآيات الأسماء والصفات: (ص: ٢٦)، وراجع مدارج السالكين لابن القيم رحمه الله  
تعالى: (١/٣٤)، ففيه كلاماً شبيهاً بكلام الشنقيطي.

(٢) الحجة في بيان المحجة للأصهباني رحمه الله تعالى: (٢٧٣/٢).

(٣) انظر سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي رحمه الله تعالى: (٣٤٩/١٩)، وقوله: قالوا فما  
معنى استواء، أي سألوا عن كيفية الاستواء، وإلا فقد سبق قول الإمام مالك رحمه الله  
تعالى وغيره من السلف، أن المعنى معلوم والكيف مجهول.

(٤) الرد على الجهمية للإمام الدارمي رحمه الله تعالى: (ص: ٧٠).

«ومن اعتقد أنه ليس في السموات إله يعبد، ولا على العرش إله يصلّ له ويسجد، وأنّ محمداً لم يعرج به إلى ربّه، ولا نزل القرآن من عنده، فهو معطل فرعوني، فإنّ فرعون كذب موسى في أنّ ربّه فوق السموات، فقال: ﴿يَنْهَكُنْ أَبْنِي لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابَ﴾ ﴿٣٦﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧].

ومحمد ﷺ صدّق موسى، فأقرّ أنّ ربّه فوق السموات، فلمّا كان ليلة المعراج عرج به إلى الله، وفرض عليه ربّه خمسين صلاة، وذكر أنّه رجع إلى موسى، وأنّ موسى قال: ارجع إلى ربّك فأسأله التخفيف لأمتك، وهذا الحديث في الصحاح<sup>(١)</sup>، فمن وافق فرعون، وخالف موسى ومحمداً فهو ضال، ومن مثل الله بخلقه فهو ضال، ومن جحد شيئاً ما وصف الله به نفسه فهو كافر<sup>(٢)</sup>.

وقد صدق ونصح الإمام ابن قدامة رحمه الله تعالى عندما قال: «فقد وضع الحق في هذه المسألة بحمد الله تعالى من الحجج القاطعة من الآيات الباهرة، والأخبار المتواترة، وإجماع الصحابة، كما ذكروه في أشعارهم ومنثور كلامهم من قول أئمتهم وعامتهم وروايتهم للسنة في ذلك قائلين لها، مؤمنين بها، مصدّقين بما فيها، ولم ينكر ذلك منهم منكر، ولا اعترض منهم عليه معترض، ثمّ من بعدهم عصراً بعد عصر، حتّى قال الإمامان أبو زرعة وأبو حاتم: هذا ما

(١) كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند البخاري: (٣٢٠٧ - ٣٨٨٧)، ومسلم: (١٦٤)، والنسائي: (٢١٧/١)، وأحمد: (٢٠٨/٤، ٢١٠)، والطبراني في الكبير: (٥٩٩/١٩)، وابن حبان: (٤٨).

(٢) قطف الثمر للعلامة صديق حسن خان: (ص: ٣٩، ٤٠)، وقال رحمه الله تعالى: «وفي الصحيحين قصة المعراج، وهي متواترة، وفيه أعظم دلالة على علوه تعالى فوق سبع سمواته» اهـ. (ص: ٥١).

أدركنا عليه العلماء، حجازاً وعراقاً، وشاماً ومصرأً، ولم يخالف في ذلك غير مبتدع غال، أو مفتون ضال...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

فوائد:

#### الفائدة الأولى:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«... فالأصل أن علوه على المخلوقات وصف لازم له، كما أن عظمته وكبريائه وقدرته كذلك، وأما الاستواء فهو فعل يفعله سبحانه وتعالى بمشيئته وقدرته، ولهذا قال فيه: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى﴾، ولهذا كان الاستواء من الصفات السمعية المعلومة بالخبر، وأما علوه على المخلوقات، فهو عند أئمة أهل الإثبات من الصفات العقلية، المعلومة بالعقل مع السمع...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

#### الفائدة الثانية:

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى:

«وعلوه عز وجلّ قسمان: علو ذات، وعلو صفات.

فأما علو الذات، فإن معناه أنه فوق كل شيء بذاته، ليس فوقه شيء، ولا حذاءه شيء، وأما علو الصفات، فهي ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [التحل: ٦٠]، يعني أن صفاته كلها عليا، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

#### الفائدة الثالثة:

قال الشيخ محمد شكري الألوسي:

«العرش لغة: سرير الملك.

(١) إثبات صفة العلو: (ص: ١٤٢).

(٢) مجموع الفتاوى: (٣١٢/٥).

(٣) شرح العقيدة الواسطية: (١٧٣/١).

وفي الشرع: سرير ذو قوائم، له حملة من الملائكة فوق السموات مثل القبة، والدليل على أن له قوائم ما ورد، «لا تَخَيَّرُونَ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ، وَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَصْعَقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخَذَ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَلْفَاقٌ قَبْلِي، أَمْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ»<sup>(١)</sup>.

وعلى أن له حملة من الملائكة، قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [غافر: ٧]<sup>(٢)</sup>. اهـ.

(١) أخرجه البخاري: (٣٣٩٨ - ٤٦٣٨ - ٦٩١٧ - ٧٤٢٧)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب: من فضائل موسى ﷺ (٢٣٧٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وأما قوله: «مثل القبة»، فلما أخرجه أبو داود: (٤٧٢٦)، والدارمي في الرد على الجهمية: (ص: ٢٤)، والبلغوي في شرح السنة: (٩٢)، وابن أبي عاصم في السنة: (٥٧٥ - ٥٧٦)، والطبراني في الكبير: (١٥٤٧)، من طريق إسحاق، عن يعقوب بن عتبة، عن جبير بن محمد بن جبير، عن أبيه، عن جده، قال محققاً الطحاوية: «وهذا سند ضعيف، لعنعة بن إسحاق، ولجهالة جبير بن محمد، فإنه لم يوثقه غير ابن حبان، وللحافظ ابن عساكر جزء سماه: بيان وجوه التخليط في حديث الأوطيس» اهـ. انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٣٦٦/٢).

وقال محققاً شرح السنة للبلغوي وفقهما الله تعالى: «وجبير بن محمد مجهول وقد تفرد به، فالحديث ضعيف لا تقوم به الحجة». اهـ (١٧٦/١)، وانظر البداية والنهاية للحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: (٢٠/١).

(٢) انظر كتابه: «ما دلّ عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان» (ص: ٩٣)، وقال عند قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، قال: «ولا تصل إلى حقيقة عظمته الأفهام ولا الأوهام... ووصفه بالعظيم، ويحق له ذلك، لأنه لا يعلم مقدار عظمته إلا الله تعالى، وعن ابن عباس: «إنه لا يقدره أحد»... اهـ (ص: ٤٩). والآخر عن ابن عباس رضي الله عنهما صحيح، انظر مختصر العلو للألباني رحمه الله تعالى: (ص: ١٠٢)، رقم: (٣٦)، وقال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى: «وقد روي مرفوعاً، والصواب أنه موقوف على ابن عباس» اهـ. انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٣٦٩/٢)، وراجع الرسالة العرشية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (ص: ٧).

وقال العلامة الألباني رحمه الله تعالى:

«اعلم أنّ العرش خلق عظيم، كما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ولذلك أضافه تعالى إلى نفسه في قوله: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾، وفيه آيات أخر... وهو لغة: سرير الملك، ومن أوصافه في القرآن: ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، وأنه على الماء، وفي السنة أنّ أحد حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، وأنّ له قوائم، وأنه سقف جنة الفردوس، جاء ذلك في أحاديث صحيحة... وذلك ممّا يبطل تأويل العرش بأنّه عبارة عن الملك وسعة السلطان...»

ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش، ليبين أنّ خلقه العرش لاستوائه عليه، ليس لحاجة إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته، وكون العالي فوق السافل، لا يلزم أن يكون السافل حاوياً للعالي محيطاً به حاملاً له، ولا أن يكون الأعلى مفتقراً إليه، فانظر إلى السماء كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها، فالربّ تعالى أعظم شأناً وأجلّ من أن يلزم من علوّه ذلك، بل لوازم علوّه من خصائصه، وهي حمله بقدرته للسافل وفقر السافل، وغناه هو سبحانه عن السافل وإحاطته عزّ وجلّ به، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش، وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش، وعدم حصر العرش له، وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

(١) العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق: (ص: ٥٥، ٥٦)، وأمّا حديث صفة الملك، فلما أخرجه أبو داود: (٤٧٢٧)، والخطيب في التاريخ: (١٩٥/١٠)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عزّ وجلّ من حملة العرش، إنّ ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مئة عام»، قال محققاً شرح العقيدة الطحاوية وفقهما الله تعالى: «إسناده صحيح» (٣٦٨/٢).

## الفائدة الرابعة:

قال الإمام أبو سليمان داود بن علي - وهو ابن زياد اللغوي - رحمه الله تعالى:

«كُنَّا عِنْدَ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾؟، فَقَالَ هُوَ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا أَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، لَيْسَ هَذَا مَعْنَاهُ، إِنَّمَا مَعْنَاهُ: اسْتَوَى، قَالَ: اسْكُتْ مَا أَنْتَ وَهَذَا، لَا يَقَالُ اسْتَوَى عَلَى الشَّيْءِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مُضَادٌّ، فَإِنْ غَلَبَ أَحَدُهُمَا قِيلَ اسْتَوَى، أَمَا سَمِعْتَ النَّابِغَةَ:

أَلَا لِمِثْلِكَ أَوْ مِنْ أَنْتَ سَابِقَهُ سَبَقَ الْجَوَادُ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمْدِ»<sup>(١)</sup>. اهـ  
وقال رحمه الله تعالى:

«أَرَادَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَاوُدَ أَنْ أَجِدَ لَهُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ بِمَعْنَى اسْتَوَى، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَصَبْتَ هَذَا...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

«إِنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ أَنَّ لَفْظَ اسْتَوَى فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى اسْتَوَى، إِذِ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ عَمَدَتُهُمُ الْبَيْتُ الْمَشْهُورُ:

ثُمَّ اسْتَوَى بِشَرْعٍ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَلَا دَمٍ مَهْرَاقٍ  
وَلَمْ يَثْبُتْ نَقْلٌ صَحِيحٌ أَنَّهُ شَعَرَ عَرَبِيٌّ، وَكَانَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أُمَّةِ اللُّغَةِ  
أَنْكَرُوهُ، وَقَالُوا: إِنَّهُ بَيْتٌ مُضَوَّعٌ لَا يَعْرِفُ فِي اللُّغَةِ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَوْ احْتَجَّ

(١) انظر اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي رحمه الله تعالى: (٤٤٢/٣)، وراجع فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٤٩٧/١٣).

(٢) فتح الباري لابن حجر: (٤٩٧/١٣)، وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «وقال غيره: لو كان بمعنى استولى لم يختص بالعرش، لأنه غالب على جميع المخلوقات». اهـ.

بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته، فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده؟! وقد طعن فيه أئمة اللغة، وذكر عن الخليل كما ذكره أبو المظفر في كتابه «الإفصاح»، قال: سئل الخليل، هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال: «هذا ما لا تعرفه العرب، ولا هو جائز في لغتنا»، وهو إمام في اللغة على ما عرف من حاله، فحينئذٍ حمله على ما لا يعرف حمل باطل...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

ولهذا «قال أهل السنة: الاستواء هو العلو»<sup>(٢)</sup>.

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله تعالى:

«فنحن نؤمن بخبر الله جلّ وعلا، أن خالقنا مستو على عرشه، لا نبدل كلام الله، ولا نقل قولاً غير الذي قيل لنا، كما قالت المعطلة الجهمية: إنه استولى على عرشه لا استوى، فبدّلوا قولاً غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود، كما أمروا أن يقولوا حطة، فقالوا: حنطة، مخالفين لأمر الله جلّ وعلا، كذلك الجهمية»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

(١) مجموع الفتاوى: (٩٣/٥)، وقد ذكر رحمه الله تعالى اثني عشر وجهاً في إبطال هذا القول البدعي، فانظره هناك.

(٢) انظر الحجة في بيان المحجة للإمام قوام السنة الأصبهاني رحمه الله تعالى: (٢٧٥/٢)، وهو قول مجاهد وأبي العالية، راجع فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٤٩٣/١٣).

(٣) كتاب التوحيد: (٢٣٣/١)، وقال الإمام محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى: «... واليهود لم ينكروا أن اللفظ الذي قاله الله لهم هو: حطة، ولكنهم حرفوه بالزيادة المذكورة، وأهل هذه المقالة لم ينكروا أن كلمة القرآن هي استوى، ولكن حرفوها وقالوا معناها استولى، وإنما أبدلوا بها لأنها أصلح في زعمهم من لفظ كلمة القرآن، لأن كلمة القرآن توهم غير اللائق، وكلمة استولى في زعمهم هي المنزهة اللائقة بالله، مع أنه لا يعقل تشبيه أشنع من تشبيه استلاء الله على عرشه المزعوم باستلاء بشر على العراق، وهل كان أحد يغالب الله على عرشه حتى غلبه على العرش واستولى عليه؟ وهل =

## الفائدة الخامسة:

قال العلامة الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى:

«إنَّ الإنسان إذا علم بأنَّ الله تعالى فوق كلِّ شيء، فإنَّه يعرف مقدار سلطانه وسيطرته على خلقه، وحيثُذ يخافه ويعظِّمه، وإذا خاف الإنسان ربَّه وعظَّمه، فإنَّه يتَّقيه ويقوم بالواجب ويدع المحرَّم»<sup>(١)</sup>. اهـ.

= يوجد شيء إلا والله مستول عليه، فالله مستول على كل شيء، وهل يجوز أن يقال إنه تعالى استولى على كل شيء غير العرش؟ فافهم». اهـ انظر الإقليد للأسماء والصفات والاجتهاد والتقليد: (٤٥، ٤٦).

(١) شرح العقيدة الواسطية: (١/٤٠٠).

ثم اعلم أخي المسلم أن القاعدة والقول في النزول، كالقاعدة والقول في الاستواء، وقد ثبت في ذلك عن النبي ﷺ أحاديث.

منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، يقول: من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى تسعة وعشرين نفساً من الصحابة رضي الله عنهم، كلهم رووا حديث النزول<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام اللالكائي رحمه الله عليه: «رواه عن النبي ﷺ عشرون نفساً»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: «وقد ألف في أحاديث النزول جزء، وذلك متواتر أقطع به»<sup>(٤)</sup>.

فأحاديث نزول الرب جلّ جلاله، رواها «الأئمة المحدثون الثقات، والمثبتون والفقهاء الورعون، الذين نقلوا إلينا شريعة الإسلام ودعائمه، مثل الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وما يتلوا ذلك من سائر الأحكام، من النكاح، والطلاق، والبيع، والحلال، والحرام، فلن يطعن

(١) سبق تخريجه: (ص: ٢٠٥).

(٢) انظر مختصر الصواعق: (٢/٢٣٠، ٢٣١).

(٣) مجمل اعتقاد السلف: (٣/٤٨١).

(٤) مختصر العلو: (ص: ١١٦)، وقال الإمام الصابوني رحمه الله تعالى: «وخبر نزول الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا خبر متفق على صحته» عقيدة السلف وأصحاب الحديث: (ص: ١٩٨)، وراجع الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني رحمه الله تعالى: (ص: ٥٧).

عليهم فيما روه من هذه الأحاديث إلا خبيث مخبث، ضال مضل ملحد، يريد إبطال الشريعة، وتكذيب الأمة<sup>(١)</sup>.

«فلما صحَّ خبر النزول عن الرسول ﷺ أقرَّ به أهل السنة، وقبلوا الخبر، وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله ﷺ، ولم يعتقدوا تشبيهاً له بنزول خلقه، ولم يبحثوا عن كيفيته، إذ لا سبيل إليها بحال، وعلموا وتحققوا واعتقدوا أنَّ صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق، كما أنَّ ذاته لا تشبه ذوات الخلق، تعالى الله عما يقول المشبهة والمعظلة علواً كبيراً، ولعنهم لعناً كبيراً»<sup>(٢)</sup>.

ولهذا لما سئل الإمام أبو جعفر الترمذي الزاهد عن حديث النزول، قال: «النزول معقول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

(١) من كلام الإمام ابن بطة رحمه الله تعالى، انظر الإبانة، قسم الرد على الجهمية: (٣/ ٢٠٢)، وراجع كتاب الشريعة للإمام الأجرى رحمه الله تعالى: (٣/ ١١٢٥، ١١٢٦).

(٢) انظر عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني رحمه الله تعالى: (ص: ٢٣٢).

(٣) انظر سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي رحمه الله تعالى: (٣/ ٥٤٧)، وراجع تاريخ بغداد للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى: (١/ ٣٦٥)، وأبو جعفر هذا اسمه: محمد بن أحمد ابن نصر، وكان من كبار فقهاء الشافعية، ومن أهل العلم والفضل والزهد في الدنيا، أثنى عليه الدارقطني وغيره، انظر الصارم المنكي في الرد على السبكي، للإمام ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى: (ص: ١٩٢).

وقد سبق عنه الكلام نفسه في الاستواء، مما يؤكد لك أخي المسلم أن ذلك كان منهجهم في صفات الله تعالى كلها.

قال الإمام الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى:

«وقال في النزول، كما قال مالك في الاستواء، وهكذا القول في سائر الصفات»<sup>(١)</sup>. اهـ.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«فقول السائل: كيف النزول؟ بمنزلة قوله: كيف استوى؟ وقوله: كيف يسمع؟ وكيف يبصر؟ وكيف يعلم ويقدر؟ وكيف يخلق ويرزق؟ وقد تقدم الجواب عن مثل هذا السؤال عن أئمة الإسلام، مثل مالك بن أنس وشيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقال الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله تعالى:

«قال لي الأمير عبد الله بن طاهر<sup>(٣)</sup>: يا أبا يعقوب، هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ: «يُنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»، كيف ينزل؟ قلت: أعزَّ الله الأمير، لا يقال لأمر الربِّ كيف؟ إنما ينزل بلا كيف»<sup>(٤)</sup>. اهـ.

وكما اتَّفَق السلف على إثبات صفة الاستواء، كذلك اتَّفَقوا على إثبات النزول لله تبارك وتعالى، فكلمتهم مجتمعة والحمد لله تعالى في إثبات كل صفة أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ.

(١) الصارم المنكي: (ص: ١٩٢).

(٢) شرح حديث النزول: (ص: ٣٢).

(٣) انظر ترجمته: (تاريخ بغداد: ٤٨٣/٩)، وسير أعلام النبلاء: (٦٨٤/١٠)، ووفيات الأعيان لابن خلكان: (٨٣/٣)، والبداية والنهاية: (٣٠٢/١٠).

(٤) عقيدة السلف للصابوني: (ص: ١٩٤)، وانظر شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (ص: ٥١).

يقول الإمام ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى:

«واعلم أنّ السلف الصالح ومن سلك سبيلهم من الخلف، متفقون على إثبات نزول الربّ تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا، وكذلك هم مجمعون على إثبات الإتيان والمجيء، وسائر ما ورد من الصفات من الكتاب والسنة، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، ولم يثبت عن أحد من السلف أنّه تأوّل شيئاً من ذلك... وحديث النزول متواتر عن رسول الله ﷺ...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

### فائدة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«والنزول المذكور في الحديث النبويّ على قائله أفضل الصلاة والسلام، الذي اتّفق عليه الشيخان، البخاري ومسلم، واتّفق علماء الحديث على صحته،

(١) الصارم المنكي: (ص: ١٩١)، وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول». انظر مجموع الفتاوى: (٣٢٢/٥)، وشرح حديث النزول: (ص: ٦).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيماناً، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة، كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم، لم يسوموها تأويلاً، ولم يحرفونها عن مواضعها تبديلاً، ولم يبدوا لشيء منها إبطالاً، ولا ضربوا لها أمثالاً، ولم يدفعوا في صدورهم وإعجازها، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها كلها أمراً واحداً، وأجروها على سنن واحد، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع، حيث جعلوها عشرين، وأقروا ببعضها وأنكروا بعضاً من غير فرقان مبين، مع أن اللازم لهم فيما أنكروه، كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه». انظر أعلام الموقعين: (١/٨٣، ٨٤).

هو: «إذا بقي ثلث الليل الأخير»، وأما رواية النصف والثلثين، فانفرد بها مسلم في بعض طرقه، وقد قال الترمذي: إِنَّ أَصَحَّ الروايات عن أبي هريرة: «إذا بقي ثلث الليل الأخير».

وقد روي عن النَّبِيِّ ﷺ من رواية جماعة كثيرة من الصحابة كما ذكرنا قبل هذا، فهو حديث متواتر عند أهل العلم بالحديث، والذي لا شك فيه: «إذا بقي ثلث الليل الأخير».

فإن كان النَّبِيُّ ﷺ قد ذكر النزول أيضاً إذا مضى ثلث الليل الأول، وإذا انتصف الليل، فقله حق، وهو الصادق المصدوق، ويكون النزول أنواعاً ثلاثة<sup>(١)</sup>. اهـ.

(١) شرح حديث النزول: (ص: ١٠٢، ١٠٣)، وانظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٣١/٣)، طبعة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى.

وقد وصف الله تعالى نفسه بالنزول عشية عرفة من حديث عائشة رضي الله عنها، عن النَّبِيِّ ﷺ، أنه قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء» الحديث. أخرجه مسلم في الحج، باب: في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (برقم ١٣٤٨)، وابن ماجه: (٣٠١٤).

وأما نزول الرب تعالى إلى السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان ويوم عاشوراء، فلا يصح في ذلك شيئاً انظر: ضعيف سنن ابن ماجه (١٠٥) رقم (٢٦١)، والمشكاة (١٣٠٨)، والسلسلة الضعيفة: (١٥٤/٨) رقم: (٢١٣٢).

## (فصل) تلخيص ما سبق

لقد فرض الله تبارك وتعالى «على عباده المؤمنين طاعة رسوله ﷺ، وقبول ما قاله وما جاء به، والإيمان بكلّ ما صحت به عنه الأخبار، والتسليم لذلك بترك الاعتراض فيها، وضرب الأمثال والمقاييس، إلى قول لِمَ وكيف؟»<sup>(١)</sup>.

«ثمّ القول الشامل في جميع هذا الباب، أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، وبما وصفه به السابقون الأولون<sup>(٢)</sup>، لا يتجاوز القرآن والحديث...

ومذهب السلف: أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أنّ ما وصف الله به من ذلك، فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي، بل معناه يعرف من حيث مقصود المتكلم بكلامه، لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول، وأفصح الخلق في بيان العلم، وأنصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد.

وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء، لا في نفسه المقدسة المذكورة

(١) انظر الإبانة للإمام ابن بطة رحمه الله تعالى، قسم: الرد على الجهمية: (٢٠١/٣).

(٢) وهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، سادات المهاجرين وأفاضل الأنصار الذين صحبوا رسول الله ﷺ، ونقلوا لنا دينه من كتاب وسنة وهدى، فلا مطمع لأحد أن يهتدي من دون منهجهم وطريقتهم، فجزاهم الله تعالى عنا وعن الإسلام خير الجزاء وحشرنا الله في زميرتهم.

.....

بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، كما نتيقن أنّ الله سبحانه له ذات حقيقة، وله أفعال حقيقة، فكذلك له صفات حقيقة، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وكلّ ما أوجب نقصاً أو حدوثاً، فإنّ الله منزّه عنه حقيقة، فإنّ سبحانه مستحقّ للكمال الذي لا غاية فوقه، ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه، واستلزام الحدوث سابقة العدم، ولافتقار المحدث إلى محدث، ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى.

ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، فيعظّلوا أسماءه الحسنی وصفاته العليا، ويحرفوا الكلم عن مواضعه، ويلحدوا في أسماء الله وآياته...

واعلم أنّه ليس في العقل الصريح، ولا في النقل الصحيح، ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلاً، لكن هذا الموضع لا يتسع للجواب عن الشبهات الواردة على الحق، فمن كان في قلبه شبهة وأحب حلها، فذلك سهل يسير.

ثمّ المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة، من المتأولين لهذا الباب في أمر مريج، فإنّ من أنكر الرؤية يزعم أنّ العقل يحيلها، وأنّه مضطر فيها إلى التأويل، ومن يحيل أنّ الله علماً وقدرة ونحو ذلك، يقول إنّ العقل أحال ذلك، فاضطر إلى التأويل، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة، يزعم أنّ العقل أحال ذلك، وأنّه مضطر إلى التأويل، ومن يزعم أنّ الله ليس فوق العرش، يزعم أنّ العقل أحال ذلك، وأنّه مضطر إلى التأويل.

ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء، أنّه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أنّ العقل جوّز وأوجب ما يدّعي الآخر أنّ العقل أحاله.

.....

فيا ليت شعري، بأيّ عقل يوزن الكتاب والسنة؟ فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس، حيث قال: أو كلّما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء...»<sup>(١)</sup>.

وما أحسن ما قاله الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

«لا يستقر للعبد قدم في المعرفة، بل ولا في الإيمان، حتّى يؤمن بصفات الربّ جلّ جلاله، ويعرفها معرفة تخرجه عن حدّ الجهل برّبّه، فالإيمان بالصفات وتعرفها، هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإيمان»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

فالقاعدة في هذا الباب - أعني باب الأسماء والصفات والأفعال - أن تعتقد أخي المسلم - وفقني الله وإياك - أنّ الله واحد في أسمائه، واحد في صفاته، واحد في أفعاله، كما هو سبحانه واحد في ذاته، وقد عقد المصنف الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى بعد هذا المبحث فصلاً بهذا المعنى، وجعله كالقاعدة في هذا الباب الجليل العظيم الخطير، ممّا يدل على فقهه وحسن ترتيبه رحمه الله تعالى.

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (٥/٢٠، ٢١، ٢٢).

(٢) مدارج السالكين: (٣/٣٦٣).

[٤٤] وهو الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله.

فلا ثاني له، ولا نظير له، ولا شريك له في ذاته.

ولا ثاني له، ولا نظير له، ولا شريك له في أسمائه.

ولا ثاني له، ولا نظير له، ولا شريك له في صفاته.

ولا ثاني له، ولا نظير له، ولا شريك له في أفعاله.

لقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ يَدٌ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

[٤٤] لقد جعل المصنف رحمه الله تعالى هذا الفصل - كما مر معنا -

كالقاعدة في كل ما ذكر من الأسماء والصفات والأفعال، وهو منهج عام في باقي الأسماء والصفات.

فمذهب السلف الصالح، أن صفات الله تعالى، لا يشبهه فيها ولا يدانيه

أحد من خلقه، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: «اللهم إني أسالك باني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أحمد: (٣٦٠/٥)، وأبو داود في الصلاة، باب: الدعاء، والترمذي: (٣٤٧١)،

والنسائي: (٥٢/٣)، وابن ماجه: (٣٨٥٧)، والبيهقي في شرح السنة: (١٢٥٩) -

(١٢٦٠)، والحاكم في المستدرک: (٥٠٤/١)، وصححه ووافقه الذهبي، من حديث

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

«يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له، ولا وزير، ولا نديد، ولا شبيه، ولا عدیل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

ويقول الإمام ابن الأثير رحمه الله تعالى: «في أسماء الله تعالى: الواحد، هو الفرد الذي لم يزل، ولم يكن معه آخر.

قال الأزهري: الفرق بين الواحد والأحد، أن الأحد بني لنفي لا يذكر معه من العدد، تقول: ما جاءني أحد.

والواحد: اسم بني لمفتتح العدد، تقول: جاءني واحد من الناس، ولا تقول: جاءني أحد.

فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير، والأحد المنفرد بالمعنى، وقيل: الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يشئ، ولا يقبل الانقسام، ولا نظير له ولا مثل، ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله تعالى»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ف «من هذين النصين وأشباههما في كتب اللغة، نستطيع أن ندرك أن هذه المادة (وحد)، تدور حول انفراد الشيء بذاته أو بصفاته أو بأفعاله، وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه»<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: (٤/٥٢٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث: (٥/١٥٩)، وانظر قول الأزهري شرح السنة للبغوي: (٥/٣٨)، حيث قال: «قال الأزهري: الأحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد، والواحد بني على انقطاع النظير، والوحيد بني على الوحدة والانفراد». اهـ وانظر للفائدة التنكيل للمعلمي (٢/٢٧٨).

(٣) انظر مقدمة دلائل التوحيد للشيخ العلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى: (ص: ٤٨).

وقال قوام السنة الأصبهاني رحمه الله تعالى :

«التوحيد مصدر وَّحَدَ يُوَحِّدُ، ومعنى وحدت الله، اعتقدته منفرداً بذاته وصفاته، لا نظير له ولا شبيه.

وقيل معنى وحدته: علمته واحداً، وقيل: سلبت عنه الكيفية والكمية، فهو واحد في ذاته لا انقسام له، وفي صفاته لا شبيه له في إلهيته وملكه وتدبيره، لا شريك له ولا ربّ سواه، ولا خالق غيره...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٤٢١/١٣)، وقال الإمام السعدي رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، قال: «... واشتملت على أَنَّ الله تعالى كامل الأسماء والصفات، عظيم النعوت جليل القدر، وليس له في ذلك شبيه ولا نظير ولا سمي، بل قد تفرد بالكمال المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات». اهـ انظر القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، للشيخ عبد الرزاق العباد حفظه الله تعالى: (ص: ٢١).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في الآية نفسها: «قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً، وكذلك قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وابن جريج وغيرهم». اهـ انظر التفسير: (١٢٤/٣).

## التوحيد العلمي والعملي

[٤٥] التوحيد: هو اعتقاد وحدانية الله وإفراده بالعبادة.

والأول هو التوحيد العلمي، والثاني هو التوحيد العملي، ولا يكون المسلم مسلماً إلا بهما، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾ [الكافرون: ١ - ٦].

[٤٥] قال الإمام يوسف بن عبد الهادي رحمه الله تعالى:

«فإن التوحيد: هو التجرد والتفريد، وأكثر الخلق لا يعلم حقيقة التوحيد، فإن التوحيد: أن توحد المعبود بلفظك فتجعله واحداً، وتوحده بعبادتك فتجعله واحداً، ولا تعبد غيره...»<sup>(١)</sup> اهـ.

«ولباب التوحيد أن يرى العبد الأمور كلها لله تعالى، ثم يقطع الالتفات إلى الوسائط، وأن يعبد سبحانه عبادة يفرد بها، ولا يعبد غيره»<sup>(٢)</sup>.

وقد سئل أبو العباس بن سريج ما التوحيد؟ قال: «توحيد أهل العلم

(١) مسألة في التوحيد: (ص: ٨٠).

(٢) انظر تجريد التوحيد المفيد، للإمام العلامة أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئ رحمه الله تعالى: (ص: ١٩).

وجماعة المسلمين: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وتوحيد أهل الباطل من المسلمين: الخوض في الأعراض والأجسام، وإنما بعث النبي ﷺ بإنكار ذلك...»<sup>(١)</sup>.

وصدق الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، لما قال:

«سألت مالكا عن الكلام في التوحيد؟ فقال مالك: محال أن يظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ: «... فإذا قالوها، عصموا مني دماءهم وأموالهم، وحسابهم على الله عز وجل»، فما عصم به الدم والمال، فهو حقيقة الدين...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ثم اعلم أخي المسلم - بارك الله فيك - أن «التوحيد الذي دعت إليه الرسل نوعان: توحيد الإثبات والمعرفة»<sup>(٣)</sup>، وتوحيد الطلب والقصد»<sup>(٤)</sup>.

فالأول هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه... وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح.

والثاني هو توحيد الطلب والقصد، وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن. فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام

(١) انظر الحجة في بيان المحجة: (١٠٧/١)، وراجع اعتقاد الشافعي للإمام الهكاري رحمه الله تعالى: (ص: ٢٧).

(٢) اعتقاد الشافعي للهكاري رحمه الله تعالى: (ص: ٢٧)، وانظر سير أعلام النبلاء: (١٠/٢٦).

(٣) وهو ما عبر عنه المصنف رحمه الله تعالى بالتوحيد العلمي.

(٤) وهو ما عبر عنه المصنف رحمه الله تعالى بالتوحيد العملي، وسيأتي الكلام حولهما بإذن الله عز وجل.

بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيدِهِ وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيدِهِ، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبي من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد. فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم<sup>(١)</sup>.

والتوحيد العلمي، أو توحيد الإثبات والمعرفة يشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، ولهذا قسم بعض أهل العلم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية أو العبادة<sup>(٢)</sup>.

وأنواع التوحيد الثلاثة اتفقت عليها الرسل عليهم الصلاة والسلام<sup>(٣)</sup>، بل

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٤٢/١، ٤٣)، ولابن القيم رحمه الله تعالى كلام مماثل، راجع فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: (ص: ١٥).

(٢) يقول الدكتور الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد حفظه الله تعالى: «... أما تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، أو إلى قسمين: توحيد معرفة وإثبات، هو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد إرادة وطلب وهو توحيد الألوهية، فهذه عقيدة المسلمين قاطبة، المؤمنون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ». انظر القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد: (ص: ١٦).

«وهذا التقسيم للتوحيد كان جلياً عند السلف، لا يجهله الصبيان ولا النساء، وإنما جهل لما قَسَدَ اللسان واختلطت العربية بالأعجمية، فصار الناس لا يعرفون معنى الإله ومعنى العبادة، ولا معنى الرب، عند ذلك احتاج العلماء إلى إيضاحه...»، من كلام الشيخ عبد الله الغنيمان حفظه الله تعالى، ضمن سلسلة أسطرة لشرح كتاب فتح المجيد، الشريط الأول، الوجه الثاني.

فانظر أخي بارك الله فيك، إلى مقدار علم من ينكر أقسام التوحيد، كذاك السقاف وحزبه.

(٣) راجع مدارج السالكين للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (٢٤/١).

دَلَّ استقراء القرآن الكريم على أَنَّ توحيد الله تعالى ينقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة<sup>(١)</sup>.

يقول الشيخ عبد الرزاق العباد حفظه الله تعالى:

«ومن الآيات التي جمعت أقسام التوحيد الثلاثة، قول الله تبارك وتعالى في سورة مريم: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

فهذه الآية الكريمة قد «اشتملت على أصول عظيمة، على توحيد الألوهية والعبادة، وأنه تعالى الإله المعبود، وعلى أَنَّ ربوبيته موجبة لعبادته وتوحيده<sup>(٣)</sup>، ولهذا أتى فيه بالفاء في قوله: ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ الدالة على السبب، أي كما أنه ربَّ كلِّ شيء، فليكن هو المعبود حقاً، فاعبده...»

واشتملت على أَنَّ الله تعالى كامل الأسماء والصفات، عظيم النعوت، جليل القدر، وليس له في ذلك شبيه ولا نظير ولا سمي، بل قد تفرَّد بالكمال المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات...»<sup>(٤)</sup>.

«وبهذا يعلم أَنَّ هذا التقسيم من الحقائق الشرعية المستمدة من كتاب الله

(١) انظر أضواء البيان: (٣/ ٤١٠ - ٤١٤)، والإسلام دين كامل: (ص: ٧)، كلاهما للعلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى.

(٢) القول السديد، (ص: ٢٠).

(٣) سيأتي الكلام حول هذه المسألة إن شاء الله تعالى عند قول المصنف رحمه الله تعالى: «ووحدانته تعالى في ربوبيته تستلزم وحدانيته في ألوهيته»، انظر: (ص: ١٧٧).

(٤) من كلام العلامة السعدي رحمه الله تعالى، في كتابه: «المواهب الربانية من الآيات القرآنية» (ص: ٤٤، ٤٥)، نقلاً عن القول السديد للشيخ عبد الرزاق العباد وفقه الله تعالى: (ص: ٢٠، ٢١).

تعالى، وليس أمراً اصطلاحياً أنشأه بعض العلماء<sup>(١)</sup>، ولهذا قال الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أو بو زيد حفظه الله تعالى:

«هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف، أشار إليه ابن منده، وابن جرير الطبري، وغيرهما، وقرره شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في «تاج العروس»، وشيخنا الشنقيطي في «أضواء البيان» في آخرين، رحم الله الجميع.

وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم، وفعل، وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهذا من أنواع الاستقراء...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

(١) القول السديد للشيخ عبد الرزاق البدر: (ص: ٣٠)، وراجع هذا الكتاب المفيد، لتقف على زيف مقالة ذاك السقاف، الذي زعم أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام تثليث، وقد جاء القرآن بنفي ذلك بالبراهين والحجج، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

(٢) التحدير من مختصرات الصابوني: (ص: ٣٠)، هامش (٢)، وقد نقل هذا الكلام من كتاب «الاعتقاد» له، وقال: «يسر الله طبعه، آمين».

[٤٦] ومن توحيد الله تعالى: توحيد في ربوبيته<sup>(١)</sup>.

وهو العلم بأن لا خالق غيره، ولا مدبر للكون، ولا متصرف فيه سواه، لقوله تعالى: ﴿مَلَأَ مِنْ خَلْقِي غَيْرَ اللَّهِ﴾، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنْ أَلَمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥].

ولقوله ﷺ: «لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»، رواه الشيخان<sup>(٢)</sup>.

[٤٦] ذكر المصنف رحمه الله تعالى قبل هذا توحيد الأسماء والصفات، وذكر هنا توحيد الربوبية مشيراً إلى الخلق والتدبير، وبعده تعرض لتوحيد الألوهية، وكأنه رحمة الله عليه يقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، موافقاً في ذلك ما اصطلاح عليه طائفة من أهل العلم، كما مرّ معنا آنفاً.

وتوحيد الربوبية هو «إفراد الله سبحانه وتعالى في أمور ثلاثة: في الخلق، والملك، والتدبير... فإن قلت كيف تجمع بين ما قررت، وبين إثبات الخلق لغير الله، مثل قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، ومثل قوله ﷺ في المصورين: «يقال لهم أحيوا ما خلقتكم»<sup>(٣)</sup>، ومثل قوله تعالى في

(١) في (ج) «ومن توحيد تعالى في ربوبيته، وهو العلم...».

(٢) أخرجه البخاري: (٨٤٤ - ١٤٧٧ - ٢٤٠٨ - ٥٩٧٥ - ٦٣٣٠ - ٦٤٧٣ - ٦٦١٥ - ٧٣٩٢)، ومسلم: (١٩٤/٤، ١٩٥ نووي) و(٩٠/٥، ٩١ نووي)، وأبو داود: (٨٤٨ - ١٥٠٥)، والترمذي: (١٩٤/٢ تحفة)، والنسائي: (٧٠/٣، ٧١، ٧٣)، وابن ماجه: (٨٧٩)، وأحمد: (٩٣/٤، ٩٥، ١٠١، ٢٤٥...)، وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وانظر إرواء الغليل: (٦٤/٢).

(٣) أخرجه البخاري: (٢١٠٥ - ٣٢٢٤ - ٥٩٥٧ - ٥٩٦١ - ٥١٨١ - ٧٥٥٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان، ومالك في الموطأ، في الاستئذان، باب: ما جاء في الصور والتماثيل، والبيهقي: (٢٦٧/٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «نسب الخلق إليهم على سبيل الاستهزاء أو التشبيه =

.....

الحديث القدسي: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي»<sup>(١)</sup>.

فكيف تجمع بين قولك أنّ الله منفرد بالخلق، وبين هذه النصوص؟  
فالجواب أن يقال: إنّ الخلق هو الإيجاد، وهذا خاص بالله تعالى، أما تحويل  
الشيء من صورة إلى أخرى، فإنه ليس بخلق حقيقة، وإن سمي خلقاً باعتبار  
التكوين، لكنه في الواقع ليس بخلق تام...

فإن قلت: كيف تجمع بين قولك إنّ الله منفرد بالملك، وبين إثبات الملك  
للمخلوقين، مثل قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٦]، فالجواب  
إنّ الجمع بينهما من وجهين:

الأول: أن ملك الإنسان للشيء ليس عاماً شاملاً...

الثاني: أن ملكي لهذا الشيء ليس ملكاً حقيقياً أتصرف فيه كما أشاء، وإنما  
أتصرف فيه كما أمر الشرع، وكما أذن المالك الحقيقي، وهو الله عزّ وجلّ...  
وأما التدبير، فللإنسان تدبير ولكن نقول: هذا التدبير قاصر، كالوجهين  
السابقين في الملك...»<sup>(٢)</sup>.

واعلم أخي المسلم - وفقك الله تعالى لمرضاته - أن هذا التوحيد - أعني

---

= في الصورة فقط» فتح الباري: (١٣/٦٥٥)، وقال: «التشبيه في فعل الصورة وحدها لا  
من كل وجه» (١٠/٤٧٤).

(١) أخرجه البخاري: (٥٩٥٣ - ٧٥٥٩)، ومسلم: (١٦٢/٦)، وأحمد: (٢٣٢/٢)، من  
حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: (١/٢١)،  
٢٢، ٢٣، ٢٤، ولا يغيب عن ذهنك أخي المسلم قول المصنف الشيخ عبد الحميد:  
«وهو الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله»، فالله تعالى واحد في خلقه، واحد في تدبيره،  
واحد في ملكه، «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

توحيد الربوبية - مفطورة عليه قلوب العباد، يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى:

«وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل ﷺ، فيما حكى الله عنهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِيعُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«وهذا التوحيد، توحيد الربوبية العامة، كان المشركون يقرّون به، فهو وحده لا ينجي من النار، ولا يدخل الجنة، بل التوحيد المنجي شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، بحيث يقرّ بأنّ الله سبحانه هو المستحق للعبادة دون ما سواه، وأنّ محمداً رسوله...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ثمّ ها هنا «أمر لا بد من تقريره وإيضاحه، وهو أنّ قول أهل العلم في المشركين بأنّهم يعترفون بتوحيد الربوبية، ليس المراد به أنّهم اعترفوا بهذا القسم من التوحيد على التمام والكمال، فهذا لا يقول به أحد من أهل العلم، وإنّما مرادهم تقرير ما ثبت في القرآن عن المشركين من اعترافهم بالخالق الرازق المدبّر لشؤون الخلق، فهذا من صفات الربوبية وخصائصها، وقد آمن واعترف به المشركون، ثمّ هذا أيضاً ليس حكماً عاماً مطرداً على جميع المشركين، إذ منهم من وجد عنده حتى الشرك في الربوبية، ومنهم من آمن ببعض خصائص الربوبية دون بعض، ومنهم من كان يؤمن - إضافة إلى إيمانه بوجود الله الخالق الرازق -

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (٢٥/١، ٢٦).

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة: (٣٥٨/١)، وقال رحمه الله تعالى: «ومعلوم أن هذا هو تحقيق ما أقرّ به المشركون من التوحيد، ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلماً، فضلاً عن أن يكون وليّاً لله، أو من سادات الأولياء». اهـ انظر مجموع الفتاوى: (١٠٢/٣).

بالمعاد ويعث الأبدان والحساب، كما قال زهير:

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينتقم  
وبعضهم يؤمن - إضافة إلى إيمانه بوجود الله الخالق الرازق - بالقدر<sup>(١)</sup>،  
كما قال عترة:

يا عبل أي منمنية مهرب إن كان ربي في السماء قضاها<sup>(٢)</sup>  
ثم أيضاً، فإن إيمان المشركين بربوبية الله لو كان كاملاً تاماً، فإنه لا  
ينفعهم ما لم يفرّدوا الله بالعبادة ويخلصوا الدين له، ويذروا ما هم عليه من عبادة  
الأوثان، ولهذا فهم لا يخرجون بهذا الإيمان - أعني الإيمان بربوبية الله - عن  
وصف الكفر والشرك، ما لم يوحدوا الله بالعبادة...<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (٩٨/٣).

(٢) القول السديد للشيخ عبد الرزاق البدر وفقه الله تعالى: (ص: ٨٧)، وفي قول عترة أن  
الله تعالى في السماء، وانظر دلائل التوحيد للإمام العلامة جمال الدين القاسمي رحمه  
الله تعالى: (ص: ٧١).

(٣) القول السديد: (ص: ٨٨).

[٤٧] ومن توحیده تعالیٰ، توحیده فی ألوهیته.

وهو العلم بأنه تعالیٰ هو المستحق للعبادة وحده دون سواه، والقصد والتوجه والقيام بالعبادات كلها إليه، لقوله تعالیٰ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿لَا شَرِيكَ لَّهِ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

ولقوله ﷺ: «... إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»، رواه الترمذي وغيره<sup>(١)</sup>.

[٤٧] يقول العلامة الشيخ العثيمين رحمه الله تعالیٰ:

«يسمى توحيد الألوهية، ويسمى توحيد العبادة، فباعتبار إضافته إلى الله فهو توحيد ألوهية، وهو باعتبار إضافته إلى العابد هو توحيد عبادة...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وهذا النوع من التوحيد «هو الذي وقعت فيه جميع المعارك بين الرسل والأمم»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي: (٢٦٣٥ تحفة)، وأحمد: (٢٠٣/١، ٢٠٧)، والطبراني في الكبير: (١١٢٤٣ - ١١٣١٦ - ١٢٩٨٨)، والحاكم في المستدرک: (٥٤١/٣، ٥٤٢)، والآجري في الشريعة: (ص: ١٩٨)، وأبو نعيم في الحلية: (٣١٤/١)، والبيهقي في الآداب: (٩٣٣)، وفي شعب الإيمان: (٢٧/٢، ٢٨) و(٢٠٣/٧)، وغيرهم، عن ابن عباس رضی اللہ عنہما.

وقال أبو عيسى الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالیٰ في سند الترمذي: «طريق حسنة جيدة» انظر جامع العلوم والحكم: (٤٦٢/١).

وقد ذكر في (ح) قوله ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على ضرک أو نفعک، لا يضرنک ولا ينفعونک إلا بشيء قد کتبہ الله لک».

وقد روي عن النبي ﷺ أنه وصى ابن عباس بهذه الوصية من حديث علي بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري وسهل بن سعد وعبد الله بن جعفر، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ولكن في أسانيدھا كلها ضعف. انظر جامع العلوم والحكم: (٤٦١/١).

(٢) شرح العقيدة الواسطية: (٢٤/١).

(٣) الإسلام دين كامل، للإمام محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالیٰ: (ص: ٨).

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى :

«هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب، وعليه الثواب والعقاب، والشرائع كلها تفاصيله وحقوقه، وهو توحيد الإلهية والعبادة، وهو الذي لا سعادة للنفوس إلا بالقيام به علماً وعملاً وحالاً، وهو أن يكون الله وحده أحب إلى العبد من كل ما سواه، فيعبده بمعاني الحب والخوف والرجاء، بما يحبه ويرضاه، وهو ما شرعه على لسان رسوله، لا بما يريده العبد ويهواه، وتلخيص ذلك في كلمتين: «إياك أريد بما تريد»، فالأولى: توحيد الإخلاص، والثانية: اتباع للسنة وتحكيم للأمر...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقد أخبرنا الله تبارك وتعالى أن الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، كلهم أمروا أقوامهم، وفيمن أرسلوا فيهم بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، فهو سبحانه وتعالى المتفرد بالعبودية والألوهية، وهو المعبود الحق، وما دونه من معبود وجب الكفر به والتبري منه.

فقال الله جلّ جلاله عن أول الرسل نوح عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ إِلِيرِ ﴿٢٦﴾﴾ [هود: ٢٥ - ٢٦].

وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن أَنْتُمْ إِلَّا مَفْرُوكٌ ﴿٥٠﴾﴾ [هود: ٥٠].

وقال عز وجل عن صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا لِإِلَهِكُمْ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: ٦١].

وقال تبارك وتعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنفَصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ

(١) مدارج السالكين: (٣/ ٣٩٧، ٣٩٨)، وانظر: (٤٤٦/ ٣) منه.

وَأَنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ [هود: ٨٤].

ولما ذكر الله تعالى قصة قوم لوط عليهم السلام وذكر فرعون وقومه في سورة هود، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَابِعٍ ﴿١٠١﴾﴾ [هود: ١٠٠ - ١٠١]، فكان سبب هلاكهم ودمارهم باتباعهم تلك الآلهة، لذلك خسروا الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

فالله تعالى وتقدس هو المعبود الحق، والتوحيد هو «مفرغ أعدائه وأوليائه، فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَاُ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَجَحْتُهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وأما أولياؤه فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها، ولذلك فزع إليه<sup>(٢)</sup> يونس، فنجاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عُدَّ به المشركون في الدنيا، وما أعد لهم في الآخرة، ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق لم ينفعه، لأن الإيمان عند المعاينة لا يقبل.

هذه سنة الله في عباده، فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد<sup>(٣)</sup>، فلا يلقي في الكرب العظام إلا الشرك، ولا ينجي منها إلا التوحيد، فهو مفرغ الخليقة وملجؤها وحصنها وغياها...<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٤١٧/٢).

(٢) أي توحيد الألوهية.

(٣) لحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدع بها رجل مسلم في شيء إلا استجيب له». أخرجه الترمذي: (٤٥٠٠)، وأحمد: (١٧٠/١)، والحاكم: (٥٠٥/١)، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر صحيح الترمذي للشيخ الألباني رحمه الله تعالى: (١٦٨/٣).

(٤) الفوائد للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (ص: ٦١).

فلا مطمع لمخلوق في الجنة إلا بتحقيق أنواع الوحد الثلاث، ولهذا قال المصنف الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى: «ولا يكون المسلم مسلماً إلا بهما»، إشارة إلى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، وقبلهما توحيد الأسماء والصفات.

فإذا عرفت أخي المسلم أنّ توحيد الربوبية هو الإقرار بأنّ الله تعالى هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، المدبر لجميع الأمور، المتصرف في كلّ مخلوقاته لا شريك له في ملكه، فخذ ذلك هو اعتقاد العبد وجود متصرف مع الله غيره فيما لا يقدر عليه إلاّ الله عزّ وجلّ.

وإذا عرفت أنّ توحيد الأسماء والصفات، هو أن يدعى الله تعالى بما سمي به نفسه، ويوصف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله محمد ﷺ، وينفي عنه التشبيه والتمثيل، فخذ ذلك شيئان، ويعمهما اسم الإلحاد:

أحدهما: نفي ذلك عن الله عزّ وجلّ، وتعطيله عن صفات الكمال، ونعوت جلاله الثابتة بالكتاب والسنة.

ثانيهما: تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه، وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وإذا عرفت أنّ توحيد الإلهية هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، ونفي العبادة عن كلّ ما سوى الله تبارك وتعالى، فخذ ذلك هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عزّ وجلّ، وهذا هو الغالب على عامة المشركين، وفيه الخصومة بين الرسل وأممها<sup>(١)</sup>.

(١) انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ حكيم رحمه الله تعالى: (ص: ٤) وما بعدها،

وانظر كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، وكتاب الشرك ومظاهره للعلامة الشيخ

مبارك الملي الجزائري.

فمن وحد الله تعالى «في ذاته وفي عبادته وفي صفاته، فهو الموحد الذي تشملته كل الفضائل الخاصة بالموحدين، ومن أخلّ بشيء منه فهو الذي يتوجه إليه مثل قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فاحفظ هذا فإنه أهم شيء في العقيدة»<sup>(١)</sup>.

= وقال الشيخ العلامة الألباني رحمه الله تعالى: «إن نفي الشريك عن الله تعالى لا يتم إلا بنفي ثلاثة أنواع من الشرك، الأول: الشرك في الربوبية، وذلك بأن يعتقد أن مع الله خالقاً آخر سبحانه وتعالى، كما هو اعتقاد المجوس القائلين بأن للشرّ خالقاً غير الله سبحانه، وهذا النوع في هذه الأمة قليل والحمد لله، وإن كان قريباً منه قول المعتزلة: «إن الشر إنما هو من خلق الإنسان»، وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ: «القدرة مجوس هذه الأمة...» الحديث، وهو مخرج في مصادر عدة عندي، أشرت إليها في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» رقم: (٤٣١٨: [٤٤٤٢]). انظر العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق: (ص: ٣١، ٣٢).

(١) العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق للشيخ الألباني رحمه الله تعالى: (ص: ٣٢، ٣٣).

[٤٨] ووحدانيته تعالى في ربوبيته، تستلزم وحدانيته تعالى في ألوهيته، فالمنفرد بالخلق، والرزق، والعطاء، والمنع، ودفع الضر، وجلب النفع، هو الذي يجب أن يفرد بالعبادة التي هي غاية الخضوع والذل مع الفقر والحاجة للعزيز القادر المنعم، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

ولقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ الله خيرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَواسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَلَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٥٩ - ٦٤].

[٤٨] اعلم أخي المسلم أن توحيد الله تعالى في ربوبيته هو الباب لتوحيده تبارك وتعالى في ألوهيته والمدخل إليه، والدليل عليه، ومنه يوصل إليه.

يقول الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

«باب توحيد الإلهية هو توحيد الربوبية، فإنَّ أوَّل ما يتعلق القلب، يتعلق بتوحيد الربوبية، ثم يرتقي إلى توحيد الإلهية، كما يدعو الله سبحانه عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر، ويحتج عليهم به، ويقررهم به، ثم

يخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الإلهية...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

والآيات من سورة النمل التي استدلت بها المصنف رحمه الله تعالى، تشهد بكلّ وضوح لهذه العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى وهو يقرر هذا المعنى:

«... والقرآن مملوء من تقرير هذا الوحيد<sup>(٢)</sup> وبيانه، وضرب الأمثال له، ومن ذلك أنه يقرر توحيد الربوبية، ويبين أنه لا خالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله، فيجعل الأول دليلاً على الثاني، إذ كانوا يسلمون لأول ويتنازعون في الثاني، فبين لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله، وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم، لا شريك له في ذلك فلم تعبدون غيره، وتجعلون معه آلهة أخرى؟!، كقوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (٦٠)... الآية، يقول الله في آخر كل آية: ﴿أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ﴾ أي: إله مع الله فعل هذا؟ وهذا استفهام إنكار، يتضمن نفي ذلك، وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله، فاحتج عليهم بذلك، وليس المعنى أنه استفهام: هل مع الله إله؟ كما ظنه بعضهم، لأن هذا المعنى لا يناسب سياق الكلام، والقوم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى، كما قال تعالى: ﴿أَيُّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾ [الأنعام: ١٩]، وكانوا يقولون: ﴿أَجْمَلُ الْإِلَهِاتِ إِلَهِاتًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (٥) [ص: ٥]، لكنهم ما كانوا يقولون إن مع إله ﴿جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا

(١) مدارج السالكين: (١/٤١١)، وقد مر معنا قول الإمام السعدي رحمه الله تعالى: «إن

ربوبيته موجبة لعبادته وتوحيده» (ص: ١٦٩).

(٢) أي توحيد الألوهية.

رَوَيْكَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا، بل هم مقرون بأن الله وحده فعل هذا، وهكذا سائر الآيات...<sup>(١)</sup> اهـ.

### فائدة:

إنّ توحيد «الربوبية والألوهية» يجتمعان ويفترقان، كما في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾ [الناس: ١ - ٣]، وكما يقال: رب العالمين، وإله المرسلين، وعند الأفراد يجتمعان، كما في قول القائل: من ربك؟

مثاله: الفقير والمسكين نوعان في قوله: ﴿إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾، ونوع لواحد في قوله: «...افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم».

إذا ثبت هذا، فقول الملكين للرجل في القبر: من ربك؟ معناه: من إلهك، لأنّ الربوبية التي أقرّ بها المشركون ما يمتحن أحد بها، وكذلك قوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠]، وقوله: ﴿قُلْ

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (١/٣٦، ٣٧)، ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: «إله مع الله، أي إله مع الله يعبد، وقد تبيّن لكم ولكل ذي لب مما يعترفون به أيضاً أنه الخالق الرازق. ومن المفسرين من يقول معنى قوله: «إله مع الله» فعل هذا، وهو يرجع إلى معنى الأول، لأن تقدير الجواب: أنهم يقولون ليس ثم أحد فعل هذا معه، بل هو المنفرد به، فيقال فكيف تعبدون معه غيره، وهو المستقل المنفرد بالخلق والرزق والتدبير؟ كما قال تعالى: ﴿أَفَنَنْبَخُتُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ الآية. وقوله تعالى ههنا: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَكِينَ وَالْأَرْضَ﴾، (أمن) في هذه الآيات كلها تقديره: أمن يفعل هذه الأشياء كمن لا يقدر على شيء منها؟ هذا معنى السياق، وإن لم يذكر الآخر، لأن في قوة الكلام ما يرشد إلى ذلك. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾... اهـ انظر التفسير: (٣/٣٤٦).

.....

---

أَعْبَرَ اللَّهُ أَتَى رَبًّا ﴿[الأنعام: ١٦٤]، وقوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَ إِلَٰهِي قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠]، [الأحقاف: ١٣]، فالربوبية في هذا هي الألوهية، وليست قسيمة لها كما تكون قسيمة لها عند الاقتران، فينبغي التفطن لهذه المسألة...»<sup>(١)</sup>.

---

(١) من كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، نقلاً عن القول السديد للشيخ عبد الرزاق العباد وفقه الله تعالى: (ص: ٩١، ٩٢)، وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام الأول: (١٠/٢٨٣، ٢٨٤).

[٤٩] ومن توحيده تعالى، توحيده في شرعه، فلا حاكم، ولا محلل، ولا محرم سواء، لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْآخِرَةُ﴾، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يونس: ٦٧]، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ﴾ [النحل: ١١٦]، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٨٧) [المائدة: ٨٧]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١٤٠) [الأنعام: ١٤٠]، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، ﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

[٤٩] لقد دلت الآيات الكريمات التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى بمجموعها على أن الحاكم والمشرع هو الله تبارك وتعالى لا شريك له، فهو الذي خلق عباده، وهو أعلم بما يصلح لهم وما لا يصلح من تشريعات وأحكام، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) [الملك: ١٤]، كما دلت آية النساء على وجوب الرد إلى الله والرسول عند التنازع، فلا حاكم ولا مشرع إلا الله تعالى.

وذلك أن الإسلام قد نزع من أيدي العباد السلطة التي تملك التحليل والتحريم، وجعلها من حق الرب جلّ جلاله وحده لا شريك له، فلا أحد يملك أن يحرم أو يحلل شيئاً، ومن فعل ذلك فقد اعتدى على ربوبية الله تعالى، ونازعه في صفة من صفاته.

يقول الإمام أبو محمد بن حزم رحمه الله تعالى:

«وصحّ أن من نفى شيئاً أو أوجبه، فإنه لا يقبل منه إلا ببرهان، لأنه لا موجب ولا نافي إلا الله تعالى، فلا يجوز الخبر عن الله تعالى إلا بخبر وارد من قبله تعالى، إما في القرآن، وإما في السنة، والإباحة تقتضي مبيحاً، والتحريم

.....

يقتضي محرماً، والفرض يقتضي فرضاً، ولا مبيح ولا محرّم ولا مفترض إلاّ الله تعالى خالق الكلّ، ومالكة لا إله إلاّ هو...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

ولذلك كانت مهمة العلماء لا تعدو بيان حكم الله تبارك وتعالى، من حلال وحرام ومباح ومكروه ومستحب، ولا يملكون لأنفسهم حق التشريع، ولهذا كانوا يكرهون الفتيا لأنها توقيع عن ربّ العالمين.

فقد سأل رجل الإمام مالك رحمه الله تعالى عن مسألة، فقال: لا أدري، فقال: يا أبا عبد الله تقول: لا أدري؟! قال: نعم، فأبلغ من وراءك أني لا أدري<sup>(٢)</sup>.

وكانوا «يكرهون التسرع في الفتوى، ويؤدّ كلّ واحد منهم أن يكفيه إيّاه غيره، فإذا رأى أنّها قد تعيّن عليه بذل اجتهاده في معرفة حكمها من الكتاب والسنة، أو قول الخلفاء الراشدين ثمّ أفتى.

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ، فما كان منهم محدّث إلاّ ودّ أنّ أخاه كفاه الحديث، ولا مفت ودّ أنّ أخاه كفاه الفتيا»<sup>(٣)</sup>.

وقال القاضي أبو يوسف رحمه الله تعالى:

«أدركت مشايخنا من أهل العلم يكرهون الفتيا، أن يقولوا: هذا حلال وهذا حرام، إلاّ ما كان في كتاب الله عزّ وجلّ بيّناً بلا تفسير.

(١) النبذ في أصول الفقه: (ص: ٢٢).

(٢) انظر أعلام الموقعين للإمام الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى: (١/٦٤).

(٣) المرجع نفسه.

حدثنا ابن السائب، عن الربيع بن خثيم - وكان من أفضل التابعين -، أنه قال: إيتاكم أن يقول الرجل، إن الله أحلّ هذا أو رضىه، فيقول الله له: لم أحلّ هذا ولم أرضه! أو يقول: إن الله حرّم هذا، فيقول الله: كذبت، لم أحرمه ولم أنه عنه...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

هؤلاء هم علماء الإسلام، أمّا علماء أهل الكتاب، من يهود ونصارى، فقد نصبوا أنفسهم أرباباً من دون الله تعالى، يحللون ويحرمون ما لم يأذن به الله تعالى، قال سبحانه وتعالى عن بعض أهل الكتاب: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

«إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرّموا... ﴿وَمَا أُمُورًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾، أي الذي إذا حرّم الشيء فهو الحرام، وملّ حلّله فهو الحلال، وما شرعه أتبع، وما حكم به نفذ»<sup>(٢)</sup>.

هذا، وقد وصف الله تعالى حكمه بأنه أحسن حكم وأعدله، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

فهذا «استفهام إنكار، أي لا حكم أحسن من حكمه تعالى، وهذا من باب استعمال أفعال التفضيل فيما ليس له في الطرف الآخر مشارك، أي ومن أعدل من الله حكماً لمن عقل عن الله شرعه وآمن وأيقن أنه تعالى أحكم الحاكمين وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، العليم بمصالح عباده، القادر على كلّ شيء، الحكيم

(١) كتاب الأم للإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (٣١٧/٧)، وانظر أعلام الموقعين: (١/ ٧٠، ٧١). والمقصود التحذير من تحريم ما لم يحرم الله، وتحليل ما لم يحل، وأما تحريم ما حرم الله أو تحليله فهذا حق.

(٢) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٣١٨/٢).

في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره...»<sup>(١)</sup>.

فلما كان حكم الله تعالى بهذه الصفة، حذر الله تعالى من حكم الجاهلية واختياره على حكم الله ورسوله، «فمن فعل ذلك فقد أعرض عن الأحسن وهو الحق إلى ضده من الباطل»<sup>(٢)</sup>.

فقال الحكيم العليم: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾، «ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان، الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنه شرعاً متبوعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: (ص: ٣٤٨).

(٢) المرجع نفسه، وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَنْصُرُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، قال: «أي وهو خير من فصل القضايا، وخير الفاتحين في الحكم بين عباده». اه انظر التفسير: (١٢٧/٢).

(٣) تفسير ابن كثير: (٦٣/٢)، وقال الشيخ العلامة حامد الفقي رحمه الله تعالى معلقاً على كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: «ومثل هذا وشر منه، من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال، ويقدمها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصر عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله، ولا ينفعه أي اسم تسمى به، ولا أي عمل من ظواهر أعمال =

ولما كان الحكم والتشريع حق من حقوق الله تبارك وتعالى، قال أهل العلم أن من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله<sup>(١)</sup>.

وقد نهى الله تعالى عن سلوك طريق المشركين الذين نبذوا حكم الله تعالى، وحلّلوا وحرموا بآرائهم وأهوائهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

«نهى تعالى عن سلوك المشركين الذين حللوا وحرموا بمجرد ما وصفوه واصطلحوا عليه من الأسماء بآرائهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك، ممّا كان شرعاً لهم ابتدعوه في جاهليتهم، فقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي، أو حلل شيئاً ممّا حرم الله، أو حرم شيئاً ما أباحه الله بمجرد رأيه وتشهيه...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ثم اعلم أخي المسلم - بارك الله فيك - أن حكم النبي ﷺ هو حكم الله تعالى من فوق سبع سماء سواء بسواء، فما حرمه رسول الله ﷺ فالله حرمه، وما أحله رسول الله ﷺ فالله أحله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقد نفى الله تعالى الخيار عن المؤمنين الصادقين في إيمانهم إذا صدر حكم عن رسول الله ﷺ، فقال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ

= الصلاة والصيام ونحوها». اهـ انظر هامش فتح المجيد: (ص: ٣٤٨)، وراجع تحكيم القوانين للشيخ العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى: (ص: ٦).

(١) انظر كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مع فتح المجيد: (ص: ٣٧).

(٢) تفسير ابن كثير: (٢/٥٤٢).

.....

أَمَرَ أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴿[الأحزاب: ٣٦]، فقد سوى في ذلك بين حكم الله وبين حكم رسوله ﷺ.

وفي ذلك يقول أيضاً رسول الله ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

«لم أسمع أحداً - نسبه الناس أو نسب نفسه إلى علم - يخالف في أن فرض الله عز وجلّ أتباع أمر رسول الله ﷺ، والتسليم لحكمه، لأنّ الله عز وجلّ لم يجعل لأحد بعده إلّا أتباعه، وأنه لا يلزم قول بكلّ حال إلّا بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، وأنّ ما سواههما تبع لهما، وأن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد لا يختلف في أنّ الفرض والواجب قبول الخبر عن رسول الله ﷺ...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقال الإمام الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى:

«وقد أمر الله جلّ وعزّ بطاعته - أي الرسول ﷺ -، وأتباعه أمراً مطلقاً مجملاً، لم يقيّد بشيء، كما أمرنا بأتباع كتابه، ولم يقل وافق كتاب الله كما قال بعض أهل الزيغ...»<sup>(٣)</sup>.

وقد عدّوا من خالف السنة من المعتدين الظالمين، قال الإمام أبو محمد بن حزم رحمه الله تعالى:

---

(١) أخرجه ابن ماجة: (١٢)، والترمذي: (٢٦٦٤) عن المقدم بن معدي كرب، وقال: حديث حسن غريب. ومفهوم الحديث أنّ ما أحلّ رسول الله ﷺ مثل ما أحلّ الله.

(٢) انظر جماع العلم للإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (ص: ١١، ١٢).

(٣) جامع بيان العلم وفضله: (٢/١٩٠، ١٩١).

«إِذَا نَصَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَنْ حُكِمَ كُذَّاءٌ فِي أَمْرٍ كُذَّاءٌ، لَمْ يَجْزْ أَنْ يَتَعَدَّى بِذَلِكَ الْحُكْمَ ذَلِكَ الشَّيْءَ الْمَحْكُومَ فِيهِ، فَمَنْ خَالَفَ ذَلِكَ فَقَدْ تَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وذلك أنَّ «السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها.

الثاني: أن تكون بياناً لما أريد بالقرآن وتفسيراً له.

الثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه أو محرمة لما سكت عن تحريمه، ولا تخرج عن هذه الأقسام.

فلا تعارض القرآن بوجه ما، فما كان منها زائداً على القرآن، فهو تشريع مبتدأ من النبي ﷺ تجب طاعته فيه، ولا تحل معصيته، وليس هذا تقديماً لها على كتاب الله، بل امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله، ولو كان رسول الله ﷺ لا يطاع في هذا القسم، لم يكن لطاعته معنى، وسقطت طاعته المختصة به، وإنه إذا لم تجب إلا فيما وافق القرآن، لا فيما زاد عليه، لم يكن له طاعة خاصة تختص به، وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]<sup>(٢)</sup>.

فظهر لك أخي المسلم - وفقك الله تعالى - أن توحيد الله في الحكم والتشريع، أن تتلقى الأحكام من القرآن والسنة، فهما في منزلة واحدة، إذ الكل وحي من الله تعالى، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

(١) النبذ في أصول الفقه: (ص: ١١٠).

(٢) انظر أعلام الموقعين للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (٢/ ٣٢٣)، ويقول الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

لذلك أمرنا ربنا تبارك وتعالى بالردّ إلى الله والرسول ﷺ عند التنازع، أي لكتابه وسنة رسوله ﷺ، فقال عز وجل: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فانظر أخي المسلم ماذا قال ربنا: ﴿فِي شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup> مهما قلّ أو كثر، وقد جعل هذا الرد عند التنازع إلى الله ورسوله من علامات الإيمان بالله واليوم الآخر.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

«وقوله: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي إلى كتاب الله وسنة رسوله، وهذا أمر من الله عز وجل بأن كلّ شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه، أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾، فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلّا الضلال، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فدلّ على أنّ من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر، وقوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ أي التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، والرجوع إليهما في فصل النزاع خير، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، أي وأحسن عاقبة ومآلاً كما قال السدّي وغير واحد، وقال مجاهد: وأحسن جزاء، وهو قريب»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

(١) يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «فإن تنازعتم في شيء»، نكرة في سياق الشرط، نعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقه وجلّه، جليه وخفيه، ولو لم يكن في كتاب الله بيان ما تنازعوا فيه ولم يكن كافياً، لم يأمر بالردّ إليه، إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند التنازع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع...». انظر أعلام الموقعين: (٨٤/١).

(٢) انظر التفسير: (٤٦٠/١).

هذا، وقد أخبر الله تعالى أن من لم يرض بحكم الله تعالى ورسوله، وتحاكم إلى غيرهما، فقد حَكَمَ الطاغوت وتحاكم إليه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۖ﴾ [النساء: ٦٠].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

«ذكر في سبب نزول هذه الآية، أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما، فجعل اليهودي يقول بيني وبينك محمد، وذلك يقول بيني وبينك كعب بن الأشرف، وقيل في جماعة من المنافقين ممن أظهر الإسلام، أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية، وقيل غير ذلك، والآية أعم من ذلك كله، فإنها دامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هنا»<sup>(١)</sup>. اهـ.

ويقول الإمام الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى مبيِّناً معنى الطاغوت:

«والطاغوت، كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة الله، فهذه طواغيت العالم إذا تأملت، وتأملت أحوال الناس معها، رأيت أكثرهم انصرفوا عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول، إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله، إلى طاعة الطاغوت ومتابعته، وهؤلاء لم يسلوكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة، وهم الصحابة ومن

تبعهم، ولا قصدوا قصدهم، بل خالفوهم في الطريق والقصد معاً...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

فإذا عرفت هذا أخي المسلم، فاعلم أنّ توحيد الله تعالى في شرعه، أن تعتقد أنّه لا مشرّع إلاّ الله، فلا يحل ولا يحرم إلاّ الله، وأنّ ما قضى به رسول الله ﷺ فهو عينه حكم الله تعالى، يجب أن تتلقّاه «بكمال التسليم له والانقياد لأمره، وتلقّى خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمله معارضة خيال باطل نسميه معقولاً، أو يحمله شبهة أو شكّاً، أو يقدّم عليه آراء الرجال، وزبالات أذهانهم، فيؤخّده بالتحكيم، والتسليم، والانقياد، والإذعان، كما وُحِدَ المرسل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذلّ والإنابة والتوكّل.

فهما توحيدان لا نجاة للعبد إلاّ بهما :

توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول ﷺ، فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرض بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه، فإن أذنوا له نقّذه وقبل خبره، وإلاّ فإن طلب السلامة أعرض عن أمره وخبره وفوضه إليهم، وإلاّ حرفه عن مواضعه

(١) انظر أعلام الموقعين: (١/ ٨٥)، ويقول الشيخ العلامة حامد الفقي رحمه الله تعالى: «الذي يستخلص من كلام السلف ﷺ: أنّ الطاغوت كلّ ما صرف العبد وصّدّه عن عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة لله ولرسوله، سواء في ذلك الشيطان من الجن والشيطان من الإنسان، والأشجار والأحجار وغيرها، ويدخل في ذلك بلا شك: الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه، وغيرها من كلّ ما وضعه الإنسان ليحكم به في الدماء والفروج والأموال، وليبطل بها شرائع الله، من إقامة الحدود وتحريم الربا والزنا والخمر ونحو ذلك، ممّا أخذت القوانين تحللها وتحريمها بنفوذها ومنفذيها، والقوانين نفسها طواغيت، وواضعوها ومروجوها طواغيت، وأمثالها من كل كتاب وضعه العقل البشري ليصرف عن الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ، إمّا قصداً أو عن غير قصد من واضعه، فهو طاغوت». اهـ. انظر هامش كتاب فتح المجيد: (ص: ٢٤٣).

وستمى تحريفه تأويلاً وحملًا فقال: نؤوله ونحمله، فلإن يلقى العبدُ ربّه بكلّ ذنب - على الإطلاق ما خلا الشرك - خير من أن يلقاه بهذه الحال<sup>(١)</sup>.

ومن توحيد الله تعالى في شرعه الردّ إليه وإلى رسوله ﷺ عند التنازع، وبذلك يسلم لك أخي المسلم توحيدك وإيمانك، وتكون من الفائزين إن شاء الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

ثمّ اعلم أخي المسلم - وفقك الله لمرضاته - أنّ ما يتصوره كثير من المسلمين اليوم، من أنّ مسألة الحكم بما أنزل الله تعالى إنّما هي متعلقة بأمور الدولة والمحاكم فقط، وتجده في بيته ونفسه وتعامله مع غيره، لا يحكم شرع الله تعالى من كتاب وسنة، فهذا قد جعل حاكمية الله تعالى قاصرة على قضايا الدولة دون غيرها، فضيقت واسعاً.

وأمثال هؤلاء لم يفهموا حقيقة هذا التوحيد - أعني توحيد الله في حكمه -، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ألا كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل زوجها

(١) من كلام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١] انظر مدارج السالكين: (٣/ ٣٨٧، ٣٨٨).

(٢) كما أنّ من الردّ إلى سنته ﷺ، الردّ إلى أولي الأمر، وهم أكابر علماء المسلمين من الذين سبقونا في العلم والإيمان، فهم الذين نقلوا إلينا أحكام الإسلام كتاباً وسنة وفقهاً، كما بينت ذلك الآية الكريمة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وأولي الأمر هم الصحابة رضي الله عنهم، فالردّ إليهم في فقه الاستدلال في الأحكام والسنن وأصول الاعتقادات قيد لا مناص منه، فهم الذين بلغوا لنا حكم الله ورسوله ﷺ. انظر مجلة السلفية: (ص: ٥).

ولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه،  
 ألا فلكم راع وكنكم مسؤول عن رعيته»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: (٨٩٣ - ٢٤٠٩ - ٢٥٥٨ - ٢٧٥١ - ٥١٨٨ - ٥٢٠٠)، ومسلم في صحيحه، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر برقم (١٨٢٩)، والبخاري في شرح السنة: (٢٤٦٩).

وقوله ﷺ: «... وعبد الرجل راع على مال سيده» الحديث، فيه جواز قول السيد عبدي ولكن مع الكراهة، لما صح من حديث أبي هريرة ؓ عند البخاري: (٢٥٥٢)، والبخاري: (٣٣٨٢)، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يقل أحدكم: أطع ربك، وضئ ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي، أمتي، وليقل: فتاي، وقتاتي، وغلامي»، فقد أخرج البخاري الحديث في كتاب العتق، باب: كراهية التناول على الرقيق، وقوله عبدي وأمتي.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى معلقاً على صنيع الإمام البخاري رحمه الله تعالى: «... والمراد بالكراهية، كراهية التنزيه، أي وكراهية ذلك من غير تحريم، ولذلك استشهد للجواز بقوله تعالى: ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، وبغيرها من الآيات والأحاديث الدالة على الجواز، ثم أردفها بالحديث الوارد في النهي عن ذلك، واتفق العلماء على أن النهي الوارد في ذلك للتنزيه حتى أهل الظاهر، إلا ما سنذكره عن ابن بقال في لفظ الرب...». اهـ فتح الباري: (٥/٢٢٠).

وقال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى: «المعنى في ذلك كله راجع إلى البراءة من الكبير والتزام الذل والخضوع لله عز وجل، وهو الذي يليق بالمربوب». فتح الباري: (٥/٢٢٣).

وقال الإمام النووي رحمة الله عليه: «المراد بالنهي من استعماله على جهة التعاضم، لا من أراد التعريف...». اهـ فتح الباري: (٥/٢٢٣).

وقال الإمام البخاري رحمه الله تعالى: «قيل في كراهية هذه الألفاظ، هي أن تقول ذلك على طريق التناول على الرقيق والتحقيق لشأنه، وإلا فقد جاء به القرآن». اهـ شرح السنة: (٣٥٢/١٢).

فهذه الألفاظ «وإن كانت تطلق لغة، فالنبي ﷺ نهى عنها تحقيقاً للتوحيد، وسدّاً لذرائع الشرك، لما فيها من التشريك في اللفظ، لأن الله تعالى هو رب العباد جميعهم، فإذا أطلق على غيره شاركه في الاسم، فينهى عنه لذلك، وإن لم يقصد بذلك التشريك =

قال الطيبي رحمه الله تعالى:

«في هذا الحديث أنّ الراعي ليس مطلوباً لذاته، وإنّما أقيم لحفظ ما استرعاه المالك، فينبغي أن لا يتصرف إلاّ بما أذن الشارع فيه، وهو تمثيل ليس في الباب ألطف ولا أجمع ولا أبلغ منه»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال الحافظ رحمه الله تعالى معلقاً على كلام الطيبي:

«وقال غيره: دخل في هذا العموم المنفرد الذي لا زوج له ولا خادم ولا ولد، فإنّه يصدق عليه أنّه راع على جوارحه حتّى يعمل المأمورات، ويجتنب المنهيات فعلاً ونطقاً واعتقاداً...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

فالرجل إذن مسؤول عن أهل بيته، «لأنّه أمر أن يحرص على وقايتهم من النار، وامثال أوامر الله، واجتناب مناهيه»<sup>(٣)</sup>.

يقول الإمام البغوي رحمه الله تعالى:

«أمرهم النبي ﷺ بالنصيحة فيما يلونه، وحذّره الخيانة فيه بإخباره أنّهم مسؤولون عنه، فالرعاية: حفظ الشيء، وحسن التعهّد...»<sup>(٤)</sup>. اهـ.

وهل للرجل أن يتعهّد أهله ومن يعول بأحسن من تدبير الله تعالى، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧].

= في الربوبية التي هي وصف الله تعالى، وإنّما المعنى أنّ هذا مالك له، فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الاعتبار، فالنهي عنه حسماً لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقاً للتوحيد، وبعداً عن الشرك حتى في اللفظ، وهذا من أحسن مقاصد الشريعة. انظر فتح المجيد: (ص: ٤٠٦).

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١٤١/١٣).

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه: (٣١٦/٩).

(٤) شرح السنة: (٦٢/١٠).

## فائدة:

إنّ توحيد الله تعالى في الحكم والتشريع يندرج تحت توحيد الألوهية، ويندرج أيضاً تحت توحيد الربوبية، فهو من توحيد الألوهية باعتبار خضوع العبد لله تعالى وذلك واستسلامه وطاعته وانقياده، وهذه أركان العبادة. وهو من توحيد الربوبية باعتبار أنّ الربّ تعالى هو المدبّر لشؤون عباده وإليه يرجع الأمر كلّهُ.

فباعتبار فعل الربّ يكون توحيد الحكم من توحيد الربوبية، وهو بهذا خاصية وصفة من صفات الله تعالى.

وباعتبار فعل العبد يكون توحيد الحكم من توحيد الألوهية وحق من حقوقه سبحانه وتعالى، والله تعالى أعلم.

[٥٠] ومن توحيده تعالى في ربوبيته: اعتقاد أنّ العبد لا يخلق أفعال نفسه، فهو كما لم يخلق ذاته، ولم يخلق صفات ذاته، كذلك لم يخلق أفعاله، فهو كلّ مخلوق لله: ذاته، وصفاته، وأفعاله، غير أن له مباشرة لأفعاله باختياره، فبذلك كانت أعمالاً له، وكان مسؤولاً عنها، ومجازى عليها، وتلك المباشرة هي كسبه واكتسابه.

فيسمّى العبد عاملاً وكاسباً ومكتسباً، ولا يسمّى خالقاً، لعموم قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

[٥٠] من عقائدة سلف الأمة وخيارها، أنّ أفعال العباد «حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«قال الله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [غافر: ٦٢]، فدخل فيه الأعيان والأفعال من الخير والشر.

وقال: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، فنفى أن يكون خالق غيره، ونفى أن يكون شيء سواه غير مخلوق، فلو كانت الأفعال غير مخلوقة لكان الله سبحانه خالق بعض الأشياء دون جميعها، وهذا خلاف الآية.

ومعلوم أنّ الأفعال أكثر من الأعيان، فلو كان الله خالق الأعيان، والناس خالقي الأفعال، لكان خلق الناس أكثر من خلقه، ولكانوا أتمّ قوّة منه، وأولى بصفة المدح من ربّهم سبحانه، ولأنّ الله تعالى قال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾

(١) انظر خلق أفعال العباد، للإمام البخاري رحمه الله تعالى: (ص: ٣٤).

وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ [الصافات: ٩٦]، فأخبر أن أعمالهم مخلوقة لله عز وجل<sup>(١)</sup>. اهـ.  
وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «إن الله تعالى خالق كل صانع وصنعه»<sup>(٢)</sup>.

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن الله خلق الخلق، فخلق أهل الجنة وما هم عاملون، وخلق أهل النار وما هم عاملون»<sup>(٣)</sup>.

فأعمال العباد خلق لله، فعل للعباد يباشرونها بإرادتهم واختيارهم، كما قال الحق تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، ولهذا قال المصنف رحمه الله تعالى: «فبذلك كانت أعمالاً له، وكان مسؤولاً عنها، ومجازى عليها، وتلك المباشرة هي كسبه واكتسابه، فيسمى العبد عاملاً وكاسباً ومكتسباً، ولا يسمى خالقاً».

والإيمان بأن أعمال العباد مخلوقة هو من الإيمان بالقدر، الذي هو أصل

(١) كتاب الاعتقاد: (ص: ٧٣)، وذكر عن قادة في قوله تعالى: ﴿أَتَتَّبِعُونَ مَا تَتَّبِعُونَ﴾، قال: الأصنام، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، قال: خلقكم وخلق ما تعملون بأيديكم. وانظر شرح العقيدة الطحاوية: (٢/٦٣٩)، والحجة في بيان المحجة: (١/٤٥٧)، (٢/٤٤٣)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة: (٣/٨٥٩)، واعتقاد أئمة الحديث للإسماعيلي: (ص: ٤١)، وشرح العقيدة الواسطية للعثيمين: (٢/٢١٨)، وشعب الإيمان للبيهقي: (١/٢٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد: (٩٢)، والحاكم في المستدرک: (١/٣١، ٣٢)، والبيهقي في الاعتقاد: (ص: ٦١)، وابن أبي عاصم في السنة: (٣٥٧)، وصححه الحاكم والذهبي والألباني، انظر ظلال الجنة: (ص: ١٥٨)، والسلسلة الصحيحة: (١٦٣٧).

(٣) أخرجه الدارمي: (٢٥٧)، والطبراني في الصغير: (١/١٣٠)، وانظر السلسلة الصحيحة: (٤٦).

من أصول الإيمان، قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:

«الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد أن الله تعالى خالق أعمال العباد، خيرها وشرها، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن خلقهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١)، وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٢) [القمر: ٤٩]...» (١). اهـ.

ثم اعلم أخي المسلم أن «كونه خلق أفعال العباد وفيها الظلم، لا يقتضي وصفه بالظلم سبحانه وتعالى، كما أنه لا يوصف بسائر القبائح التي يفعلها العباد، وهي خلقه وتقديره، فإنه لا يوصف إلا بأفعاله، لا يوصف بأفعال عباده، فإن أفعال عباده مخلوقاته ومفعولاته، وهو لا يوصف بشيء منها، إنما يوصف بما قام به من صفاته وأفعاله، والله أعلم» (٢).

«فالحاصل أن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله تعالى، ومفعول لله تعالى، ليس هو نفس فعل الله، ففرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق، وإلى هذا المعنى أشار الشيخ (٣) رحمه الله تعالى بقوله: (وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد)، أثبت للعبد فعلاً وكسباً وأضاف الخلق إلى الله تعالى.

والكسب هو: الفعل الذي يعود على فاعله منه نفع أو ضرر، كما قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾...» (٤).

(١) شرح السنة: (١/١٤٢).

(٢) من كلام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى، انظر جامع العلوم والحكم: (٣٦/٢).

(٣) أي الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى.

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٢/٦٥٢).

.....

وهذه الإرادة للفعل من العبد ومشيتته، يجدها كل إنسان في نفسه، فلا يمكن أن يفعل العبد شيئاً إلا إذا رغب فيه وأراده، ولا يجد مع ذلك في نفسه إكراهاً وجبراً على ذلك الفعل، وهو في ذلك كله لا يخرج عن مشيئة الله تعالى وإرادته، ولهذا قال المصنف رحمه الله تعالى في الفقرة الموالية: «أنّ العبد لا يخرج في جميع تصرفاته عن مشيئة الله، غير أنّ له اختيار يجده بالضرورة من نفسه...».

[٥١] ومن توحيده تعالى في ربوبيته: اعتقاد أنّ العبد لا يخرج في جميع تصرفاته عن مشيئة الله، غير أنّ له اختياراً يجده بالضرورة من نفسه، ومشية يجدها كذلك فيما يمكنه من أفعاله كان بهما مكلفاً، ثم هو لا يخرج بها عن مشيئة الله، لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

[٥١] سبق ذكر المصنّف رحمه الله تعالى للإرادة والمشية، ومراده هنا إثبات المشيئة للعبد، وأنه مخير لا مجبر، وإن كانت أفعاله من خلق الله تبارك وتعالى، وأن هذه المشيئة للعبد تابعة لمشيئة الله تعالى لا تخرج عنها أبداً.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

«إنّ مشيئة العباد هي إلى الله تعالى، ولا يشاؤون إلاّ أن يشاء الله ربّ العالمين، وإنّ أعمال الناس خلق من الله فعل للعباد، وإنّ القدر خيره وشره من الله عزّ وجلّ»<sup>(١)</sup>. اهـ.

ويقول الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى:

«وكلّ شيء يجري بتقديره ومشيته، ومشيته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلاّ ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر كتاب الاعتقاد للإمام البيهقي رحمه الله تعالى: (ص: ١٢٩).

(٢) انظر العقيدة الطحاوية مع شرح الإمام ابن أبي العزّ رحمه الله تعالى: (١/١٣٣).

وقال رحمة الله عليه: «وأفعال العباد خلق الله، وكسب من العباد»<sup>(١)</sup>.

فدلّ ذلك على أنّ الله تعالى خالق كلّ شيء، وأنّه على كلّ شيء قدير، وأنّ أفعال العباد من جملة مخلوقاته، وأنّه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنّ العبد فاعل لفعله حقيقة، وأنّه مريد له مختار له حقيقة، وأنّ إضافته ونسبته إليه إضافة حق، ولا يدلّ على أنّه غير مقدور لله تعالى، وأنّه واقع بغير مشيئته وقدرته<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا «درج أعلام الصحابة والتابعين، وإلى مثل ذلك ذهب فقهاء الأمصار: الأوزاعي، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والليث بن سعد، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم، وغيرهم رضي الله عنهم»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«باب: القول في وقوع أفعال العباد بمشيئة الله عزّ وجلّ.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، فأخبرنا أنّا لا نشاء شيئاً إلّا أن يكون الله قد شاء... فأعلم الله خلقه أنّ المشيئة له دون خلقه، وأنّ مشيئتهم لا تكون إلّا أن يشاء...»<sup>(٥)</sup>.

وقد أثبت الله تعالى في غير ما آية من كتابه، أنّ المشيئة له عزّ وجلّ، ومشيئة العباد تبع لمشيئته النافذة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبي صلى الله عليه وآله، قال: «قال سليمان بن داود: لأطوفنّ الليلة على تسعين امرأة تحمل كلّ امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله، فقال له

(١) المرجع السابق: (٢/٦٣٩).

(٢) راجع شرح العقيدة الطحاوية: (٢/٦٤٠، ٦٤١).

(٣) انظر كتاب الاعتقاد للإمام البيهقي رحمه الله تعالى: (ص: ٨٧، ٨٨).

(٤) المرجع نفسه: (ص: ٨٣).

صاحبه<sup>(١)</sup>: قل إن شاء الله، فلم يقل<sup>(٢)</sup>، ولم تحمل شيئاً إلاً واحداً ساقطاً أحد شقّيه، فقال النبي ﷺ: لو قالها، لجاهدوا في سبيل الله»<sup>(٣)</sup>.

فهذا سليمان عليه السلام وجد في نفسه حبّ الولد ليستعملهم في طاعة الله تبارك وتعالى، فسعى باختياره وإرادته في تحقيق ذلك، ولمّا نسي أن يعلق ذلك بمشيئة الله تعالى منع الولد، وفي هذا أنه لا يشاء أحد شيئاً إلاً أن يشاء الله سبحانه وتعالى.

(١) قال الحافظ رحمه الله تعالى: «في رواية معمر، عن طاووس...: فقال له الملك، وفي رواية هشام بن حجير: فقال له صاحبه، قال سفيان: يعني الملك، وفي هذا إشعار بأن تفسير صاحبه بالملك ليس بمرفوع، لكن في مسند الحميدي، عن سفيان: فقال له صاحبه أو الملك بالشك، ومثلها لمسلم، وفي الجملة ففيه ردّ على من فسّر صاحبه بأنه الذي عنده علم من الكتاب، وهو آصف، بالمدّ وكسر المهملة بعدها فاء، ابن ريخا، بفتح الموحدة وسكون الراء وكسر المعجمة بعد تحتانية.

وقال القرطبي في قوله: «فقال له صاحبه أو الملك»: إن كان صاحبه فيعني به وزيره من الإنس والجن، وإن كان الملك فهو الذي كان يأتيه بالوحي، قال: وقد أبعد من قال المراد به خاطره.

وقال النووي: قيل: المراد بصاحبه الملك، وهو الظاهر من لفظه، وقيل: القرين، وقيل: صاحبه له آدمي، قلت: ليس بين قوله صاحبه والملك منافاة، إلا أن لفظة «صاحبه» أعمّ، فمن ثمّ نشأ لهم الاحتمال، ولكن الشك لا يؤثر في الجزم، فمن جزم بأنه الملك حجة على من لم يجزم». اهـ فتح الباري: (٥٦٢/٦).

(٢) قال الحافظ رحمه الله تعالى: «قال عياض: بيّن في الطريق الأخرى بقوله: فسي. قلت: هي رواية ابن عيينة عن شيخه، وفي رواية معمر، قال: ونسي أن يقول إن شاء الله، ومعنى قوله: فلم يقل، أي بلسانه، لا أنه أبى أن يفوّض إلى الله، بل كان ذلك ثابتاً في قلبه، لكنه اكتفى بذلك أولاً ونسي أن يجريه على لسانه لما قيل له شيء عرض له». اهـ فتح الباري: (٥٦٢/٦).

(٣) أخرجه البخاري: (٣٤٢٤ - ٥٢٤٢ - ٧٤٦٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الاستثناء برقم (١٦٥٤)، والبخاري في شرح السنة: (٧٩).

[٥٢] ومن توحیده تعالیٰ فی ربوبیته: اعتقاده أنَّ العبد لا یعلم الغیب، وهو ما غاب عن الحواس، ولا یوصل إلیه بصحیح النظر، فلا یعلم منه إلا ما جاء فی صحیح الخبر، فیجب الإیمان به حینئذٍ كما جاء بدون زیادة ولا تنقیص، لقوله تعالیٰ: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۚ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٨]، ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۚ﴾ [البقرة: ٣٢] ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ ۚ﴾ [هود: ٣١]، ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝﴾ [الإسراء: ٣٦]، ﴿وَعِنْدُ مَفَاتِحِ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ﴾ [الرعد: ٩]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ﴾ [الملك: ٢٦]، ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ﴾ [المائدة: ١١٦].

[٥٢] لقد أخبر الله تعالیٰ فی كتابه فی غیر ما موضع أنه سبحانه المتفرد بعلم الغیب، لا یشاركه فی علمه أحد إلا من رضي الله أن یطلعه علی بعض ذلك.

وفی الحدیث أنه ﷺ قال لجبریل ؑ: «...ما المسؤول عنها باعلم من السائل، وسأخبرك عن انشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم فی البنيان، فی خمس لا یعلمهن إلا الله، ثم تلا النبی ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية [لقمان: ٣٤]»<sup>(١)</sup>.

(١) هذه رواية أبي هريرة ؓ عند البخاري: (٥٠)، وتامم الآية الكريمة: ﴿وَيُرَزَّوْا إِلَيْكَ مِنَ الْأَرْضِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ فَعَدًّا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:

«لا مطمع لأحد في علم شيء من هذه الأمور الخمسة لهذا الحديث... فمن ادّعى علم شيء منها غير مسندة إلى رسول الله ﷺ كان كاذباً في دعواه»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر»<sup>(٢)</sup>.

ف «هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها، فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ﴿لَا يَجْلِيهَا لَوْحًا إِلَّا هُوَ﴾، وكذلك إنزال الغيث، لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكّلون بذلك، ومن يشاء من خلقه، وكذلك لا يعلم ما في الأرحام ممّا يريد أن يخلقه الله تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى أو شقيّاً أو سعيداً، علم الملائكة الموكّلون بذلك، ومن يشاء الله من خلقه، وكذا لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وآخرتها، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ في بلدها أو غيره من أيّ بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك، وهذه شبيهة بقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ الآية [الأنعام: ٥٩]، وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس: مفاتيح الغيب»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١/١٦٤). وهو غير الإمام أبي عبد الله القرطبي صاحب الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، وإنما هو صاحب المفهم شرح مختصر صحيح مسلم.

(٢) أخرجه البخاري: (١٠٣٩ - ٤٦٢٧ - ٤٦٩٧ - ٤٧٧٨ - ٧٣٧٩)، وأحمد: (٤٧٦٦ - ٥١٣٣ - ٥٢٢٦ - ٦٠٤٣)، والبيهقي في شرح السنة: (١١٧٠) بالفاظ مختلفة.

(٣) انظر تفسير ابن كثير: (٣/٤٢٤). وأمّا ما توصل إليه العلم الحديث من معرفة =

قال الإمام أبو محمد بن أبي جمرة رحمه الله تعالى:

«عَبَّرَ بِالْمِفْتَاحِ لِتَقْرِيبِ الْأَمْرِ عَلَى السَّامِعِ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ جَعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ فَقَدْ غَيَّبَ عَنْكَ، وَالتَّوَصَّلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ فِي الْعَادَةِ مِنَ الْبَابِ، فَإِذَا أَغْلَقَ الْبَابَ احْتِيجَ إِلَى الْمِفْتَاحِ، فَإِذَا كَانَ الشَّيْءُ الَّذِي لَا يَطَّلَعُ عَلَى الْغَيْبِ إِلَّا بِتَوْصِيلِهِ لَا يَعْرِفُ مَوْضِعَهُ، فَكَيْفَ يَعْرِفُ الْمَغْيِبَ»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وأُمُورُ الْغَيْبِ سِوَى هَذِهِ كَثِيرَةٌ لَا يَحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

قال ابن أبي جمرة رحمه الله: «استعار للغيب مفاتيح اقتداءً بما نطق به الكتاب العزيز: ﴿وَعِنْدُ مَفَاتِيحِ الْغَيْبِ﴾، وليقرب الأمر على السامع، لأنّ أمور الغيب لا يحصيها إلّا عالمها...

والحكمة من جعلها خمساً، الإشارة إلى حصر العوالم فيها»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقال رحمه الله تعالى معلقاً على حديث ابن عمرو السابق:

«وفي قوله: لا يعلم متى يأتي المطر، إشارة إلى أمور العالم العلوي... وفي قوله: ولا تدري نفس بأيّ أرض تموت، إشارة إلى أمور العالم السفلي... وفي قوله: ولا يعلم ما في غد إلّا الله، إشارة إلى أنواع الزمان وما فيها من

= نوع الجنين، وكذا معرفة الأحوال الجوية، وغيرها من التوقعات، فليس من علم الغيب في شيء، وإنما هو مما علمه الله عباده، وأسباب تتخذ في معرفة ذلك، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «وفي قوله: ولا يعلم متى يأتي المطر، إشارة إلى أمور العالم العلوي، وخصّ المطر، مع أنّ له أسباب قد تدلّ يجري العادة على وقوعه، لكنه من غير تحقيق». فتح الباري: (٤٤٦/١٣). وفي كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى ما يشير إلى هذا المعنى، وقد نهني على كلام ابن كثير هذا شيخني الأستاذ خميس بن عاشور وفقه الله تعالى أستاذ العقيدة سابقاً بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، فجزاه الله خيراً.

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٦٥٣/٨).

(٢) المرجع نفسه: (٤٤٦/١٣).

الحوادث، وعبر بلفظ غد، لتكون حقيقته أقرب الأزمنة، وإذا كان مع قربه لا يعلم حقيقة ما يقع فيه مع إمكان الإمارة والعلامة، فما بعد عنه أولى، وفي قوله: ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله، إشارة إلى علوم الآخرة، فإن يوم القيامة أولها، وإذا نفى علم الأقرب انتفى علم ما بعد، فجمعت الآية أنواع الغيوب، وأزالت جميع الدعاوى الفاسدة، وقد بين بقوله تعالى في الآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦) إِلَّا مَنْ أَرَزَقْنِي مِنْ رَسُولٍ [الجن: ٢٦] - ٢٧، أن الاطلاع على شيء من هذه الأمور لا يكون إلا بتوفيق<sup>(١)</sup>. اهـ.

ثم اعلم أخي المسلم - بارك الله فيك -، أن نسبة الغيب إلى الله تعالى توحيد وأدب رفيع من أدب الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (١٨٩) [المائدة: ١٠٩]، ف «هو من باب التأدب مع الرب جلّ جلاله، أي لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء، فنحن وإن كنا أجبناء وعرفنا من أجابنا، ولكنّ منهم من كنا إنما نطلع على ظاهره لا علم لنا بباطنه، وأنت العليم بكل شيء، المطلع على كل شيء، فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلاً علم، فإنك ﴿أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾»<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (١٧١) [المائدة: ١٧١]

(١) المرجع السابق: (١٣/٤٤٦، ٤٤٧).

(٢) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٢/١٠٧)، وهو أيضاً أدب لملائكة الرحمن إذ «قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا»، ف «هذا تقديس وتنزيه من الملائكة لله تعالى أن يحيط أحد شيء من علمه إلا بما شاء، وأن يعلموا شيئاً إلا ما علمهم الله تعالى». انظر التفسير: (١/٦٤).

[١١٦]، ف «هذا توفيق للتأدب في الجواب الكامل»<sup>(١)</sup>.

وقد كان نبينا ﷺ يدعو الله تعالى بأنه عالم الغيب والشهادة، فيقول ﷺ: «اللهم إني أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحييني إذا كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي...» الحديث<sup>(٢)</sup>.

هذا، وقد أخبر الله تعالى عباده ببعض غيبه على السنة رسله - عليهم الصلاة والسلام -، كالجنة والنار، وأحوال يوم الموقف والحشر، وغيرها من أمور الغيب الذي نطق بها الكتاب وجاءت بها السنة، فقد أعلمنا ربنا أنها من عالم الغيب، وفرض الإيمان فيها، الإيمان بها، لصدق الخبر من الله تعالى ورسوله ﷺ، فمن آمن بالله تعالى وصدق رسوله ﷺ، لا بد أن يؤمن بما أخبر به من الغيب<sup>(٣)</sup>.

وأما تفصيلات الغيب وتفسيره، فهذا الذي لا مطمع لأحد في الوصول إليه بصحيح النظر، ولا برجحان الفكر، ولا بقوة الذهن، بل يجب الإيمان به كما جاء من دون زيادة ولا تنقيص.

ولهذا كان من ادعى علم شيء من ذلك غير مسند إلى كتاب أو سنة صحيحة، قد افترى على الله وتقول عليه بغير علم ولا برهان، وقد أشار المصنف الشيخ ابن باديس رحمه الله تعالى إلى هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

يقول الحافظ أبو الفداء ابن كثير رحمه الله تعالى:

«قال قادة: لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم،

(١) المرجع السابق: (١١٢/٢).

(٢) طرف من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه، أخرجه النسائي: (٥٤/٣، ٥٥)، وابن حبان:

(٥٠٩)، قال محققاً زاد المعاد وفقهما الله تعالى: «سند قوي» (١٧/٣).

(٣) راجع تفسير ابن كثير: (٣٦/١).

فإنَّ الله تعالى سائلك عن ذلك كلّه انتهى. ومضمون ما ذكره أنّ الله تعالى نهى عن القول بلا علم، بل الظنّ الذي هو التوهم والخيال<sup>(١)</sup>. اهـ.

فلذا فهمت هذا أخي المسلم، فاعلم أنّ ما يدّعيه الدجالون من علم الغيب، كذب وافتراء على الله تعالى ورسوله ﷺ، وتضليل لعباد الله عزّ وجلّ، ولهذا كان من عقائد أهل السنة والجماعة أنّهم لا يصدقون كاهناً ولا عرافاً<sup>(٢)</sup>، لقول نبيّهم ﷺ: «من أتى عرافاً أو كاهناً، فصّدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»<sup>(٣)</sup>.

وقد أخبرنا رسولنا ﷺ أنّ المدّعين للغيب والكهّان ليسوا بشيء، فعن أم عبد الله عائشة رضي الله عنها، قالت: «سأل رسول الله ﷺ ناس عن الكهّان؟ فقال: ليسوا بشيء، فقالوا: يا رسول الله، إنّهم يحدثون أحياناً بالشّيء فيكون حقّاً؟ فقال رسول الله ﷺ: تلك الكلمة من الحقّ يخطفها الجنّي فيقرقرها في أذن وليّه، فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة»<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق: (٣٩/٣).

(٢) كما قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: «ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً، ولا من يدّعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة»، شرح الطحاوية: (٧٥٩/٣).

(٣) أخرجه أبو داود: (٣٩٠٤)، والترمذي: (١٣٥)، وابن ماجه: (٦٣٩)، والبيهقي: (٧/١٩٨)، وأحمد: (٤٠٨/٢، ٤٢٩، ٤٧٦)، والدارمي: (٢٥٩/١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى في الكبائر (ص: ١٤٣): «إسناده صحيح»، وانظر صحيح سنن الترمذي للالباني: (١١٦).

(٤) أخرجه البخاري: (٣٢١٠ - ٥٧٦٢ - ٦٢١٣ - ٧٥٦١)، وعلقه برقم: (٣٢٨٨)، وفي الأدب المفرد: (٨٨٢)، ومسلم: (٢٢٢٨)، والبغوي في شرح السنة: (٣٢٥٨)، والطحاوي في مشكل الآثار: (٣/١١٤، ١١٥). والكهانة - بفتح الكاف ويجوز كسرهما - ادعاء علم الغيب، كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيها استراق الجنّي السمع من كلام الملائكة، فيلقيه في أذن الكاهن. والكاهن لفظ يطلق على العراف والذي يضرب بالحصى والمنجم، ويطلق على من =

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى :

«كانوا في الجاهلية يترافعون إلى الكهّان في الوقائع والأحكام، ويرجعون إلى أقوالهم، وقد انقطعت الكهانة بالبعثة المحمدية، لكن بقي في الوجود من يشبه بهم، وثبت النهي عن إتيانهم، فلا يحلّ إتيانهم ولا تصديقهم»<sup>(١)</sup>. اهـ.

فقد أخبر رسول الله ﷺ - والحمد لله - أن كلام أولئك القوم ليس بشيء، والعرب تقول لمن عمل شيئاً لم يحكمه: ما عمل شيئاً<sup>(٢)</sup>، وقد أورد السائل إشكالاً على عموم قوله: «ليسوا بشيء» بقوله: «فإنهم يتحدثون»، ويخبرون عن وقائع حدثت فعلاً، فأجابه ﷺ عن سبب ذلك الصدق، وأن إصابة الكاهن أحياناً إنما هي لأنّ الجنّي يلقي إليه الكلمة التي يسمعها استراقاً من الملائكة فيزيد عليها أكاذيب يقيسها على ما سمع، فربما أصاب نادراً، وخطؤه الغالب. وهؤلاء الكهّان فيما علم بشهادة الامتحان قوم لهم أذهان حادة، ونفوس شريرة، وطبائع

= يقوم بأمر آخر ويسعى في قضاء حوائجه. انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٢٦٧/١٠)، وراجع شرح السنة للبغوي رحمه الله تعالى: (١٨٢/١٢). وقوله ﷺ: «فيقرّها»، أي: يرددها، يقال: قررت الدجاجة تقرر قررة، إذا رددت صوتها. قال الخطابي: يقال أيضاً قرّت الدجاجة تقرر قرراً وقريراً، وإذا رجعت في صوتها قيل: قررت قررة وقرقريرة.

وفي رواية: «فيقرّها في أذن وليّه»، بفتح أوّله وثانيه وتشديد الراء، أي: يصبها، تقول: قررت على رأسه دلوّاً، إذا صببته، فكأنه صبّ في أذنه ذلك الكلام، قال القرطبي: ويصح أن يقال ألقاها في أذنه بصوت، يقال قرّ الطائر إذا صوّت. انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٢٧٠/١٠).

(١) فتح الباري: (٢٧٠/١٠).

(٢) أخرج البخاري رحمه الله تعالى حديث عائشة المتقدم تحت باب: قول الرجل للشيء ليس بشيء، وهو ينوي أنه ليس بحق. انظر الفتح: (٧٢٩/١٠).

نارية، فهم يفرعون إلى الجن في أمورهم، ويستفتونهم في الحوادث فيلقون إليهم الكلمات<sup>(١)</sup>.

فهذا أخي المسلم قول الصادق المصدوق ﷺ يخبر عن هؤلاء الدجالين المضلين، فهل بعد ذلك تؤمن بالجبت والطاغوت، ويكون حالك كـ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قال جابر رضي الله عنه: «الطاغوت كهان ينزل عليهم الشيطان».

وقال عكرمة: «الجبت بلسان الحبشة: الشيطان، والطاغوت: الكاهن»<sup>(٢)</sup>.

أم أنك - أخي المسلم - بعد ما سمعت آيات الله تتلى عليك، وأحاديث رسول الله ﷺ تعرض عليك، تؤمن بالأبراج التي ملئت بها الصحف والمجلات، فهي من الكهانة التي يحرم عليك أن تؤمن بها، أو أن تطالعها.

وجملة القول، أن الله تعالى حجب الغيب عن عباده ﴿إِلَّا مَن أَرَادَ مِن رَّسُولِهِ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾، «وفي الآية رد على المنجمين، وعلى كل من يدعي أنه يطلع على ما سيكون من حياة أو موت أو غير ذلك، لأنه مكذب للقرآن، وهم أبعد شيء من الارتضا مع سلب صفة الرسلية عنهم»<sup>(٣)</sup>.

ولذلك «يجب على من قدر على ذلك من محتسب وغيره أن يقيم من يتعاطى شيئاً من ذلك من الأسواق، وينكر عليهم أشد النكير وعلى من يجيء

(١) راجع فتح الباري: (٢٧٠/١٠، ٢٧١، ٢٧٢).

(٢) انظر شرح السنة للبغوي: (١٧٩/١٢).

(٣) فتح الباري: (٤٤٦/١٣)، وقال الطيبي رحمه الله تعالى: «... فلا يظهر على غيبه إظهاراً تاماً، وكشفاً جلياً، إلا لرسول يوحى إليه مع ملك وحفظة، ولذلك قال: «فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً»... وأما الكرامات فهي من قبيل التلويع واللمحات». اهـ الفتح: (٤٤٦/١٣).

إليهم، ولا يغترّ بصدقهم في بعض الأمور، ولا بكثرة من يجيء إليهم ممّن ينسب إلى العلم، فإنّهم غير راسخين في العلم، بل من الجهّال بما في إتيانهم من المحذور<sup>(١)</sup>.

### فائدتان:

#### الفائدة الأولى:

قال الإمام ابن أبي جمرة الأندلسي رحمه الله تعالى:

«يؤخذ من كون الكتاب المذكور فوق العرش، أنّ الحكمة اقتضت أن يكون العرش حاملاً لما شاء الله من أثر حكمة الله وقدرته وغامض غيبه، ليستأثر هو بذلك من طريق العلم والإحاطة، فيكون من أكبر الأدلة على انفراد بعلم الغيب<sup>(٢)</sup>. اهـ.

#### الفائدة الثانية:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

«... ونقل ابن التّين عن الداودي أنّه أنكر على الطبري دعواه أنّه بقي من الدنيا من هجرة المصطفى نصف يوم، وهو خمسمائة عام، قال: وتقوم الساعة ويعود الأمر إلى ما كان عليه قبل أن يكون شيء غير الباري تعالى، فلا يبقى غير وجهه، فردّ عليه بأنّ وقت الساعة لا يعلمها إلّا الله، فالذي قاله مخالف لصريح القرآن والحديث، ثمّ تعقّب من جهة أخرى، وذلك أنّه توهم من كلامه أنّه ينكر البعث فأقدم على تكفيره، وزعم أن كلامه لا يحتمل تأويلاً، وليس كما قال، بل مراد الطبري أن يصير الأمر - أي بعد فناء المخلوقات كلّها - على ما كان عليه أولاً، ثمّ يقع البعث والحساب، هذا الذي حمل كلامه عليه، وأمّا إنكاره عليه

(١) من كلام الإمام القرطبي رحمه الله تعالى، انظر فتح الباري: (٤٤٦/١٠).

(٢) فتح الباري: (٥٠٥/١٣).

استخراج وقت الساعة فهو معذور فيه، ويكفي في الردّ عليه أنّ الأمر وقع بخلاف ما قال، قد مضت خمسمائة ثمّ ثلاثمائة وزيادة، لكنّ الطبري تمسّك بحديث أبي ثعلبة رفعه: «لن يعجز هذه الأمة أن يؤخرها الله نصف يوم» الحديث، أخرجه أبو داود وغيره، لكنّه ليس صريحاً في أنّها لا تؤخر أكثر من ذلك، والله أعلم<sup>(١)</sup>. اهـ.

ثمّ اعلم أنّ من جملة ما استأثر الله بعلمه علم القضاء والقدر، الذي يجب الإيمان به وعدم التنقيب عليه، فناسب أن يذكره المصنف الشيخ ابن باديس رحمه الله تعالى بعد هذا الفصل، كما قال زيد بن أسلم رحمه الله تعالى في قوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، قال: «بالقدر»<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق: (٦٥٣/٨، ٦٥٤)، وانظر رحمك الله كيف عذر الحافظ رحمه الله تعالى الإمام الطبري، وحمل كلامه على أحسن المحامل، وهذا الخلق الرفيع غاب بين أهل الحق إلا من رحم الله.

(٢) انظر تفسير الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: (٣٦/١).

## الإيمان بالقدر

[٥٣] القدر في اللغة هو: الإحاطة بمقدار الشيء، تقول: قدرت الشيء أقدره قدرًا، إذا أحطت بمقداره.

وقدر الله تعالى هو: تعلّق علمه وإرادته أزلًا بالكائنات كلّها قبل وجودها، فلا حادث إلّا وقد قدره الله تعالى، أي سبق به علمه وتقدّمت به إرادته، فكلّ حادث فهو حادث على وفق ما سبق به علم الله، ومضت به إرادته.

لقلوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

ولقلوله ﷺ في حديث سؤال جبريل عليه السلام: «... وتؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره».

[٥٣] «القدر مصدر، تقول: قدرت الشيء، بتخفيف الدال وفتحها، أقدره بالكسر والفتح، قدرًا وقدرًا، إذا أحطت بمقداره»<sup>(١)</sup>.

والقدر أيضاً «اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر، يقال: قدرت الشيء وقدرته بالتشديد والتخفيف، فهو قدر أي مقدور ومقدّر، كما يقال: هدمت البناء، فهو هدم أي مهدم، وقبضت الشيء، فهو قبض، أي مقبوض»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر فتح الباري: (١/١٥٧).

(٢) انظر الاعتقاد للإمام البيهقي رحمه الله تعالى: (ص: ٦٧).

قال الراغب الأصبهاني رحمه الله تعالى:

«القدر بوضعه يدلّ على القدرة وعلى المقدور الكائن بالعلم، ويتضمّن الإرادة عقلاً والقول نقلاً، وحاصله وجود الشيء في وقت، وعلى حال بوفق العلم والإرادة والقول، وقدر الله الشيء بالتشديد: قضاؤه، ويجوز التخفيف»<sup>(١)</sup>.

«والمراد أنّ الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثمّ أوجد ما سبق في علمه أنّه يوجد، فكلّ محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته، هذا هو المعلوم من الدين والبراهين القطعية، وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين»<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«فالإيمان بالقدر: هو الإيمان بتقدم علم الله سبحانه بما يكون من أسباب الخلق وغيرها من المخلوقات، وصدور جميعها عن تقدير منه، وخلق لها خيرها وشرّها»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

وقال الإمام ابن بطة رحمة الله عليه:

وأما القدر فعلى وجهين:

أحدهما: فرض علينا علمه، ومعرفة، والإيمان به، والتصديق بجميعة.

والآخر: فحرام علينا التفكّر فيه، والمسألة عنه، والمناظرة عليه، والكلام لأهله، والخصومة به.

فأما الواجب علينا علمه والتصديق به والإقرار بجميعة، أن نعلم أنّ الخير والشرّ من الله، وأنّ الطاعة والمعصية بقضاء وقدره، وأنّ ما أصابنا لم يكن

(١) انظر فتح الباري: (٥٨٢/١١)، ويراجع لسان العرب: (٧٤/٥).

(٢) المرجع نفسه: (١٥٨/١).

(٣) كتاب الاعتقاد: (ص: ٦٧).

ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، وأنَّ الله خلق الجنَّة وخلق لها أهلاً، علمهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، ووفقههم لأعمال صالحة رضيها، أمرهم بها فوفقههم لها، وأعانهم عليها، وشكرهم بها، وأثابهم الجنة عليها تفضلاً منه ورحمة.

وخلق النار وخلق لها أهلاً أحصاهم عدداً، وعلم ما يكون منهم، وقدر لهم ما كرهه لهم خذلهم بها، وعذبهم لأجلها غير ظالم لهم، ولا هم معذرون فيما حكم عليهم به، فكلَّ هذا وأشباهه من علم القدر الذي لزم الخلق علمه والإيمان به، والتسليم لأمر الله وحكمه وقضائه وقدره، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون...

وأما الوجه الآخر من علم القدر، الذي لا يحلَّ النظر فيه ولا الفكر به، وحرام على الخلق القول، فيه كيف؟ ولم؟ وما السبب؟ ممَّا هو سرُّ الله المخزون، وعلمه المكتوم، الذي لا يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا، وحجب العقول عن تخيُّل كنه علمه، والنَّاظر فيه كالنَّاظر في عين الشمس، كلِّما ازداد فيه نظراً، ازداد فيه تحيُّراً، ومن العلم بكيفيتها بعداً.

فهو التفكُّر في الربِّ عزَّ وجلَّ، كيف فعل كذا وكذا، ثمَّ يقيس فعل الله عزَّ وجلَّ بفعل عباده، فما رآه من العباد جوراً يظنُّ أنَّ ما كان من فعل مثله جور، فينفي ذلك الفعل عن الله، فيصير بين أمرين:

إمَّا أن يعترف لله عزَّ وجلَّ بقضائه وقدره، ويرى أنَّه جور من فعله.

وإمَّا أن يرى أنَّه ممَّن ينزِّه الله عن الجور، فينفي عنه قضاؤه وقدره، فيجعل مع الله آلهة كثيرة يحولون بين الله وبين مشيئته.

فهذا من علم القدر الذي لا يحلُّ البحث عنه، ولا الكلام فيه، ولا التفكُّر فيه، وبكل ذلك... نزل القرآن، وجاءت السنة، وأجمع المسلمون من أهل التوحيد عليه...<sup>(١)</sup> اهـ.

(١) الإبانة، قسم القدر: (١/٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: هذا الكتاب من ربّ العالمين، فيه أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثمّ أجمل على آخرهم، فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أحداً، وقال: هذا كتاب أهل النار باسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثمّ أجمل على آخرهم، فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أحداً، فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمراً قد فرغ منه؟ فقال: سدّدوا وقاربوا، فإنّ صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أي عمل، وإنّ صاحب النار يختم له بعمل أهل النار، وإن عمل أي عمل، ثمّ قال بيده فنبذها، ثمّ قال: فرغ ربّكم من العباد ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النّبّي ﷺ، قال: «إنّ العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان حتّى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطاه لم يكن ليصيبه»<sup>(٢)</sup>.

قال طاووس رحمه الله تعالى: «أدركت ثلاثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ، يقولون: كلّ شيء بقدر»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أحمد: (١٦٧/٢)، والترمذي في السنن، كتاب القدر، باب: ما جاء أنّ الله كتب كتاباً لأهل الجنة والنار، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة: (٥٨٧/٢)، وابن أبي عاصم في السنة: (١٥٤/١)، والآجزي في الشريعة: (ص: ١٧٣، ١٧٤)، وقال الترمذي رحمه الله تعالى: «حسن صحيح غريب»، وقال الألباني رحمه الله تعالى: «صحيح»، انظر المشكاة: (٣٦/١) والسلسلة الصحيحة: (٥٢٨/٢).

وقال الإمام ابن الأثير رحمه الله تعالى: «أجملت الحساب، إذا جمعته وكملت أفرادها، أي جمعوا، يعنى أهل الجنة والنار عن آخرهم، وعقدت جملتهم، فلا يتطرق إليها زيادة ولا نقصان». انظر جامع الأصول: (١٠٨/١٠).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: (٢٤٦)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه اللالكائي: (٦٤٠/٤) برقم: ١٠٢٧.

وقال أيوب السخيتاني رحمه الله تعالى: «أدركت الناس وما كلامهم إلا: وإن قضى وإن قدر»<sup>(١)</sup>.

«وهو مذهب أهل السنة والجماعة يتوارثونه خلفاً عن سلف، من لدن رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب»<sup>(٢)</sup>.

هذا، وللقضاء والقدر أربع مراتب، يجب الإيمان بجميعها وهي:

١ - علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها، وعلمه بما لم يكن لو كان كيف يكون.

٢ - كتابته لها قبل كونها.

٣ - مشيئته لها، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع في ملك الله إلا ما يريد.

٤ - خلقه سبحانه تعالى لجميع الأعمال وتكوينه وإيجاده لها.

ثم اعلم أخي المسلم - بارك الله فيك - أن القدر سرّ من أسرار الله تعالى، كما سئل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن القدر، فقال: «شيء أراد الله ألا يطلعكم عليه، فلا تريدوا من الله ما أبي عليكم»<sup>(٣)</sup>.

وعن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى، قال: «من أحب أن يفرح بالله، ويتمتع بعبادة الله، فلا يسألن عن سرّ الله - يعني القدر -»<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق: (٥٩٢/٣).

(٢) المرجع نفسه: (٥٩٤/٣)، وقال أبو الأسود الديلي رحمه الله تعالى: «ما رأينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت القدر» (٦٤٦/٤)، وانظر: شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي: (٧٣٣/٤) لتقف على أقوال الصحابة رضوان الله عليهم، و(٧٥١/٤) لتقف على أقوال التابعين لهم بإحسان رحمهم الله تعالى.

(٣) الإبانة لابن بطة رحمه الله تعالى، قسم القدر: (٢٤٣/١) رقم: ١٢٨٠.

(٤) المرجع نفسه: (٢٤٣/١)، رقم: ١٢٨٢.

ولهذا قال الإمام الآجري رحمه الله تعالى :

«لا يحسن بالمسلمين التنقيير والبحث عن القدر، لأن القدر سرّ من سرّ الله، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شرّ واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضلّ عن طريق الحقّ... هذا مذهب المسلمين، وليس لأحد على الله حجة، بل لله الحجة على خلقه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

«والتعمّق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلّم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كلّ الحذر من ذلك، نظراً، وفكراً، ووسوسة، فإنّ الله تعالى طوى علم القدر على أنامه، ونهاهم عن مراهمه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فمن سأل لِمَ فعل؟ فقد ردّ حكم الكتاب، ومن ردّ حكم الكتاب كان من الكافرين»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ولهذا قال الإمام أبو المظفر بن السمعاني رحمه الله تعالى :

«... قد ذكرنا أنّ سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من قبل الكتاب والسنة دون محض القياس ومجرد المعقول، فمن عدل عن التوقيف في هذا الباب ضلّ وتاه في بحار الحيرة»<sup>(٣)</sup>، ولم يبلغ شفاء النفس ولا وصل إلى ما يطمئن به القلب، وذلك لأنّ القدر سرّ من سرّ الله، وعلم من علمه ضربت دونه الأستار،

(١) الشريعة: (٢/٦٩٨).

(٢) من كلام الإمام الطحاوي رحمه الله، انظر العقيدة الطحاوية شرح وتعليق للألباني: (ص: ٥٠)، والخوض في القدر أمّ كل بلية كما قال المعلمي رحمه الله، التنكيل: (٢/٢٤٦).

(٣) سئل مسلم بن يسار رحمه الله تعالى عن القدر، فقال: «واديان عميقان لا يدرك غورهما، قف عند أدناه، واعمل عمل رجل يعلم أنه يجزى بعمله، وتوكل توكل رجل يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له». انظر الإبانة لابن بطة رحمه الله تعالى قسم القدر: (١/٢٤٢).

وكفّت عليه الأزرار، واختصّ الله به علام الغيوب<sup>(١)</sup>، حجبه عن عقول البشر ومعارفهم، لما علم من الحكمة، وسبيلنا أن ننتهي إلى ما حدّ لنا فيه، وأن لا نتجاوز إلى ما وراءه، فالبحث عنه تكلف، والاقترحام فيه تعمق وتهوّر.

وجماع هذا الباب أن يعلم أنّ الله تعالى طوى عن العالم علم ما قضاه وقدره على عباده، فلم يطلع عليه نبياً مرسلأ ولا ملكاً مقرباً، لأنّه خلقهم ليعبّدهم ويمتحنهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥١)، وقد نقلنا عن علي عليه السلام أنه خلقهم ليأمرهم بالعبادة<sup>(٢)</sup>.

فلو كشف لهم عن سرّ ما قضى وقدر لهم وعليهم في عواقب أمورهم لافتتنوا، وفتروا عن العمل، واتكلوا على مصير الأمر في العاقبة، فيكون قصاراهم عند ذلك أمن وقنوط، وفي ذلك بطلان العبادة، وسقوط الخوف والرجاء، فلطف الله سبحانه بعباده، وحجب عنهم علم القضاء والقدر، وعلقهم بين الخوف والرجاء، والطمع والوجل، ليبلّو سعيهم واجتهادهم، وليميز الله الخبيث من الطيب، والله الحجة البالغة<sup>(٣)</sup> اهـ.

وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى:

«وهذا التعمّق هو المراد - والله أعلم - بقوله ﷺ: «...وإذا ذكر القدر فامسكوا»، وهو حديث صحيح، روي عن جمع من الصحابة، وقد خرّجته في

(١) وذلك أنّ الله تعالى علم علماً علمه العباد، وعلم علماً لم يعلمه العباد، فمن يطلب العلم الذي حجبه تعالى عن العباد لم يزد إلا بعداً. راجع ذم التأويل للإمام ابن قدامة رحمه الله تعالى: (ص: ٢٣٣)، وجامع بيان العلم وفضله للحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى، فقرة رقم: ١٨٠٤.

(٢) راجع معنى الآية تفسير ابن كثير: (٢١٣/٤).

(٣) انظر الحجة في بيان المحجة: (٢/٣٠، ٣١)، وراجع فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٥٨٢/١١).

الصحيحة: [٢٤]...<sup>(١)</sup> اهـ.

«وهذا الذي قرره أهل العلم في معرفة القدر، يضع لنا عدّة قواعد في غاية الأهمية:

الأولى: وجوب الإيمان بالقدر.

الثانية: الاعتماد في معرفة القدر وحدوده وأبعاده على الكتاب والسنة، وترك الاعتماد في ذلك على نظر العقول، ومحض القياس.

الثالثة: ترك التعمّق في البحث في القدر، وهذا صيانة للعقل، لا حجراً عليه...<sup>(٢)</sup>.

ثم إنَّ للعبد «في حال المقدور حالان: حال قبل القدر، وحال بعده. فعليه قبل المقدور أن يستعين بالله ويتوكّل عليه ويدعوه، فإذا قدّر المقدور بغير فعله، فعليه أن يصبر عليه أو يرضى به<sup>(٣)</sup>، وإن بفعله وهو نعمة، حمد الله على ذلك، وإن كان ذنباً استغفر إليه من ذلك»<sup>(٤)</sup>.

(١) العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق: (ص: ٥٠)، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «وقد أخرج الطبراني بسند حسن من حديث ابن مسعود رفعه: إذا ذكر القدر فأمسكوا». فتح الباري: (٥٨٢/١١).

(٢) القضاء والقدر للدكتور الأشقر حفظه الله تعالى: (ص: ٤٨).

(٣) قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: «والفرق بين الرضا والصبر، أنّ الصبر كفت النفس وحبسها عن التسخط مع وجود الألم، وتمني زوال ذلك، وكفت الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع، والرضا انشراح الصدر وسعته بالقضاء، وترك تمني زوال ذلك المؤلم وإن وجد الإحساس بالألم، لكن الرضا يخففه لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرضا، فقد يزول الإحساس بالألم بالكلية». اهـ جامع العلوم والحكم: (٤٨٧/١، ٤٨٨).

(٤) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (٧٦/٨).

## فائدة:

قال العلامة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

«وأما وصف القدر بالشرّ، فالمراد به شرّ المقدور، ولا شرّ القدر الذي هو فعل الله، فإنّ فعل الله عزّ وجلّ ليس فيه شرّ، كلّ أفعاله خير وحكمة، لكن الشرّ في مفعولاته ومقدوراته، فالشرّ هنا باعتبار المقدور والمفعول، أما باعتبار الفعل فلا، ولهذا قال النبي ﷺ: «...والشرّ ليس إليك»...<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى:

«اعلم أنّه لا ينافي هذا قوله ﷺ في دعاء الاستفتاح: «والخير كلّ بيدك،

(١) شرح العقيدة الواسطية: (٧٠/١)، (١٩١/٢)، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه في صلاة المسافرين، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه برقم: (٧٧١)، وأبو داود: (٧٦٠)، والنسائي: (١٣٠/٢)، وأحمد: (٧٢٩)، وابن حبان: (٤٤٥)، من حديث علي عليه السلام.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «وأما قوله: والشرّ ليس إليك، فمما يجب تأويله، لأنّ مذهب أهل الحق أنّ كلّ المحدثات فعل الله تعالى وخلقها، سواء خيرها وشرّها، وحيث يجب تأويله وفيه خمسة أقوال:

أحدها: معناه، لا يتقرّب به إليك، قاله الخليل بن أحمد، والنضر بن شميل، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين، وأبو بكر بن خزيمة، والأزهري، وغيرهم.

والثاني: حكاه الشيخ أبو حامد عن المزني، وقاله غيره أيضاً، معناه: لا يضاف إليك على انفراده، لا يقال: يا خالق القردة والخنازير، ويا ربّ الشرّ، ونحو هذا، وإن كان خالق كلّ شيء وربّ كلّ شيء، وحيث يدخل الشرّ في العموم.

والثالث: معناه، والشرّ لا يصعد إليك، إنّما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح.

والرابع: معناه، والشرّ ليس شرّاً بالنسبة إليك، فإنك خلقت بحكمة بالغة، وإنما هو شرّ بالنسبة إلى المخلوقين.

والخامس: حكاه الخطابي أنه كقولك: «فلان إلى بني فلان، إذا كان عداده فيهم أو صفوه إليهم». انظر شرح صحيح مسلم: (٣١٧/٣)، طبعة دار أبي حيان بمصر.

والشر ليس إليك» رواه مسلم، لأنّ المعنى: فإنّك لا تخلق شرّاً محضاً، بل كلّ ما يخلقه فيه حكمة، هو باعتبارها خيراً، ولكن قد يكون فيه شرّ لبعض الناس، فهذا الشرّ جزئي إضافي، فأما شرّ كلّي أو شرّ مطلق، فالربّ سبحانه وتعالى منزّه عنه... وراجع التفاصيل إن شئت في شفاء العليل لابن القيم رحمه الله تعالى، ومنه تعلم كذب من نسب إليّ أنّ للشرّ خالقاً غير الله تعالى<sup>(١)</sup>.

ولا تجزع أخي المسلم لما قاله أهل العلم من وجوب تأويل معنى الشر في الحديث السابق الذكر، وذلك أنّهم لم يريدوا ترك كلّ ما يسمّى تأويل، وإنّما مرادهم ذم التأويل الفاسد وأهله.

يقول الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى:

«فالتأويل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل الخبر هو عين المخبر به، وتأويل الأمر نفس الأمر المأمور به، كما قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه: «سبحانك اللهم ربّنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأول القرآن<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ

(١) انظر العقيدة الطحاوية شرح وتعليق: (ص: ٦٥).

(٢) أخرجه البخاري: (٨١٧ - ٤٩٦٨)، ومسلم: (٤٨٤)، وأبو داود: (٨٧٧)، وابن ماجه: (٨٨٩)، والنسائي: (٢/١٩٠، ٢١٩)، وأحمد: (٦/٢٣٠).

ومثله قوله ﷺ في دعائه لابن عباس رضي الله عنهما: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، أخرجه أحمد: (١/٢٦٦، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥)، والطبراني في الكبير: (١٠٦١٤)، وقد عزاه ابن أبي العز في شرح الطحاوية للبخاري وهذا خطأ منه رحمه الله تعالى، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «... وذكر الحميدي في الجمع أنّ أبا مسعود ذكره في أطراف الصحيحين بلفظ: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، قال الحميدي: وهذه الزيادة ليست في الصحيحين، قلت: وهو كما قال، نعم هي في رواية سعيد بن جبير... عند أحمد وابن حبان والطبراني، ورواها ابن سعد من وجه آخر عن عكرمة مرسلًا. فتح الباري: (١/٢٢٤). وقال: «... وهذه اللفظة اشتهرت على الألسنة: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، حتى نسبها بعضهم للصحيحين ولم =

يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِيكَ شَوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴿[الأعراف: ٥٣]، ومنه تأويل الرؤيا وتأويل العمل، كقوله: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦]، وقوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢]، فمن ينكر وقوع مثل هذا التأويل، والعلم بما تعلق بالأمر والنهي منه؟!

وأما ما كان خبراً، كالإخبار عن الله واليوم الآخر، فهذا قد لا يعلم تأويله الذي هو حقيقته إذ كانت لا تعلم بمجرد الأخبار، فإنَّ المخبر إن لم يكن قد تصوّر المُخبر به، أو ما يعرفه قبل ذلك، لم يعرف حقيقته التي هي تأويله بمجرد الأخبار، وهذا هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، لكن لا يلزم من نفي العلم بالتأويل نفي العلم بالمعنى الذي قصد المخاطب إفهام المخاطب إياه، فما في القرآن آية إلا وقد أمر الله بتدبرها، وما أنزل آية إلا وهو يحب أن يعلم ما عني بها، وإن كان من تأويله ما لا يعلمه إلا الله، فهذا معنى التأويل في الكتاب والسنة وكلام السلف، سواء كان هذا التأويل موافقاً للظاهر أو مخالفاً له.

والتأويل في كلام كثير من المفسرين، كابن جرير ونحوه، يريدون به تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالف، وهذا اصطلاح معروف، وهذا التأويل كالتفسير، يحمد حقّه، ويردّ باطله<sup>(١)</sup>.

وقال رحمه الله تعالى:

= يصب، والحديث عند أحمد بهذا اللفظ من طريق ابن خيثم، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، وعند الطبراني من وجهين آخرين، وأوله في هذا الصحيح من طريق عبيد الله بن أبي يزيد، عن ابن عباس، دون قوله: «وعلمه التأويل»، وأخرجها البزار من طريق شعيب بن بشر، عن عكرمة: اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل. اهـ فتح الباري: (١٢٧/٧).

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (١/٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤).

.....

«التأويل الصحيح منه الذي يوافق ما دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما خالف ذلك فهو تأويل فاسد...»<sup>(١)</sup>.

فعلى هذا يتنزل كلام الأئمة رحمه الله تعالى، والله تعالى أعلم.

(١) المرجع السابق: (١/٢٥٦).

[٥٤] وكما سبق قدر الله للأشياء قبل أن يخلقها، كذلك كتبها في اللوح المحفوظ قبل خلقها، لقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝٢٣﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

ولحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: كتب الله مقادير الخلائق<sup>(١)</sup> قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء»، رواه مسلم<sup>(٢)</sup>.

[٥٤] يعتقد أهل السنة والجماعة أن الإيمان بالقضاء والقدر لا يتم إلا بأربعة أمور، وهي مراتبه وأركانه، ومنها الكتابة للمقدور، وهي الإيمان بأن الله كتب ما سبق به علمه من مقادير المخلوقات في اللوح المحفوظ كما مر معنا في الفقرة السابقة<sup>(٣)</sup>، دلّ على ذلك الكتاب والسنة الصحيحة وقد ذكر بعضها المصنف رحمه الله تعالى.

(١) في (ح) «كتب الله مقادير الأشياء - أي الخلائق - ...».

(٢) في كتاب القدر، باب: حجاج آدم موسى عليه السلام: (٢٠٣/١٦) نووي، والترمذي: (٢٢٤٥) تحفة، وأحمد: (١٦٩/٢)، والبيهقي في الاعتقاد: (ص: ٦٩)، وفي الأسماء والصفات: (٧٩٨)، بلفظ: «قدّر الله المقادير»، و(٧٩٩) بلفظ: «فرغ الله عز وجل من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والأرض...» وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: (٧٧٤/٢)، وأخرجه الخطيب في التاريخ: (٢٥٢/٢)، والآجري في الشريعة: (ص: ١٧٦)، والبغوي في شرح السنة: (٦٧).

(٣) واذكر هنا كلاماً للإمام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى، قال: «... عندهم - أي أهل السنة والجماعة - أربع مراتب جاءهم بها نبيهم، وأخبر بها عن ربّه تعالى، الأولى: علمه السابق بما هم عاملون قبل إيجادهم. الثانية: كتابة ذلك في الذكر عنده قبل خلق السموات والأرض. الثالثة: مشيئته المتناولة لكل وجود، فلا خروج لكائن عن مشيئته، كما لا خروج له عن علمه. الرابعة: خلقه له وإيجاده وتكوينه، =

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «...رفعت الأقلام وجفّت الصحف»<sup>(١)</sup>.

وعن جابر رضي الله عنه أن رجلاً قال: «يا رسول الله، فيم العمل اليوم، أفيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل؟ قال: لا، بل فيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير، قال: ففيم العمل؟ قال: اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له»<sup>(٢)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أن النّبي ﷺ، قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منقوسة إلّا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلّا كتبت شقيّة أو سعيدة...»<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه، قال لي النّبي ﷺ: «جفّ القلم بما أنت لاق»<sup>(٤)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

«قوله: جفّ القلم، أي فرغت الكتابة، إشارة إلى أن الذي كتب في اللوح

= فإنه لا خالق إلا الله، والله خالق كلّ شيء...». اهـ طريق الهجرتين وباب السعادتين: (ص: ١١٢).

(١) سبق تخريجه من حديث ابن عباس رضي الله عنه: (ص: ٢٤١)، وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: «هو كناية عن تقدّم كتابة المقادير كلها، والفراغ منها من أمد بعيد، فإنّ الكتاب إذا فرغ من كتابته ورفعت الأقلام عنه وطال عهده، فقد رفعت عنه الأقلام، وجفّت الأقلام التي كتب بها من مدادها، وجفّت الصحيفة التي كتب فيها بالمداد المكتوب به فيها، وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها، وقد دلّ الكتاب والسنن الصحيحة الكثيرة على مثل هذا المعنى». جامع العلوم والحكم: (١/ ٤٨٢ - ٤٨٣).

(٢) أخرجه مسلم: (٢٦٤٨).

(٣) سيأتي تخريجه إن شاء الله تعالى: (ص: ٢٩٧).

(٤) أخرجه البخاري: (٥٠٧٦)، وذكره معلقاً في كتاب القدر، انظر فتح الباري: (١١/ ٥٩٨)، وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «وصله الإسماعيلي والجوزقي والفريابي في كتاب القدر».

المحفوظ لا يتغير حكمه، فهو كناية عن الفراغ من الكتابة، لأنّ الصحيفة حال كتابتها تكون رطبة أو بعضها، وكذلك القلم، فإذا انتهت الكتابة جفت الكتابة والقلم.

وقال الطيّبي: هو من إطلاق اللازم على الملزوم، لأنّ الفراغ من الكتابة يستلزم جفاف القلم.

قلت: وفيه إشارة إلى أنّ كتابة ذلك انقضت من أمد بعيد...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى:

«وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها، وقد دلّ الكتاب والسنن الصحيحة الكثيرة على مثل هذا المعنى»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقال الإمام ابن بطل رحمه الله تعالى:

«كلّ ما كتبه الله على آدمي فهو قد سبق في علم الله، وإلاّ فلا بد أن يدركه المكتوب عليه، وإنّ الإنسان لا يستطيع أن يدفع ذلك عن نفسه إلاّ أنّه يلام إذا وقع ما نهى بحجب ذلك عنه وتمكينه من التمسك بالطاعة»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

ثمّ اعلم أخي المسلم أنّ «كتاب الله ولوحه وقلمه من غيبه، ومن علمه الذي يلزمنا الإيمان به، ولا يلزمنا معرفة صفته، وإنّما خوطبنا بما عهدنا فيما فرغنا من كتابته أنّ القلم يصير جافاً للاستغناء عنه»<sup>(٤)</sup>.

وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى عن اللوح:

«وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾

(١) فتح الباري: (٥٩٨/١١).

(٢) جامع العلوم والحكم: (٤٨٢/١)، (٤٨٣).

(٣) فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٦١٣/١١).

(٤) من كلام القاضي عياض رحمه الله تعالى، انظر فتح الباري: (٥٩٨/١١).

[البروج: ٢٢]، وهو من الغيب الذي يجب الإيمان به، ولا يعرف حقيقته إلا الله، واعتقاد أن بعض الصالحين يطلعون على ما فيه كفر بالآيات والأحاديث المصرحة بأنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى<sup>(١)</sup>. اهـ.

### فائدة:

قال الإمام المباركفوري رحمه الله تعالى شارحاً قوله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق...» الحديث، قال:

«قال بعض الشراح: أي أمر الله القلم أن يثبت في اللوح ما سيوجد من الخلائق ذاتاً، وصفة، وفعلاً، وخيراً، وشرّاً على ما تعلقت به إرادته»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى:

«قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره، لا أصل التقدير، فإنّ ذلك أولي لا أول له، وقوله: «وعرشه على الماء»، أي: قبل خلق السموات والأرض، والله أعلم»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

(١) العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق: (ص: ٥٣).

(٢) تحفة الأحوذى: (٦/ ٣٧٠).

(٣) شرح صحيح مسلم: (٨/ ٤٥٤).

## العمل بالشرع والجد في السعي مع الإيمان بالقدر

[٥٥] الشرع معلوم لنا، وضعه الله لنسير عليه أعمالنا<sup>(١)</sup>، والقدر مغيب عنا، أمرنا الله بالإيمان به لأنه من مقتضى كمال العلم، والإرادة من صفات ربنا، فالقدر في دائرة الاعتقاد، والشرع في دائرة العمل.

وعلينا أن نعمل بشرع الله، ونتوسل إلى المسببات المشروعة بأسبابها، ونؤمن بسبق قدر الله تعالى، فلا يكون إلّا ما قدره<sup>(٢)</sup> منها، فمن سبقت له السعادة يسّر لأسبابها، ومن سبقت له الشقاوة يسّر لأسبابها.

لحديث علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه مخرصة فنكس فجعل ينكت بمخرصته، ثم قال: ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلّا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلّا كتبت شقية أو سعيدة، فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان من أهل السعادة، فسيصير إلى السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة، فسيصير إلى الشقاوة؟ فقال: اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فسييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥ - ١٠]»، رواه البخاري ومسلم<sup>(٣)</sup>.

(١) في (ح) «وضعه الله لنسير عليه في أعمالنا».

(٢) في (ح) «إلا ما قدره الله منها».

(٣) أخرجه البخاري: (٤٩٤٥ - ٤٩٤٦ - ٤٩٤٧ - ٤٩٤٨ - ٤٩٤٩)، ومسلم في القدر: =

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «قال رسول الله ﷺ: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت... كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»، رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

[٥٥] إن الامتثال لأوامر الله تعالى وشرعه هو قيام بموجب العبودية، والإيمان بالقضاء والقدر من صفات عباد الله المؤمنين المتقين، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ هَدَىٰ رَبُّهُمْ لَا يَكْتَبُ لَهُمْ سُوَءُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ١ - ٢]، فالمؤمن مطالب بالقيام بحقوق العبودية، والإيمان بما أخبر الله ورسوله به من علم الغيب.

وإن الإيمان بالقدر، وسبق الكتاب، وفراغ الأمر، لا ينافي القيام بحق العبودية، فإن ذلك من صفات أهل البدع والضلالات، بل الواجب الحرص على

= (١٦/١٩٦، ١٩٧ نووي)، والترمذي: (٢٢١٩ - ٣٤٠٢ تحفة)، وأبو داود: (٤٦٩٤) وابن ماجه: (٧٨)، وأحمد: (٨٢/١، ١٢٩)، وابن حبان: (٣٣٥ - ٣٣٦ الإحسان)، والبغوي في شرح السنة: (٧٢)، وغيرهم.

قال أبو عبيد رحمه الله تعالى: [المختصرة: ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو عنزة، ومنه أن يمسك الرجل بيد صاحبه، فيقال: فلان مخاصر فلاناً قال الفراء: يقال خرج القوم متخاصرين، إذا كان بعضهم آخذ بيد بعض. قال القتيبي: التخصر إمساك القضيب باليد، والمختصرة: ذلك القضيب، وجمعها مخاصر.

قوله: «نكت بها في الأرض»، أي ضربها بها، قوله ﷺ: «ما من نفس منفوسة»، أي مولودة، يقال: نُفِسَت المرأة ونُفِسَتْ، إذا ولدت، فإذا حاضت قلت: نُفِسَتْ بفتح النون لا غير. قوله: «ميسر»، أي: مهياً ومصروف إليه] انظر شرح السنة للإمام البغوي: (١٣٢/١، ١٣٣).

(١) في القدر: (١٦/٢١٥ نووي)، وابن ماجه: (٧٩ - ٤١٦٨)، وأحمد: (٣٦٦/٢، ٣٧٠)، والبيهقي في السنن: (٨٩/١٠)، وفي الأسماء والصفات: (٣٣٣)، وابن حبان: (٥٦٩١) - ٥٦٩٢ الإحسان)، والحميدي في المسند: (١١١٤)، وابن أبي عاصم في السنة: (٣٥٦)، وغيرهم.

.....

ما ينفع، وهو التقرب إلى الله تعالى بالطاعات والقيام بموجب العبودية.

وذلك أن قول الصحابة رضي الله عنهم: «أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل»، «مطالبة منهم بأمر يوجب تعطيل العبودية، وذلك أن إخبار النبي ﷺ عن سابق الكتاب، إخبار عن غيب علم الله سبحانه وتعالى فيهم، وهو حجة عليهم، فرام القوم أن يتخذوه حجة لأنفسهم في ترك العمل، فأعلمهم النبي ﷺ أن ها هنا أمرين لا يبطل أحدهما الآخر:

باطن هو العلة الموجبة في حكم الربوبية، وظاهر هو السمة اللازمة في حق العبودية، وهو أمانة مخيلة غير مفيدة حقيقة العلم، ويشبه أن يكون - والله أعلم - أنما عوملوا بهذه المعاملة، وتعبدوا بهذا التعبد ليتعلق خوفهم بالباطن المغيب عنهم، ورجاؤهم بالظاهر البادي لهم، والخوف والرجاء مدرجتا العبودية، ليستكملوا بذلك صفة الإيمان، ويبن لهم أن كلاً ميسر لما خلق له، وأن عمله في العاجل دليل مصيره في الآجل، وتلا قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّى﴾ الآيات.

وهذه الأمور في حكم الظاهر، ومن وراء ذلك علم الله عز وجل فيهم، وهو الحكيم الخبير، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وانظر نظيره في أمرين: من الرزق المقسوم مع الأمر بالكسب.

ومن الأجل المضروب في العمر، مع المعالجة بالطب، فإنك تجد المغيب فيهما علة موجبة، والظاهر البادي سبباً مخيلاً، وقد اصطلاح الناس، خواصهم وعوامهم، على أن الظاهر فيهما لا يترك بالباطن<sup>(١)</sup>.

(١) من كلام الإمام الخطابي رحمه الله تعالى، انظر شرح السنة للبغوي: (١/١٣٣)، وراجع شعب الإيمان للإمام البيهقي رحمه الله تعالى: (١/٢٠٦).

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى معلقاً على حديث أبي هريرة: «أحرص على ما ينفعك»، قال:

«فأمره بالحرص على ما ينفعه، وهو طاعة الله ورسوله، فليس للعباد أنفع من طاعة الله ورسوله، وأمره إذا أصابته مصيبة مقدرة أن لا ينظر إلى القدر، ولا يتحسر بتقدير لا يفيد، ويقول قدر الله وما شاء فعل، ولا يقول لو أني فعلت لكان كذا، فيقدر ما لم يقع، يتمنى أن لو كان وقع، فإنّ ذلك إنّما يورث حسرة وحزناً لا يفيد، والتسليم للقدر هو الذي ينفعه»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال رحمه الله تعالى:

«فمن أعرض عن الأمر والنهي، والوعد والوعيد، ناظراً إلى القدر فقد ضل، ومن طلب القيام بالأمر والنهي، معرضاً عن القدر فقد ضل، بل المؤمن كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فنعبده اتباعاً للأمر، ونستعينه إيماناً بالقدر...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقال أيضاً:

«ومن المعلوم أنّ الله تعالى أرسل الرسل، وأنزل الكتب لتصدّق الرسل فيما أخبرت، وتطاع فيما أمرت، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، والإيمان بالقدر من تمام ذلك، فمن أثبت القدر وجعل ذلك معارضاً للأمر فقد أذهب الأصل»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

ولذلك لما سمع الصحابة الكرام قول النبي ﷺ من حديث علي السابق، قالوا: إذا نجتهد، وفي رواية: فالآن نجد، الآن نجد، الآن نجد... ففيه ردّ

(١) الاحتجاج بالقدر: (ص: ٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى: (٧٣/٨).

(٣) المرجع نفسه: (١٠٦/٨).

صريح على الجبرية المتوكلية، الذي يفهمون من الحديث خلاف فهم الصحابة، فتأمل»<sup>(١)</sup>.

وفي الجملة، فـ «إنَّ العبد المؤمن الحصين، لا يترك العمل بدعوى أنَّ قدر الله ماضٍ فيه، بل الواجب عليه أن يأخذ الأمر بقوة، يعمل ما يطلبه الله، ويفكر فيما يفيد وينفعه، ثمَّ يبذل قصارى جده في القيام بأمر الله، وبالأخذ بالأسباب للأمور التي يظن أنَّ فيها نفعه وصلاحه، فإذا لم يوفق فلا يقضي وقته بالتحسر والتأسف، وإنما يقول في هذا الموضع: قدر الله وما شاء فعل»<sup>(٢)</sup>.

فمن «يفقه عن الله مراده في القدر، يعلم أنَّ القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال، بل يدفع إلى الجِدِّ والاجتهاد والحرص على تحصيل ما ينفعه في الدنيا والآخرة، إلَّا أنَّه يجب التنبُّه إلى أنَّ العبد - وإن أخذ بالأسباب -، فإنَّه لا يجوز أن يعتمد عليها ويتوكل عليها، بل الواجب أن يتوكل على خالقها ومنشئها»<sup>(٣)</sup>.

### فائدة:

قال الإمام العلامة السعدي رحمه الله تعالى:

«اعلم أنَّ استعمال العبد للفظه «لو» تقع على قسمين: مذموم ومحمود.

أما المذموم، فكأن يقع منه أو عليه أمر لا يحبه، فيقول: لو أني فعلت كذا كان كذا، فهذا من عمل الشيطان، لأنَّ فيه محذورين:

(١) من كلام العلامة الألباني رحمه الله تعالى، انظر العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق: (ص: ٤٩)، وراجع أقوال الصحابة الكرام، كتاب السنة للإمام ابن أبي عاصم رحمه الله تعالى: (١٦١ - ١٦٢).

(٢) انظر القضاء والقدر للدكتور عمر سليمان الأشقر حفظه الله تعالى (ص: ٨٩).

(٣) نفسه: (ص: ٨٤)، وراجع مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (١٦٧/٨)، (١٧٠).

أحدهما: أنها تفتح عليه باب الندم والسخط والحزن، الذي ينبغي له إغلاقه، وليس فيه نفع.

الثاني: أن في ذلك سوء أدب على الله وعلى قدره، فإن الأمور كلها، والحوادث دقيقتها وجليلها بقضاء الله وقدره، وما قدره من الأمور فلا بد من وقوعه، ولا يمكن رده، فكأن في قوله: لو كان كذا، أو: لو فعلت كذا كان كذا، نوع اعتراض، ونوع ضعف إيمان بقضاء الله وقدره.

ولا ريب أن هذين الأمرين المحذورين لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد إلا بهما.

وأما المحمود من ذلك، فإن يقولها العبد تمنياً للخير، كقوله ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استقبلت، ما سقت الهدى، ولأهللت بالعمرة...»<sup>(١)</sup>...

وكما أن «لو» إذا قالها متمنياً للخير فهو محمود، فإذا قالها متمنياً للشر فهو مذموم، فاستعمال «لو» تكون بحسب الحال الحامل عليها، إن حمل عليها الضجر والحزن وضعف الإيمان بالقضاء والقدر، أو تمنى الشر كان محذوراً. وإن حمل عليها الرغبة في الخير والإرشاد والتعليم، كان محموداً...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

(١) أخرجه البخاري: (١٥٦٨)، ومسلم: (٣٩٦/٤) نووي، من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد: (ص: ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤).

## الاحتجاج بالقدر

[٥٦] لا يحتجّ بالقدر في الذنوب، لأنّ حجة الله قائمة على الخلق بالتمكّن والاختيار والدلالة الشرعية<sup>(١)</sup>، لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠].

[٥٦] «إن المنهج الذي فقهه علماؤنا عن ربنا ونبينا، أنّه يجب علينا أن نؤمن بالقدر، ولكن لا يجوز لنا أن نحتجّ به على ترك العمل، كما لا يجوز لنا أن نحتجّ على مخالفتنا للشرع، وإنّما يحتجّ بالقدر على المصائب دون المعاييب... ولو كان الاحتجاج بالقدر صحيحاً، لأمكن لكلّ واحد أن يقتل ويفسد ويأخذ الأموال ويظلم العباد، فإذا سئل عن أفعاله احتجّ بالقدر، وكلّ العقلاء يعلمون بأنّ هذه الحجة مرفوضة غير مرضية، وإلاّ فإنّ الحياة تفسد»<sup>(٢)</sup>.

يقول الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

«... والله تعالى أمر أن تدفع السيئة - وهي من قدره - بالحسنة - وهي من قدره -، وكذلك الجوع من قدره، وأمر بدفعه بالأكل الذي هو من قدره، ولو استسلم العبد لقدر الجوع مع قدرته على دفعه بقدر الأكل حتّى مات، مات

(١) في (ح) «ولا يحتجّ بالقدر في الذنوب لأن حجة الله قائمة على الخلق بالتمكّن والاختيار، والهداية الفطرية، والهداية الشرعية».

(٢) القضاء والقدر للأشقر: (ص: ٨٨).

عاصياً، وكذلك البرد والحرّ والعطش، كلّها من أقداره، وأمر بدفعها بأقدار تضادّها، والدّافع والمدفوع والدّفع من قدره...

وكذلك المعصية إذا قدّرت عليك وفعلتها بالقدر، فادفع موجبها بالتوبة النصوح، وهي من القدر...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

هذا، وقد يحتجّ محتجّ بقوله ﷺ: «احتجّ آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنّة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخطّ لك بيده، أتلومني على أمر قدّره عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحجّ آدم موسى، فحجّ آدم موسى، ثلاثاً»<sup>(٢)</sup>، ويتّخذ هذا الحديث مسوغاً وذريعة لفعل المعاصي وترك العمل.

«وليس في هذا الحديث للذين يحتجّون بالقدر على القبائح والمعائب، فأدم ﷺ لم يحتجّ بالقضاء والقدر على الذّنب، وموسى ﷺ لم يلّم أباه آدم على ذنب تاب منه، وتاب الله عليه منه واجتبه وهداه، وإنّما وقع اللّوم من موسى على المصيبة التي أخرجت آدم وأولاده من الجنّة، فاحتجّ آدم بالقدر على المصيبة لا على الخطيئة، فإنّ القدر يُحتجّ به عند المصائب، لا عند العايب»<sup>(٣)</sup>.

(١) مدارج السالكين: (١/١٩٩، ٢٠٠).

(٢) رواه البخاري: (٦٦١٤)، ومسلم: (٢٦٥٢)، من حديث أبي هريرة رضى الله عنه، وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «هذا الحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة، وقد روي بإسناد جيّد من حديث عمر رضى الله عنه». مجموع الفتاوى: (٨/١٠٨).

وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «ومتنّ رواه عن النبي ﷺ عمر، عند أبي داود وأبي عوانة، وجندب بن عبد الله عند النسائي، وأبو سعيد عند البزار، وأخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق والحاثر من وجه آخر عنه، وقد أشار إلى هذه الثلاثة الترمذي». فتح الباري: (١١/٥١٥)، وراجع السلسلة الصحيحة: (١٧٠٢).

(٣) انظر القضاء والقدر للأشقر وفقه الله تعالى: (ص: ٩٠)، وراجع شفاء العليل =

قال الإمام ابن عبد البرّ الأندلسي رحمه الله تعالى:

«هذا عندي مخصوص بآدم، لأنّ المناظرة بينهما وقعت بعد أن تاب الله على آدم قطعاً، كما قال تعالى: ﴿فَلَقَّيْنَاهُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ فَنَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]، فحسن منه أن ينكر على موسى لومه على الأكل من الشجرة، لأنّه كان قد تيب عليه من ذلك، وإلاّ فلا يجوز لأحد أن يقول لمن لومه على ارتكاب معصية، - كما لو قتل أو زنى أو سرق - هذا سبق في علم الله وقدره عليّ قبل أن يخلقني، فليس لك أن تلومني عليه، فإنّ الأمة أجمعت على جواز لوم من وقع منه ذلك، بل على استحباب ذلك، كما أجمعوا على استحباب محمّدة من واطب على الطّاعة... وقد حكى ابن وهب في كتاب القدر عن مالك، عن يحيى بن سعيد، أنّ ذلك كان من آدم بعد أن تيب عليه...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال رحمه الله تعالى شارحاً لحديث آدم مع موسى عليه السلام:

«هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق في إثبات القدر، وأنّ الله قضى أعمال العباد، فكلّ أحد يصير لما قدر له بما سبق في علم الله... وليس فيه حجة للجبرية، وإن كان في بادئ الرأي يساعدهم»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام الخطّابي رحمه الله تعالى:

«يحسب كثير من الناس أنّ معنى القضاء والقدر يستلزم الجبر وقهر العبد، ويتوهم أنّ غلبة آدم كانت من هذا الوجه وليس كذلك، وإنّما معناه الإخبار عن

= لابن القيم رحمه الله تعالى: (ص: ٣٥)، ومجموع الفتاوى: (١٠٨/٨).

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (١١/٦٢١، ٦٢٢)، وذكر رحمه الله تعالى عن الإمام أبي الفرج بن الجوزي أنه قال: وخص موسى بالذكر لكونه أول نبي بعث بالتكليف الشديد (١١/٧١٦).

(٢) فتح الباري: (١١/٦٢٠).

إثبات علم الله بما يكون من أفعال العباد، وصدورها عن تقدير سابق منه...<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال المصنف الإمام ابن باديس رحمه الله تعالى:

«قد احتج آدم بالقدر السابق فنهضت حجته، فهل يحتج كل مخالف بالقدر السابق فتنهض حجته؟ كلا، فإنّ الأدلة القطعية... تمنع من ذلك منعاً قاطعاً، والتحقيق أنّ المخالف له حالتان:

حالة التوبة الصادقة التي أسقطت المؤاخذه، وهذه هي حالة آدم التي احتج فيها فنهضت حجته.

وحالة عدم التوبة، وهذه لا حجة فيها بالقدر لوجود المؤاخذه بالعمل المكتسب، وآدم وإن لم يذكر توبته بمقاله، فهي مفهومة من حاله، معروفة بما أنزله الله من كتبه على موسى وغيره»<sup>(٢)</sup>.

وخلاصة هذا الباب، ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أنّ «على العبد أن يؤمن بالقدر، وليس له أن يحتجّ به على الله، فالإيمان به هدى، والاحتجاج به على الله ضلال وغي، بل الإيمان بالقدر يوجب أن يكون العبد صابراً شكوراً، صبوراً على البلاء، شكوراً على الرخاء، إذا أصابته نعمة علم أنّها من عند الله فشكره، سواء كانت النعمة حسنة فعلها، أو كانت خيراً حصل بسبب سعيها، فإنّ الله هو الذي يسرّ عمل الحسنات، وهو الذي تفضل بالثواب عليها، فله الحمد في ذلك كلّ، وإذا أصابته مصيبة صبر عليها، وإن كانت تلك المصيبة قد جرت على يد غيره، فالله هو الذي سلّط ذلك الشخص، وهو الذي خلق أفعاله، وكانت مكتوبة على العبد، كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢)

(١) المرجع السابق: (١١/٦٢٠).

(٢) مجالس التذكير: (ص: ٧٦).

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢ - ٢٣]، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، قالوا هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

وعليه إذا أذنب أن يستغفر ويتوب، ولا يحتج على الله بالقدر، ولا يقول: أيّ ذنب لي، وقد قدر عليّ هذا الذنب، بل يعلم أنه هو المذنب العاصي الفاعل للذنب، وإن كان ذلك كله بقضاء الله وقدره ومشيئته، إذ لا يكون شيء إلاّ مشيئته وقدرته وخلقه، لكنّ العبد هو الذي أكل الحرام وفعل الفاحشة، وهو الذي ظلم نفسه، كما أنه هو الذي صلى وصام وحجّ وجاهد، فهو الموصف بهذه الأفعال، وهو المتحرك بهذه الحركات، وهو الكاسب بهذه المحدثات، له ما كسب وعليه ما اكتسب، والله خالق ذلك وغيره من الأشياء، لما له في ذلك من الحكمة البالغة بقدرته التامة، ومشيئته النافذة، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]، فعلى العبد أن يصبر على المصائب، وأن يستغفر من المعاييب...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال المصنف رحمه الله تعالى:

«دلت الأدلة القطعية أنّ ما يكون من العبد سبق به علم الله، ومضت به إرادته، وكتب عليه قبل أن يخلق، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾.

كما دلت الأدلة القطعية على أنّ الإنسان مؤاخذ بعمله ملوم عليه، لما عنده من التمكن وما له من الاختيار، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، ﴿لَمْ تَقُولُوا

.....

---

مَا لَا تَقْعَلُونَ ﴿١﴾، وَأَنَّهُ لَا مُوَاخَذَةَ عَلَيْهِ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَلَا لَوْمَ، ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾... «(١)».

[٥٧] مع الإيمان بالقدر، يجب الأخذ بالحدز<sup>(١)</sup>، لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا حُدُودًا حِذْرُكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

[٥٧] مراد المصنّف رحمه الله تعالى التنبيه على وجوب الأخذ بالأسباب، فكما أنّ الإيمان بالقدر خيره وشره فرض لازم على كلّ مسلم، فكذلك فعل الأسباب، فإنّ الله تعالى أمر عباده بذلك، وهو الذي أمرهم بأخذ الحدز من عدوهم، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد، وتكثير العدد بالنفير في سبيل الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

ثمّ اعلم أخي المسلم، أنّ هذا الحدز قد ينفع ما لم يبلغ القدر، كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «قد ينفع الحدز ما لم يبلغ القدر، فإذا جاء القدر، حال دون النظر»<sup>(٣)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه، أنّه قال: «قلت يا رسول الله، أرايت عملنا هذا على أمر قد فرغ منه، أم على أمر نستقبله؟ فقال رسول الله ﷺ: بل على أمر قد فرغ منه، قال عمر: ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: كلاً، لا ينال إلاّ بعمل، فقال عمر: إذا نجتهد»<sup>(٤)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«وفي السنن أنّه قيل: يا رسول الله، أرايت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقى بها، وتقاة نتقيها، هل تردّ من قدر الله شيئاً؟ فقال: «هي من قدر الله»<sup>(٥)</sup>.

(١) في (ح) «الحدز مع الإيمان بالقدر، يجب الأخذ بالحدز».

(٢) راجع تفسير الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: (١/٤٦٥).

(٣) انظر كتاب السنة للإمام ابن أبي عاصم رحمه الله تعالى (٢٤٠)، وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في الظلال: «إسناده حسن» (ص: ١٠٧).

(٤) المرجع نفسه: (١٦١)، وقال الألباني: «حديث صحيح».

(٥) أخرجه الترمذي: (٢١٤٤ تحفة)، وابن ماجه: (٣٤٣٧)، من حديث أبي خزيمة، =

ولهذا قال مَنْ قال مِنَ العلماء: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً تغيير في وجه العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال رحمه الله تعالى:

«وذلك لأنَّ الله سبحانه وتعالى هو يعلم الأشياء على ما هي عليه، وكذلك يكتبها، فإذا كان قد علم أنَّها تكون بأسباب من عمل وغيره، وقضى أنَّها تكون كذلك، وقدَّر ذلك، ولم يَجْز أن يظنَّ أنَّ تلك الأمور تكون بدون الأسباب التي جعلها الله أسباباً، وهذا عام في جميع الحوادث.

مثال ذلك، إذا علم الله وعلم أنَّه سيولد لهذين ولد، وجعل الله سبحانه ذلك معلّقاً باجتماع الأبوين على النكاح، وإنزال الماء المهيّن الذي ينعقد منه الولد، فلا يجوز أن يكون وجود الولد بدون السبب الذي علّق به وجود الولد، والأسباب وإن كانت نوعين: معتادة وغريبة - فالمعتادة: كولادة الآدمي من أبوين، والغريبة: كولادة الإنسان من أم فقط، كما ولد عيسى، أو من أب فقط، كما ولدت حوّاء، أو من غير أبوين، كما خلق آدم أبو البشر من طين - فجميع الأسباب قد تقدّم علم الله بها، وكتابته لها، وتقديره إيّاها، وقضاؤه بها، كما تقدّم ربط ذلك بالمسيبات.

كذلك أيضاً الأسباب التي بها يخلق النبات، من إنزال المطر وغيره، من هذا الباب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْزَلْ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

= عن أبيه، عن النبي ﷺ، وحسنه الشيخ الألباني، كما في تخريج أحاديث مشكلة الفقر: (١١)، وذكره في ضعيف ابن ماجة: (٧٤٩)، وضعيف الترمذي: (٣٥٩)، وضعفه في التعليقات الرضية على الروضة الندية: (١٥٢/٣)، ولعلّ هذا آخر ما ذهب إليه، فإنّ الروضة من آخر مؤلفاته.

(١) مجموع الفتاوى: (١٣٨/٨، ١٣٩).

مَوْتَهَا وَبَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴿١﴾، وقال: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴿٢﴾﴾، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴿٣﴾﴾، وأمثال ذلك، فجميع ذلك مقدر معلوم، مقضي مكتوب قبل تكوينه.

فمن ظنَّ أنَّ الشيء إذا علم وكتب أنه يكفي ذلك في وجوده، ولا يحتاج إلى ما به يكون من الفاعل الذي يفعله وسائر الأسباب، فهو جاهل ضالّ ضلالاً مبيناً<sup>(١)</sup>. اهـ.

فإذا تبين لك هذا أخي المسلم، علمت - بلا شك - أنَّ أولئك الذين إذا قيل لهم: اتَّقُوا اللَّهَ وتوبوا إلى الله، قالوا: إذا قدر الله علينا التوبة والهداية، فسيدركنا ذلك لا محالة، ويقعدون عن العمل والاجتهاد في الطاعات، ويظنون أنَّ ذلك من الإيمان بالقدر، في ضلال مبين، مخالفين لنصوص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، فإنَّ «شرَّ الخلق من يحتجَّ بالقدر لنفسه، ولا يراه حجة لغيره يستند إليه في الذنوب والمعائب، ولا يطمئن إليه في المصائب كما قال بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدرى، وعند المعصية جبرى، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به»<sup>(٢)</sup>، وقد أوجب الله تعالى على العباد القيام بما شرع لهم من الشرائع، كما أوجب عليهم الإيمان بالقدر.

قال شيخ الإسلام عن مثل هؤلاء:

«فهؤلاء شرُّ أتباع الشيطان، وليس هو مذهب لطائفة معروفة، ولكن هو حال عامة المحلولين عن الأمر والنهي، إن فعل طاعة أخذ يضيفها إلى نفسه، ويعجب حتّى يحبط عمله، وإن فعل معصية أخذ يعتذر بالقدر، ويحتجّ بالقضاء، وتلك حجة داحضة وعذر غير مقبول.

(١) المرجع السابق: (٢٧٥/٨ - ٢٧٧).

(٢) انظر مجموع الفتاوى: (١٠٧/٨)، والقول الذي ذكره عن بعض أهل العلم، فهو للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى، كما في مجموع الفتاوى: (٤٤٦/٨).

وتراه إذا أصابته مصيبة بفعل العباد أو غيرهم، لا يستسلم للقدر، وتراه إذا ظلم نفسه أو غيره احتجّ بالقدر، ويقول: العبد مسكين، لا قادر ولا معذور، ويقول:

ألقاه في البحر مكتوفاً وقال له إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلِ بِالماء وإن ظلمه غيره ظلماً دون ذلك، أو توهم أنه ظلمه أحد، سعى في الانتقام من ذلك بأضعاف ذلك، ولا يعذر غيره بمثل ما عذر به نفسه من القدر، وهما سواء<sup>(١)</sup>.

[٥٨] القدر كله عدل وحكمة، فما يصيب العباد فهو جزاء أعمالهم، وقد تدرك حكمة القدر ولو بعد حين، وقد تخفى، لأنَّ من أسمائه تعالى: الحكيم، ورد في الآيات والأحاديث الكثيرة<sup>(١)</sup>.

ومن أسمائه تعالى: العدل، ورد في حديث الأسماء عند الترمذي<sup>(٢)</sup>، ولقوله ﷺ في حديث الكرب: «... عدل في قضاؤك».

(١) كلمة «الكثيرة» غير موجودة في (ح)، وقد ذكرت هذه الفقرة في (ح) قبل العمل بالشرع والجد في السعي مع الإيمان بالقدر.

(٢) أخرج البخاري: (٧٣٩٢)، ومسلم: (٢٦٧٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «الله تسعة وتسعون اسماً، من حفظها دخل الجنة، وإنَّ الله وتر يحب الوتر»، هذا لفظ مسلم، وأما لفظ البخاري: «إنَّ الله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة».

وأخرجه الترمذي: (٣٥٧٤ تحفة)، وابن ماجه: (٣٨٦١)، والحاكم: (٤٢ - ٤٤)، عنه رضي الله عنه، وفيه زيادة في آخره: «هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن الرحيم، الملك القدوس...»، وذكر تسعة وتسعين اسماً، وفيها اختلاف شديد.

قال الحافظ رحمه الله تعالى: «... وهذا الحديث رواه عن الأعرج أيضاً موسى بن عقبة، عند ابن ماجه من رواية زهير بن محمد عنه، وسرد الأسماء... وأخرجه الترمذي من رواية الوليد بن مسلم عن شعيب، وسرد الأسماء... ورواه عن النبي ﷺ مع أبي هريرة، سلمان الفارسي، وابن عباس، وابن عمر، وعلي، كلها عند أبي نعيم... بأسانيد ضعيفة... ولم يقع في شيء من طرقه سرد الأسماء، إلا في رواية الوليد بن مسلم عند الترمذي، وفي رواية زهير بن محمد، عن موسى بن عقبة عند ابن ماجه، وهذان الطريقان يرجعان إلى رواية الأعرج، وفيهما اختلاف شديد في سرد الأسماء والزيادة والنقص... واختلف العلماء في سرد الأسماء، هل هو مرفوع أو مدرج في الخبر من بعض الرواة، فمضى كثير منهم مع الأول، واستدلوا به على جواز تسمية الله تعالى بما لم يرد في القرآن بصيغة الاسم، لأنَّ كثيراً من هذه الأسماء كذلك، وذهب آخرون إلى أنَّ التعيين مدرج لخلو أكثر الروايات عنه، ونقله عبد العزيز النخشي عن كثير من العلماء.

قال الحاكم بعد تخريج الحديث من طريق صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بسياق الأسماء الحسنی، والعلة فيه عندهما تفرد =

ولقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبِكُمْ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

= الوليد بن مسلم، قال: ولا أعلم خلافاً عند أهل الحديث أنّ الوليد أوثق وأحفظ وأجل وأعلم من بشر بن شعيب، وعلي بن عياش، وغيرهما من أصحاب شعيب. اهـ يشير إلى أن بشراً وعلياً وأبا اليمان رَوَوْه عن شعيب بدون سياق الأسماء... وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب، وتدليسه واحتمال الإدراج. قال البيهقي: يحتمل أن يكون التعيين وقع من بعض الرواة في الطريقتين معاً، ولهذا وقع الاختلاف الشديد بينهما، ولهذا الاحتمال ترك الشيخان تخريج التعيين.

وقال الترمذي بعد أن أخرجه من طريق الوليد: هذا حديث غريب، حدثنا به غير واحد عن صفوان، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان وهو ثقة، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة، ولا نعلم في شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذه الطريق، وقد روي بإسناد آخر عن أبي هريرة فيه ذكر الأسماء، وليس له إسناد صحيح، اهـ... وقد استضعف الحديث أيضاً جماعة، فقال الداودي: «لم يثبت أنّ النبي ﷺ عين الأسماء المذكورة. وقال ابن العربي: يحتمل أن تكون الأسماء تكملة الحديث المرفوع، ويحتمل أن تكون من جمع بعض الرواة، وهو الأظهر عندي. وقال أبو الحسن القابسي: أسماء الله وصفاته لا تعلم إلا بالتوقيف من الكتاب والسنة والإجماع، ولا يدخل فيه القياس، ولم يقع في الكتاب ذكر عدد معين، وثبت في السنة أنها تسعة وتسعون، فأخرج بعض الناس من الكتاب تسعة وتسعين اسماً، والله أعلم بما أخرج من ذلك، لأن بعضها ليست أسماء، يعني صريحة...» اهـ. فتح الباري: (١١/٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠).

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «... وأما تعيين هذه الأسماء، فقد جاء في الترمذي وغيره في بعض أسمائه خلاف، وقيل إنها مخفية التعيين كالاسم الأعظم وليلة القدر ونظائرها». اهـ انظر شرح صحيح مسلم: (٨/٩) طبعة أبي حيان بمصر.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «... فالحديث الذي فيه ذكر ذلك هو حديث الترمذي، روى الأسماء الحسنی في «جامعه» من حديث الوليد بن مسلم، عن شعيب، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، ورواها ابن ماجة في سننه من طريق مخلد بن زياد القطوفي، عن هشام بن حسان، عن معد بن سيرين، عن أبي هريرة، وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أنّ هاتين الروایتين ليستا من كلام النبي ﷺ، وإنما كلّ منهما من كلام بعض السلف، فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين، كما جاء مفسراً في بعض طرق حديثه، ولهذا اختلفت أعيانها عنه... وهذا كله ممّا يبيّن لك =

= أنها من الموصول المدرج في الحديث عن النبي ﷺ في بعض الطرق وليست من كلامه. اهـ مجموع الفتاوى: (٣٧٩/٦، ٣٨٠).

ولذلك قال الحافظ رحمه الله تعالى: «وإذا تقرر رجحان أن سرد الأسماء ليس مرفوعاً، فقد اعتنى جماعة باتباعها من القرآن، من غير تقيّد بعدد...» اهـ فتح الباري: (١١/٢٦٠).

واعلم أخي المسلم أن أسماء الله تعالى أكثر من العدد المذكور في الحدث، يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «... فإن الذي عليه جماهير المسلمين، أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين، قالوا - ومنهم الخطابي -: إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها، التقيّد بالعدد عائد إلى الأسماء الموصوفة بأنها هي هذه الأسماء.

فهذه الجملة، وهي قوله: «من أحصاها دخل الجنة»، صفة للتسعة والتسعين، ليست جملة مبتدأة، ولكن موضعها النصب، ويجوز أن تكون مبتدأة، والمعنى لا يختلف، والتقدير: إن لله أسماء بقدر هذا العدد، من أحصاها دخل الجنة، كما يقول القائل: إن لي مائة غلام أعددتهم للعتق، وألف درهم أعددتها للحج، فالتقيّد بالعدد هو في الموصوف بهذه الصفة، لا في أصل استحقاقه لذلك العدد، فإنه لم يقل: إن أسماء الله تسعة وتسعون.

قال: ويدل على ذلك قوله في الحديث الذي رواه أحمد في المسند [(٣٩١/١)، (٤٥٢)، والحاكم في المستدرک: (٥٠٩/١)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقال الحاكم بعد تخريج الحديث: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، إن سلم عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه من أبيه» اهـ، وقد سبق ترجيح سماع عبد الرحمن من أبيه، انظر (ص: ١٧٥): «اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك»، فهذا يدل على أن لله أسماء فوق تسعة وتسعين يحصيها بعض المؤمنين.

وأيضاً، فقله: «إن لله تسعة وتسعين»، تقييده بهذا العدد بمنزلة قوله تعالى: ﴿يَسْتَعِثَّرُ﴾، فلما استقلوهم قال: ﴿وَمَا يَفْلَهُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣٠ - ٣١]، فأن لا يعلم أسماءه إلا هو أولى...» اهـ مجموع الفتاوى: (٣٨١/٦).

ثم اعلم أخي المسلم أن الإحصاء في قوله ﷺ: «من أحصاها دخل الجنة»، «يحتمل وجوهاً، أحدها: أن يعدها حتى يستوفيها، يريد أنه لا يقتصر على بعضها، لكن يدعو الله بها كلها، ويشي عليه بجمعها، فيستوجب الموعود عليها من الثواب. ثانيها: المراد =

[٥٨] يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

«إِنَّ كُلَّ مَا فِي الوجود هو مخلوق له، خلقه بمشيئته وقدرته، وما شاء كان

= بالإحصاء، كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]، ومنه حديث: «استقيموا ولن تحصوا»، [أخرجه أحمد: (٢١٨٧٣)، وابن ماجة: (٢٧٧)، والطبراني في الصغير: (٨)، ومالك في الموطأ، كتاب الطهارة، باب: جامع الوضوء، بلاغاً، وقال الإمام ابن عبد البر: يسند ويتصل من طرق صحاح التمهيد: (٣١٨/٢٤)، وصححه الألباني في الإرواء: (٤١٢)]، أي لن تبلغوا كنه الاستقامة، والمعنى: من أطاق القيام بهذه الأسماء والعمل بمقتضاها، وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها، فإذا قال الرزاق وثق بالرزق، وكذلك سائر الأسماء الثلاثة: المراد بالإحصاء: الإحاطة بمعانيها، من قول العرب: فلان ذو حصة، أي ذو عقل ومعرفة...». اه فتح الباري: (٢٧٠/١١).

قال الإمام القرطبي - صاحب المفهم -: «المرجو من كرم الله تعالى أَنْ من حصل له إحصاء هذه الأسماء على إحدى هذه المراتب مع صحة النية أن يدخله الله الجنة، وهذه المراتب الثلاثة للسابقين والصدّيقين وأصحاب اليمين». اه فتح الباري: (٢٧٠/١١).

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «... وأما قوله: «من أحصاها دخل الجنة»، فاختلفوا في المراد بإحصائها، فقال البخاري وغيره من المحققين معناه: حفظها، وهذا هو الأظهر، لأنه جاء مفسراً في الرواية الأخرى...». اه شرح صحيح مسلم: (٨/٧).

وقال الأصيلي: «... الإحصاء للأسماء: العمل بها، لا عدها وحفظها، لأنّ ذلك قد يقع للكافر المنافق كما في حديث الخوارج، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم...». اه فتح الباري: (٤٦٢/١٣).

وقال ابن بطال رحمه الله تعالى: «الإحصاء يقع بالقول ويقع بالعمل، فالذي بالعمل أنّ الله أسماء يختص بها، كالأحد والمتعال والقدير ونحوها، فيجب الإقرار بها والخضوع عندها، وله أسماء يستحب الاقتداء بها في معانيها، كالرحيم والكريم والعفو ونحوها، فيستحب للعبد أن يتحلّى بمعانيها ليؤدي حق العمل بها، بهذا يحصل الإحصاء العملي، وأما الإحصاء القولي، فيحصل بجمعها وحفظها والسؤال بها، ولو شارك المؤمن غيره في العد والحفظ، فإنّ المؤمن يمتاز عنه بالإيمان والعمل بها...». اه فتح الباري: (٤٦٢/١٣).

فيكون الإحصاء يشمل: عدها وحفظها والعمل بها، والله تعالى أعلم.

وما لم يشأ لم يكن، وهو الذي يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعزّز ويذل، ويغني ويفقر، ويضل ويهدي، ويسعد ويشقي، ويولي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، ويشرح صدر من يشاء للإسلام، ويجعل صدر من يشاء ضيقاً كأنما يصعد في السماء، وهو يقلب القلوب، ما من قلب من قلوب العباد إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاعه، وهو الذي حبّب إلى المؤمنين الإيمان وزينه في قلوبهم، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون، وهو الذي جعل المسلم مسلماً، والمصلي مصلياً، قال الخليل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرِّيذًا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾، وقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن دُرِّيذٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا﴾، وقال عن آل فرعون: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْذُوبُونَ إِلَى النُّكَارِ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ ۝١٦ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾، وقال: ﴿وَأَصْنَعَ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، وقال: ﴿وَأَصْنَعَ الْفَلَكَ﴾... وهو سبحانه خالق كلّ شيء وربّه ومليكه، وله فيما خلق حكمة بالغة، ونعمة سابغة، ورحمة عامة وخاصة، وهو لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون، لا لمجرد قدرته وقهره، بل لكمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته، فإنه سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها... (١) (٢) اهـ.

فقد «أحاط ربنا سبحانه وتعالى بكل شيء علماً وقدره وحكمة، ووسع كلّ شيء رحمة وعلماً، فما من ذرة في السموات والأرض، ولا معنى من المعاني إلا وهو شاهد لله تعالى بتمام العلم والرحمة، وكمال القدرة والحكمة.

(١) أخرج البخاري: (٥٩٩٩)، ومسلم: (٢٧٥٤)، عن عمر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها».

(٢) مجموع الفتاوى: (٧٩، ٧٨/٨).

وما خلق الخلق باطلاً، ولا فعل شيئاً عبثاً، بل هو الحكيم في أفعاله وأقواله سبحانه وتعالى، ثم من حكمته ما أطلع بعض خلقه عليه، ومنه ما استأثر سبحانه بعلمه»<sup>(١)</sup>.

«وإذا علم العبد - من حيث الجملة - أن الله فيما خلقه، وما أمر به حكمة عظيمة كفاه هذا، ثم كلما ازداد علماً ازداد إيماناً، ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يبهر عقله»<sup>(٢)</sup>.

«والذي يجب على العبد أن يعلم، أن علم الله وقدرته وحكمته ورحمته في غاية الكمال، الذي لا يتصور زيادة عليها، بل كلما أمكن من الكمال الذي لا نقص فيه، فهو واجب للرب تعالى»<sup>(٣)</sup>.

وقد اتفق السلف على ذلك، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

«... السلف والأئمة كما أنهم متفقون على الإيمان بالقدر، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها، وهم متفقون على إثبات أمره ونهيه، ووعدته ووعيده، وأنه لا حجة لأحد في ترك مأمور، ولا فعل محذور، فهم أيضاً متفقون على أن الله حكيم رحيم، وأنه أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين»<sup>(٤)</sup>. اهـ.

فـ «يكفي العاقل أن يَعْلَمَ أن الله عزَّ وجلَّ عليم حكيم، رحيم، بهرت الأبواب حكمته، ووسعت كل شيء رحمته، وأحاط بكل شيء علمه، وأحصاه

(١) المرجع السابق: (١٩٧/٨).

(٢) المرجع نفسه: (٩٧/٨).

(٣) المرجع نفسه: (٥١٢/٨).

(٤) المرجع نفسه: (٤٦٦/٨)، وقال رحمه الله تعالى: «فله الوجدانية في إلهيته، وله العدل، وله العزة، والحكمة، وهذه الأربعة يثبتها السلف وأتباعهم، فمن قصر عن معرفة السنة، نقص الرب بعض حقه». اهـ (٢١١/٨).

.....

لوحه وقلمه، وأنّ الله تعالى في قدره سرّاً مصوناً، وعلماً مخزوناً، احترز به دون جميع خلقه، واستأثر به على جميع بريته، وإنّما يصل به أهل العلم وأرباب ولايته إلى جمل من ذلك، وقد لا يؤذن لهم في ذكر ما، وربّما كلّم الناس في ذلك على قدر عقولهم، وقد سأل موسى وعيسى وعزير ربّنا تبارك وتعالى عن شيء من سرّ القدر، وأنّه لو شاء أن يطاع لأطيع، وأنّه مع ذلك يعصى، فأخبره سبحانه وتعالى أنّ هذا سرّه<sup>(١)</sup>.

وجماع القول، أنّ القدر «يؤمن به ولا يحتج، فمن لم يؤمن بالقدر ضارع المجوس، ومن احتج به ضارع المشركين، ومن أقرّ بالأمر والقدر، وطعن في عدل الله وحكمته، كان شبيهاً ببليس، فإنّ الله ذكر عنه أنّه طعن في حكمته، وعارضه برأيه وهواه، وأنّه قال: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾»<sup>(٢)</sup>.

### (فصل)

إنّ ممّا لا شكّ فيه، «أنّ من كانت عقيدته الإيمان بالقدر خيره وشرّه، سعد في الدارين، ففي حياته الدنيا يعيش هادئاً مطمئناً، لعلمه أنّ ما يصيبه قد كتبه الله عليه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾، وفي الآخرة لإيمانه بذلك حيث يجد ثوابه.

وعلى الإيمان بالقدر خيره وشره عاش سلفنا الصالح، فكان دافعاً لهم إلى العمل والجهاد في سبيل الله، لإيمانهم بقوله ﷺ: «اعملوا فكلّ ميسر لما خلق له»<sup>(٣)</sup>.

(١) المرجع السابق: (٣٩٩/٨).

(٢) المرجع نفسه: (١١٤/٨).

(٣) من كلام الدكتور الفقيهي وفقه الله تعالى، انظر كتاب الإيمان لابن منده رحمه الله تعالى: (١٢٨/١).

قال الشيخ العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى :

«ومن ثمرات الإيمان بالقدر، أولاً: الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب، لأنَّ السبب والمسبب كلاهما بقضاء الله وقدره.

ثانياً: راحة النفس وطمأنينة القلب، لأنَّه متى علم أنَّ ذلك بقضاء الله تعالى، وأنَّ المكروه كائن لا محالة، ارتاحت النفس، واطمأنَّ القلب، ورضي بقضاء الربِّ، فلا أحد أطيّب عيشاً، وأريح نفساً، وأقوى طمأنينة ممَّن آمن بالقدر.

ثالثاً: طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد، لأنَّ حصول ذلك نعمة من الله لما قدره من أسباب الخير والنجاح، فيشكر الله تعالى على ذلك ويدع الإعجاب.

رابعاً: طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه، لأنَّ ذلك بقضاء الله تعالى الذي له ملك السموات والأرض، وهو كائن لا محالة، فيصبر على ذلك ويحتسب الأجر، وإلى هذا يشير الله تعالى بقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١١) ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٢) «...» (١) اهـ.

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة: (ص: ٤٦، ٤٧)، وانظر القضاء والقدر للأشقر:

## الإيمان بالملائكة ﷺ (١)

[٥٩] الملائكة مخلوقون من النور، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة<sup>(٢)</sup>، ميسرون للطاعات، معصومون من المعاصي، مستخرون بإذن الله في شؤون الخلق وتدبير الكون، وحفظ العباد، وكتابة أعمالهم، وأمناء على الوحي في حفظه وتبليغه.

لحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم ممّا وصف لكم»، رواه مسلم<sup>(٣)</sup>.

ولقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنُّ شُهَدَائِهِمْ وَيُسْتَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩]، ﴿وَمَنْ عِنْدُ لَا

(١) في (ح) «عليهم الصلاة والسلام».

(٢) في (ح) «لا يوصفون بالذكر ولا بالأنوثة» بالتعريف.

(٣) في الزهد: (١٨/١٢٣ نووي)، وأحمد: (٦/١٥٣، ١٦٨)، والبيهقي في السنن: (٩/

٣)، وفي الأسماء والصفات: (٨١٨)، وابن حبان: (٦١٢٢ إحسان)، وعبد الرزاق في المصنف: (٢٠٩٠٤)، وابن منده في الرد على الجهمية: (٧٦)، قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: «وأما ما رواه عبد الله بن أحمد في السنة: (ص: ١٥١)، عن عكرمة قال: خلقت الملائكة من نور العزة، وخلق إبليس من نار العزة»، وعن عبد الله بن عمرو، قال: «خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر». قلت: فهذا كله من الإسرائيليات التي لا يجوز الأخذ بها، لأنها لم ترد عن الصادق المصدوق ﷺ. اهـ انظر السلسلة الصحيحة: (٤٥٨).

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَخِيرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴿[الأنبياء: ١٩ - ٢٠]، ﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٥﴾ وَأَنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الصافات: ١٦٥ - ١٦٦]، ﴿لَا يَسْأَلُونَكَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٧ - ٢٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿فَالْمَقْسَدُ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ [الذاريات: ٤]، ﴿فَالْمُدِيرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾ [النازعات: ٥]، ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿١﴾﴾ [الطارق: ٤]، ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١١]، ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كَرَامًا كَبِيرِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفطار: ١٠ - ١٢]، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [ق: ١٧ - ١٨]، ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كَرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٣ - ١٦]، ﴿إِنَّهُمْ لَقَرَّاءٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٩]، ﴿فَالْمَلَكُوتُ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ﴿٦﴾﴾ [المرسلات: ٥ - ٦]، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

[٥٩] الملائكة، «جمع ملك بفتح اللام، فقليل مخفف عن مالك، وقيل مشتق من الألوكة وهي الرسالة، وهذا قول سيبويه والجمهور، وأصله: لأك، وقيل: أصله: الملك بفتح ثم سكون، وهو الأخذ بقوة، وحينئذ لا مدخل للميم فيه، وأصل وزنه مفعول، فتركت الهمزة لكثرة الاستعمال، وظهرت في الجمع، وزيدت الهاء إما للمبالغة، وإما لتأنيث الجمع...»<sup>(١)</sup>.

والمادة التي خلق منها الملائكة هي النور، كما جاء في الحديث الذي ذكره المصنف رحم الله تعالى، إلا أنه «لم يبين لنا الرسول ﷺ أي هذا النور الذي

.....

خلقوا منه، ولذلك فإننا لا نستطيع أن نخوض في هذا الأمر لمزيد من التحديد، لأنه غيب لم يرد فيه ما يوضحه أكثر من هذا الحديث... ولا ندري متى خلقوا، فالله سبحانه لم يخبرنا بذلك، ولكننا نعلم أن خلقهم سابق على خلق آدم أبي البشر<sup>(١)</sup>.

والإيمان بالملائكة الكرام ﷺ يتضمن معاني، ذكرها الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«أحدها: التصديق بوجودهم.

والآخر: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله وخلقه كالإنس والجنّ، مأمورون مكلفون، لا يقدرّون إلّا على ما يقدرهم الله تعالى عليه، والموت جائز عليهم، ولكن الله تعالى جعل لهم أمداً بعيداً، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى جدّه، ولا يدعون آلهة كما ادّعتهم الأوائل.

والثالث: الاعتراف بأنّ منهم رسل الله، يرسلهم إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض.

ويتبع ذلك الاعتراف بأنّ منهم حملة العرش، ومنهم الصافون، ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب، وقد ورد القرآن بذلك كلّه أو بأكثره...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ويقول الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى:

«وأما الملائكة فهم الموكلون بالسموات والأرض، فكلّ حركة في العالم فهي ناشئة من الملائكة، كما قال تعالى: ﴿فَالْمُدْرِيَاتِ أَمْرًا﴾، ﴿فَالْمَقْسِيَّتِ أَمْرًا﴾،

(١) انظر عالم الملائكة الأبرار للأشقر وفقه الله تعالى: (ص: ٩، ١٠).

(٢) شعب الإيمان: (١/١٦٣).

وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل، وأما المكذبون بالرسول المنكرون للصانع، فيقولون هي النجوم...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال رحمه الله تعالى:

«وقد دلّ الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكلّ بالجبال ملائكة، ووكّل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكّل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتمّ خلقها، ثمّ وكلّ بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمل وإحصائه وكتابته، ووكّل بالموت ملائكة، ووكّل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكّل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكّل بالشمس والقمر ملائكة، ووكّل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارته ملائكة، ووكّل بالجنة وعمارته وغراسها وعمل آلائها ملائكة، فالملائكة أعظم جنود الله...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

«ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل، الموكلون بالحياة، فجبريل موكل بالوحي، الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر، الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور، الذي به حياة الخلق بعد مماتهم»<sup>(٣)</sup>.

ولا يحصي عدد الملائكة إلّا خالقهم سبحانه، قال جبريل الأمين ﷺ في

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (٤٠٥/٢).

(٢) المرجع نفسه: (٤٠٥/٢، ٤٠٦).

(٣) المرجع نفسه: (٤٠٨/٢)، وقد جاء ذكر أسماء هؤلاء الملائكة الثلاثة في قوله تعالى: ﴿ثَلَمَ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٧ - ٩٨]، وفي حديث عائشة رضي الله عنها، في دعائه ﷺ، عندما يفتح صلاة الليل، قال ﷺ: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»، أخرجه مسلم: (٧٧٠).

.....

حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه ليلة الإسراء والمعراج، قال: «هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم...» الحديث<sup>(١)</sup>.

واعلم أخي المسلم، أنَّ القاعدة في هذا الباب، أنَّ ما جاء على وجه التفصيل نؤمن به على وجه التفصيل، وما جاء على وجه الإجمال، نؤمن به على وجه الإجمال، فلا نصفهم إلَّا بما وصفهم به خالقهم في كتابه، أو على لسان نبيه ﷺ، ولا نسميهم إلَّا بما سمَّاهم به خالقهم سبحانه وتعالى في كتابه، أو بما جاء في سنة رسوله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: (٣٢٠٧)، ومسلم: (١٦٢)، وله شاهد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند مسلم: (١٦٢).

(٢) لا نعرف من أسماء الملائكة الكرام إلا القليل، جاء ذكرهم في الكتاب والسنة، من ذلك جبريل، وميكائيل، وإسرافيل كما مر معنا، ومنهم مالك خازن النار، كما في قوله تعالى في أهل النار: ﴿وَنَادُوا بِمَلَكِكُمْ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُوتٌ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وقوله ﷺ ليلة المعراج من حديث ابن عباس رضي الله عنه: «... ورأيت مالكا خازن النار...» أخرجه البخاري: (٣٢٣٩)، ومنهم رضوان خازن الجنة، كما جاء مصرحاً به في بعض الروايات، ومنهم منكر ونكير، كما في سؤال القبر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «إذا قبر الميت، - أو الإنسان - أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير...» الحديث، أخرجه الترمذي: (١٠٧١)، وابن حبان: (٧٨٠)، وابن أبي عاصم في السنة: (٨٦٤)، والآجري في الشريعة: (ص: ٣٦٥)، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب»، وقال محققاً شرح العقيدة الطحاوية: «وهو كما قال، بل أعلى، فإن رجال إسناده على شرط مسلم» (٥٧٨/٢). ومنهم من اختلف في كونه من الملائكة، كهاروت وماروت، ورقيب وعتيد.

وأما ما يذكر بعضهم من تسمية ملك الموت ﷺ بعزرائيل، فلا أصل له في السنة الصحيحة، قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: «وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاءت تسميته في بعض الآثار بعزرائيل، =

## فائدة:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

«ومن ثمرات الإيمان بالملائكة.

أولاً: العلم بعظمة خالقهم تبارك وتعالى وقوته وسلطانه.

ثانياً: شكره تعالى على عنايته بعباده، حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

ثالثاً: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل، واستغفارهم للمؤمنين»<sup>(١)</sup>. اهـ.

= والله أعلم» البداية والنهاية: (١/ ٦١). ومن أراد البيان المفصل لعالم هؤلاء البررة، فليراجع مؤلف الدكتور عمر سليمان الأشقر وفقه الله تعالى، فقد جمع وأفاد، فجزاه الله كل خير.

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة: (ص: ٤٥).

## الإيمان بكتب الله تعالى

[٦٠] نؤمن بجميع كتب الله تعالى المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام<sup>(١)</sup>، فمنها: التوراة والإنجيل والقرآن<sup>(٢)</sup>، ومنها<sup>(٣)</sup> غيرها مما لم نعلمه على سبيل التفصيل، فكلها من عند الله وكل ما فيها حق.

لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥]، ﴿زَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [٣] من قَبْلِ هَذِي لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣ - ٤]، ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

[٦٠] إِنَّ من رحمة الله تعالى وفضله «على الإنسان أنه لم يتركه في الحياة يستهدي بما أودعه الله فيه من فطرة سليمة، تقوده إلى الخير، وترشده إلى البر فحسب، بل بعث إليه بين فترة وأخرى رسولا يحمل من الله كتاباً يدعوه إلى عبادة الله وحده، ويبشر وينذر، لتقوم عليه الحجة ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]»<sup>(٤)</sup>.

وقد أخبرنا ربنا تبارك وتعالى أنه أرسل الرسل، وأنزل معهم الكتب، كما

(١) الصلاة والسلام على الرسل غير موجود في (ح).

(٢) في (ح) «والفرقان».

(٣) كلمة «منها» غير موجودة في (ح).

(٤) من كلام الشيخ مناع القطان، انظر كتابه مباحث في علوم القرآن: (ص: ١٧).

.....

في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وأما تفصيلات ذلك فلا يعلمها إلا الله تعالى.

يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى:

«وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن الله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى.

وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب، فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله، وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

ويقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾، قال:

«وهذا يدل على أن كل رسول معه كتاب، لكن لا نعرف كل الكتب، بل نعرف منها: صحف إبراهيم، والتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، ستة، لأن صحف موسى بعضهم يقول هي التوراة، وبعضهم يقول غيرها، فإن كانت التوراة فهي خمسة، وإن كانت غيرها فهي ستة، ولكن مع ذلك نحن نؤمن بكل كتاب أنزله الله على الرسل، وإن لم نعلم به، نؤمن به إجمالاً...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن الكتب التي سماها لنا، نزلت في شهر

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (٢/٤٢٥).

(٢) شرح العقيدة الواسطية: (١/٦٥).

.....

رمضان، فعن واثلة عن النبي ﷺ، أنه قال: «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»<sup>(١)</sup>.

فنقف عند هذا الحد الذي أوقفنا الله عليه، ولا نزيد ولا ننقص، وصدق الله إذ قال: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١]، ونقول كما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقول: ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: «أي صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء، لا نفرق بين أحد منهم...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

(١) أخرجه أحمد: (١٠٧/٤)، وانظر السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني رحمه الله تعالى: (١٥٧٥).

(٢) التفسير: (٩٧/٤).

[٦١] حفظ الله القرآن من الزيادة والنقص، والتحريف والتبديل<sup>(١)</sup>، فبقي كما أنزله الله إلى يوم القيامة، فهو كله حق من عند الله، ولم يحفظ غيره من الكتب، فدخلت عليها الزيادة والنقص، والتحريف والتبديل، ففيها حق وفيها باطل، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ الْحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

[٦١] إِنَّ القرآن العظيم هو كتاب الله تعالى الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ، وقد «تعبدنا الله بالإيمان به وتلاوته، وتدبر معانيه، وهو هذا الكتاب المجموع في المصاحف، المبتدأ بسورة الفاتحة، والمختتم بسورة الناس... وهو الذي نزل به جبريل الأمين على قلب محمد ﷺ بحرفه ومعانيه، فهو كلام الله، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

هذا القرآن الكريم هو كلام الله لفظاً ومعنى، وليس حكاية عن الله، ولا هو كلام نفسي قائم بذات الله فهمه جبريل ونقله، بل القرآن كلام الله حقيقة بألفاظه ومعانيه، تكلم الله به على النحو الذي يليق بعظمته وجلاله<sup>(٢)</sup>.

ولقد «ظلت الإنسانية في تطورها وراقيها الفكري، والوحي يعاودها بما يناسب ويحل مشاكلها الوقتية في نطاق كل رسول، حتى اكتمل نضجها، وأراد الله لرسالة محمد ﷺ أن تشرق على الوجود، فبعثه على فترة من الرسل، ليكمل صرح إخوانه الرسل السابقين بشريعته العامة الخالدة، وكتابه المنزل عليه، وهو القرآن الكريم... «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه

(١) في (ح) «حفظ الله القرآن دون غيره، حفظه من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل...».

(٢) من كلام الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق وفقه الله تعالى، انظر كتابه: البيان المأمول في علم الأصول: (ص: ٩٩).

ولجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون منه، ويقولون: لولا هذه اللبنة، فانا اللبنة، وانا خاتم النبيين»<sup>(١)</sup>...

وكتب الله له الحفظ والنقل المتواتر دون تحريف أو تبديل، فمن أوصاف جبريل الذي نزل به: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، ومن أوصافه وأوصاف المنزل عليه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ] ﴿٢٥﴾ ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾ [٢٦] ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [٢٧] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ﴾ [٢٨] ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢٤]<sup>(٢)</sup>، على هذا نعقد قلوبنا ولا نرتاب.

يقول الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«ونعتقد فيما أنزله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ في القرآن، ولم ينسخ رسمه في حياته، وأنه بقي في أمته محفوظاً لم تجر عليه زيادة ولا نقصان، كما وعد الله بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [١]...»<sup>(٣)</sup> اهـ.

وقال رحمه الله تعالى:

«والإيمان بالقرآن يتشعب شعباً:

فأولها: بآته كلام الله تبارك وتعالى، وليس من وضع محمد ﷺ، ولا من وضع جبريل عليه السلام.

الثانية: الاعتراف بآته معجز النظم، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يقدرُوا عليه.

والثالث: اعتقاد أن جميع القرآن الذي توفي النبي ﷺ، هو هذا الذي في

(١) أخرجه البخاري: (٣٥٣٥)، ومسلم في الفضائل، باب: كونه ﷺ خاتم النبيين برقم (٢٢٨٦)، والبيهقي في شرح السنة: (٣٦١٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر مباحث في علوم القرآن للقطان: (ص: ١٧، ١٨).

(٣) الاعتقاد: (ص: ١١٧)، ولم تكن هذه الميزة لكتاب آخر من الكتب السابقة، لأنها جاءت موقوتة بزمان خاص. انظر مباحث في علوم القرآن: (ص: ١٨).

.....

مصحف المسلمين، لم يفت منه شيء، ولم يضع بنسيان ناس، ولا ضلال صحيفة، ولا موت قارىء، ولا كتمان كاتم، ولم يحرف منه شيء، ولم يزد فيه حرف، ولم ينقص منه حرف»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وفي ذلك رد على من زعم حب آل البيت، وطعن في الأصحاب، واعتقد أنّ هذا الكتاب ناقص، يحتاج إلى إتمامه بما أملاه عليه الشيطان من وحيه، فردّ على الله قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١٥)، فكان جزاؤه جزاء الأشرار، فالله تعالى تولى حفظه برجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، قلوبهم سليمة للمهاجرين والأنصار، والأحاب الأبرار، ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (١٦) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ (١٥)، يوم يفوز الأصحاب، ويخسر الأشرار.

وقد حاول أعداء الإسلام قديماً وحديثاً تحريف كتاب الله تعالى، فلم يستطيعوا ولن يستطيعوا، وأنا أذكر هنا قصة ذكرها الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في الجامع لأحكام القرآن عن يحيى بن أكثم، تبين صورة من صور حفظ الله تعالى لكتابه الكريم.

قال رحمه الله تعالى:

«كان للمأمون مجلس نظر، فدخل في جملة الناس رجل يهودي، فتكلم فأحسن الكلام والعبارة، فلما أن انفض المجلس دعاه المأمون، فقال له: إسرائيلي؟ قال: نعم. قال له: أسلم حتى أفعل بك وأصنع، ووعدته. فقال: ديني ودين آبائي وانصرف.

قال: فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً. قال: فتكلم على الفقه فأحسن الكلام، فلما انفضّ المجلس دعاه المأمون، وقال: ألسنت صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلى. قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن

.....

أمتحن هذه الأديان وأنت تراني حسن الخط، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة فاشتريت مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الوراقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي.

قال يحيى بن أكرم: فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الخبر، فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله عز وجل. قلت: في أي موضع؟ قال: في قول الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾، فجعل حفظه إليهم فضاع، وقال عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، فحفظه الله عز وجل علينا فلم يضيع<sup>(١)</sup>. اهـ.

---

(١) نقلاً عن مقدمة تحقيق مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة، للشيخ بد البدر: (ص: ٨).  
 فهل تعجب من إسلام ذلك اليهودي لما علم الحق، أم تعجب من فقه سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى؟

[٦٢] نؤمن بأن القرآن العظيم أنزله الله تعالى هداية عامة لجميع البشر، لما فيه سعادتهم الدنيوية والأخروية بتنوير العقول، وتزكية النفوس، وتقويم الأعمال، وإصلاح الأحوال، وتنظيم الاجتماع البشري على أكمل نظم<sup>(١)</sup>، وكل من خالفه فهو ضال<sup>(٢)</sup>.

لقوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

ولقوله ﷺ في خطبة يوم عرفة في حجة الوداع: «وقد تركت فيكم ما لن<sup>(٣)</sup> تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله»، رواه مسلم<sup>(٤)</sup>.

[٦٢] لا شك أن القرآن الكريم هو معجزة الإسلام الكبرى الخالدة، ولا يزيده الزمان والتقدم العلمي إلا رسوخاً، أنزله الله تعالى على عبده ورسوله محمد ﷺ، ليخرج الناس من الضلال إلى الهداية، ومن التيه إلى الرشd، فقد جاء القرآن العظيم وافياً بجميع مطالب الحياة، يعالج المشكلات الإنسانية في شتى مجالات الحياة، «الروحية والعقلية والبدنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية علاجاً حكيماً، لأنه تنزيل الحكيم الحميد، ويضع لكل مشكلة بلسمها الشافي في أسس عامة، ترسم

(١) في (ح) «وتنظيم المجتمع البشري إلى أكمل نظام».

(٢) في (ص) «وأن كل ما خاله فهو ضال»، فرأيت إثبات ما في (ح) لتناسب المعنى مع سياق الكلام، والله تعالى أعلم.

(٣) في (ح) «ما لم».

(٤) (٨/ ١٨٤ نووي)، وأبو داود: (١٩٠٢ العون)، وابن ماجه: (٣٠٧٤)، والبيهقي: (٥/ ٧)، وابن الجارود في المنتقى: (٤٦٥ - ٤٦٩)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه. قال العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي رحمه الله تعالى: [...] وإنما اقتصر على الكتاب، لأنه مشتمل على العمل بالسنة، لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، وقوله: ﴿وَمَا أَلَاكُمْ الرَّسُولَ فَعُذُّوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَانْهَوْا﴾، فيلزم من العمل بالكتاب ما يلزم بالسنة. اهـ انظر عون المعبود: (٥/ ٢٦٣).

الإنسانية خطاها، وتبني عليها في كل عصر ما يلائمها، فاكسب بذلك صلاحيته لكل زمان ومكان، فهو دين الخلود... والإنسانية المعذبة اليوم في ضميرها، المضطربة في أنظمتها، المتداعية في أخلاقها لا عاصم لها من الهاوية التي تتردى فيها إلا القرآن، ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) [طه: ١٢٣ - ١٢٤]... (١) اهـ.

فالله عز وجل أنزل كتابه الكريم كاملاً جامعاً، مبيناً لكل ما تحتاجه الأمة، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

«وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾، قال ابن مسعود: قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء. وقال مجاهد: كل حلال وكل حرام، وقول ابن مسعود أعم وأشمل، فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي، وكل حلال وكل حرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم...» (٢) اهـ.

وقد سمع محمد بن أبي حاتم رحمه الله تعالى الإمام أحمد يقول: «لا أعلم شيئاً يحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة»، فقال له: «يمكن معرفة ذلك كله؟» قال: «نعم» (٣).

فقد فصل الله فيه أصول الإيمان، وما يحتاجه العباد، «ولا يوجد كلام يحمل من المعاني ما يحمله هذا الكلام الذي يظل حياً لا ينتهي عجائبه، ولا تجف معانيه، ولا يخلق عن كثرة الرد، بل يظل حياً جديداً كما قرئ» (٤)، فهو كلام الله تعالى يحتوي على المنهج الذي رضي الله تعالى لعباده.

(١) مباحث في علوم القرآن: (ص: ١٩).

(٢) التفسير: (٢/ ٥٣٤، ٥٣٥).

(٣) انظر سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي رحمه الله تعالى: (٤١٢/١٢).

(٤) انظر البيان المأمول في علم الأصول: (ص: ٩٩).

[٦٣] ومن الإيمان بكتاب الله، أن نؤمن بأن كل ما ثبت عن النبي ﷺ فهو حق من عند الله، وبيان لكتاب الله، وأن الأخذ به أخذ بالقرآن، وأن الترك له ترك للقرآن، لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، ولقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، ولقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ﴿رُزِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدُ حُسْنِ الْمَتَابِ﴾ [النساء: ١٤]، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣] (١)، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

[٦٣] لقد أخبرنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، أن السنة وحي من الله تعالى، فعن المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجبت فيه من حلال فاحلوه، وما وجبت فيه من حرام فحرّموه» (٢).

(١) آية النساء وآية الجن لم تذكر في (ص).

(٢) أخرجه أبو داود: (٤٦٠٤)، والترمذي: (٢٦٦٤)، ابن ماجه: (١٢ - ١٣)، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٨١٨٦)، والمشكاة: (١٦٣).

قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى:

«أي أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السنة التي لم ينطق بها القرآن، وذلك كتحريم لحوم الحمر الأهلية، وتحريم كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير، وغير ذلك مما لا يأتي عليه الحصر...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

ولهذا كانت طاعة النبي ﷺ طاعة الله تعالى، ومعصيته معصية الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجراً، وإن قال بغيره فإن عليه منه»<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

«قوله: «من أطاعني فقد أطاع الله»، هذه الجملة منتزعة من قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، أي لأنني لا أمر إلا بما أمر الله به، فمن فعل ما أمره به فإنما أطاع من أمرني أن أمره.

ويحتمل أن يكون المعنى: لأن الله أمر بطاعتي، فمن أطاعني فقد أطاع أمر الله له بطاعتي، وفي المعصية كذلك. والطاعة هي الإتيان بالمأمور به والانتهاز عن المنهي عنه، والعصيان بخلافه»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

(١) إرشاد الفحول: (١/١٢٠).

(٢) أخرجه البخاري: (٢٩٥٧ - ٧١٣٧)، ومسلم: (١٨٣٥) في الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، والبلغوي في شرح السنة: (٢٤٥٠ - ٢٤٥١). قال الحافظ رحمه الله تعالى: «وقوله: إنما الإمام جنة، بضم الجيم أي سترة، لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين ويكف أذى بعضهم عن بعض، والمراد بالإمام كل قائم بأمور الناس، والله أعلم» فتح الباري: (١٤١/٦).

(٣) فتح الباري: (١٣٩/١٣).

ولقد أجمع المسلمون على وجوب طاعة النبي ﷺ، واتباع ما صحّ من سنته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«وهذه السنة إذا ثبتت، فإنّ المسلمين كلهم متفقون على وجوب اتباعها»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى:

«اعلم أنّه قد اتفق من يعتدّ به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال، وتحريم الحرام»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقد جاء تأكيد طاعة النبي ﷺ بأمر:

الأول: الأمر بطاعته، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

الثاني: ترتيب الوعيد على من يخالف أمر النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

الثالث: نفي الخيار عن المؤمنين إذا صدر حكم عن رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

الرابع: الأمر بالردّ إلى الرسول ﷺ عند النزاع، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَنزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

الخامس: جعل الردّ إلى الرسول ﷺ عند النزاع من موجبات الإيمان ولو أزمه، قال تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

(١) مجموع الفتاوى: (٨٥/١٩، ٨٦).

(٢) إرشاد الفحول: (١/١٢٠).

[النساء: ٥٩] (١).

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

«لم أسمع أحداً - نسبه الناس أو نسب نفسه إلى علم - يخالف في أنّ فرض الله عزّ وجلّ اتباع أمر رسول الله ﷺ، والتسليم لحكمه، بأنّ الله عزّ وجلّ لم يجعل لأحد بعده إلاّ أتباعه، وأنه لا يلزم قول بكل حال إلاّ بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، وأنّ ما سواههما تبع لهما، وأنّ فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد لا يختلف في أنّ الفرض والواجب قبول الخبر عن رسول الله ﷺ...» (٢). اهـ.

وذلك أنّ النبيّ ﷺ «قد أوتي جوامع الكلم» (٣)، وسواطع الحكم من عند ربّ العالمين، فكلامه أشرف الكلام وأفضلها، وأجمع الحكم وأكملها، كما قيل: كلام الملوك ملوك الكلام، وهو تلو كلام الله العلام، وثاني أدلة الأحكام، فإنّ علوم القرآن وعقائد الإسلام بأسرها، وأحكام الشريعة المطهرة بتمامها، وقواعد الطريقة الحقّة بحذافيرها، وكذا الكشفيات والعقليات بنقيرها وقطميرها، تتوقف

(١) راجع معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة للجزائري وفقه الله تعالى: (ص: ١٢٤).

(٢) جماع العلم: (ص: ١١، ١٢).

(٣) كما قال عليه الصلاة والسلام: «بعثت بجوامع الكلم»، أخرجه البخاري: (٢٩٧٧ - ٦٩٩٨ - ٧٠١٣ - ٧٢٧٣)، ومسلم: (٥٢٣)، والترمذي: (١٥٥٣)، والنسائي: (٣/٦ - ٤)، وأحمد: (٢/٢٥٠، ٢٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى: [.. فجوامع الكلم التي خص بها النبيّ ﷺ نوعان: أحدهما: ما هو في القرآن، كقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالنُّكْرِ وَالْبَغْيِ﴾، قال الحسن: لم تترك هذه الآية خيراً إلاّ أمرت به، ولا شراً إلاّ نهت عنه. والثاني: ما هو في كلامه ﷺ، وهو منتشر موجود في السنن المأثورة عنه ﷺ...]. اهـ جامع العلوم والحكم: (١/٥٥).

على بيانه ﷺ، فإنها ما لم توزن بهذا القسطاس المستقيم، ولم تضرب على ذلك المعيار القويم، لا يعتمد عليها، ولا يصار عليها، فهذا العلم المنصوص، والبناء المرصوص، بمنزلة الصراف لجواهر العلوم، عقليتها ونقليتها، وكالتقاد لنقود كلّ الفنون، أصليتها وفرعيها، من وجوه التفاسير والفقهيات، ونصوص الأحكام، ومآخذ عقائد الإسلام، وطرق السلوك إلى الله سبحانه وتعالى ذي الجلال والإكرام، فما كان منها كامل العيار في نقد هذا الصراف، فهو الحريّ بالترويج والاشتهار، وما كان زيفاً غير جيّد عند ذاك النقاد، فهو القمين بالردّ والطرده والإنكار، فكلّ قول يصدّقه خبر الرسول ﷺ، فهو الأصلح للقبول، وكلّ ما لا يساعده الحديث والقرآن، فذلك في الحقيقة سفسطة بلا برهان، فهي مصابيح الدجى، ومعالم الهدى، وبمنزلة البدر المنير، من انقاد لها فقد رشد واهتدى، وأوتي الخير الكثير، ومن أعرض عنها وتولّى، فقد غوى وهوى، وما زاد نفسه إلاّ تخسيراً، فإنه ﷺ نهى وأمر، وأنذر وبشّر، وضرب الأمثال وذكر، وإنّها لمثل القرآن بل هي أكثر، وقد ارتبط بها أتباعه ﷺ، الذي هو ملاك سعادة الدارين، كيف وما الحق إلاّ فيما قاله ﷺ، أو عمل به، أو قرره، أو أشار إليه، أو تفكر فيه، أو خطر بباله، أو هجس في خلدّه واستقام عليه»<sup>(١)</sup>.

ولهذا كان السلف يحذرون من مخالفة أمره ﷺ، أو أن يضربوا له الأمثال، فقد سأل رجل الإمام مالك رحمه الله تعالى مسألة، فقال الإمام مالك: «قال رسول الله ﷺ...»، فقال الرجل: «أرأيت؟»، فقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) من كلام العلامة السيّد صدّيق حسن خان رحمه الله تعالى في كتابه «الحطة»، نقلاً عن قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، للعلامة محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى: (ص: ٤٤).

(٢) انظر شرح السنة للإمام البغوي رحمه الله تعالى: (١/١٩١).

.....

فـ «الاحتجاج بالسنة الواردة عن النبي ﷺ، واعتبارها أحد أصول الشريعة الإسلامية الدالة على الأحكام الشرعية، هو دأب المسلمين قديماً وحديثاً»<sup>(١)</sup>.

ومن ولّى السنة ظهره، وزعم الاكتفاء بالقرآن، فهو زائغ منحرف عن الحق وطريق أهل الحق.

بل قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى:

«إنّ ثبوت حجيتها واستقلالها بتشريع الأحكام، ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلّا من لا حظ له في دين الإسلام»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وبهذا تعلم أخي المسلم أنّ ما يروى في الأمر بعرض السنة على الكتاب غير صحيح، قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى:

«وأما ما يروى من طريق ثوبان في الأمر بعرض الأحاديث على القرآن، فقال يحيى بن معين: إنّهُ موضوع وضعته الزنادقة. وابن عبد البر في كتابه «جامع العلم»: قال عبد الرحمن بن مهدي: الزنادقة والخوارج وضعوا حديث: «ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله فأنا قلته، وإن خالف فلم أقله»...»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

«وقد نبغ بين المسلمين قوم سمّوا أنفسهم «القرآنيين»، ادّعوا أنّ الشريعة لا تؤخذ إلّا من القرآن، وأنّ المسلمين ليسوا بحاجة إلى السنة، وصنعوا من فهمهم المجرد للقرآن تركيبة شرعية في الطهارات والصلاة والزكاة والحج وغيرها، يعلم

(١) انظر أفعال الرسول ﷺ، للأشقر: (٢١/١).

(٢) إرشاد الفحول: (١٢٢/١).

(٣) إرشاد الفحول: (١٢٠/١، ١٢١)، وانظر كلام الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى جامع بيان العلم وفضله: (٢٣٣/٢). أما ثوبان فهو مولى رسول الله ﷺ، انظر ترجمته في أسد الغابة: (٢٩٦/١)، والإصابة: (٢١٢/١)، والاستيعاب: (٢١٨/١)، والحلية: (١/٣٥٠)، والجرح والتعديل: (٤٦٩/٢)، وتهذيب الكمال: (١٧٦/١).

المطلع عليها يقيناً أنها مخالفة لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، ولهؤلاء القوم المعاصرين المذكورين سلف في من مضى، لم يزالوا تذر نجومهم فطمسها شمس الحق من أئمة الهدى في كل زمان، وقد ألف السيوطي رسالته المشهورة: «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة»<sup>(١)</sup>، للرد على مَنْ وجد من دعاة هذه الفكرة في زمانه من الرافضة<sup>(٢)</sup>، وذكر فيه أنّ أصحاب هذا الرأي من الزنادقة والرافضة، كانوا موجودين بكثرة في زمن الأئمة الأربعة فمن بعدهم، وتصدى لهم الأئمة الأربعة وأصحابهم في دروسهم ومناظراتهم وتصانيفهم<sup>(٣)</sup>.

فالقرآن والسنة هما طريق الجنة، كما قال الإمام أبو عمرو الداني رحمه الله تعالى:

تدري أخي أين طريق الجنة      طريقهما القرآن ثم السنة  
كلاهما ببلد الرسول      وموطن الأصحاب خير جيل<sup>(٤)</sup>  
وبالجملة، فإنّ الذي يجب أن يعتقده كلّ مسلم، «أنّ محمداً ﷺ هو رسول الله، أرله ليدعو الناس إلى أن يؤمنوا بالله إلهاً واحداً، وأن يعبدوه ويسلكوا صراطه المستقيم. ومقتضى هذا الإيمان، أن نؤمن بصدق النبي ﷺ فيما أخبر عن الله وعن شريعة الله، فإن أخبر عن شيء أنّه من الله، فخير حجة علينا، وحكمه لازم لنا بمقتضى إيماننا برسالته، وكذلك إن فعل شيئاً بياناً للدين، ففعله

(١) وهو مطبوع والحمد لله، وقد طبع أيضاً باسم «مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة».

(٢) وقد سبق قريباً من قول الإمام عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله تعالى، أنّ الخوارج أيضاً وضعوا حديثاً لنصرة هذا المنهج وهذه الفكرة الخيثة البتراء.

(٣) انظر أفعال الرسول للأشقر: (١/٢١، ٢٢)، وراجع مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة: (ص: ١٥).

(٤) انظر سير أعلام النبلاء: (٨١/١٨). ويلا شك فهت أخي المسلم من كلام هذا الإمام، أن طريق الجنة هو فهم القرآن والسنة بفهم خير جيل، وهو جيل الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

.....

حجة علينا أن نفعل مثلما فعل . فدليل حجية السنة إذن هو: شهادة أنّ محمداً رسول الله<sup>(١)</sup>.

(١) انظر الواضح في أصول الفقه للأشقر: (ص: ٩١).

## عقائد الإيمان بالرسول ﷺ

[٦٤] إِنَّ رَبَّ الْحَكِيمِ جَلَّ جَلَالُهُ خَلَقَنَا لِعِبَادَتِهِ، وَفِي عِبَادَتِهِ كَمَالُنَا وَسَعَادَتُنَا، وَعِبَادَتُهُ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَنَا وَنَهَانَا وَأَبَاحَ لَنَا.

ولا يمكننا أن نعرف ذلك إلا إذا بيّنه لنا، فاخترنا منا - تفضلاً منه ورحمة - <sup>(١)</sup> قوماً فطرهم على الفضائل والكمالات، وعصمهم من الرذائل والنقائص، وهياهم لملاقة الملائكة الأطهار، ليتلقوا منهم وحي الله وبيانه للعباد، فيبلغوه إليهم، ويكونوا قدوة لهم في تنفيذه والعمل به.

وهؤلاء هم الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام، الذين نؤمن بهم كلهم، من عرفنا منهم بتعريف الله، ومن لم نعرف، لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥١] ﴿الذاريات: ٥٦﴾، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ﴾ [الشورى: ٥٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِصْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١]، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [٥] ﴿رَحِمَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الدخان: ٥ - ٦]، ﴿وَلِيَأْتِيَهُمْ عِنْدَنَا لِنَمْصُفِّيَنَ الْأَخْيَارَ﴾ [٤٧] ﴿[ص: ٤٧]، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥].

(١) في (ح) «فاخترنا - تفضلاً منه ورحمة - منا قوماً...».

ولقوله تعالى: ﴿عَلَيْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۖ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَحْمَتَهُ﴾ [الجند: ٢٦ - ٢٨]، ﴿فِيهِدْلَهُمْ أَقْدَةً﴾ [الأنعام: ٩٠].

ولقوله تعالى: ﴿لَا تَفَرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

[٦٤] إِنَّ الْإِيمَانَ بِالرَّسُولِ ﷺ مِنْ أَصُولِ الْإِيمَانِ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ، قَالَ: «...أَنْ تَوْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَوْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

ولقد ذكر المصنف رحمه الله تعالى أن الغاية التي من أجلها خلقنا الله تعالى، لا تتحقق إلا عن طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولذلك كان إرسال الرسل من أعظم النعم على العباد.

يقول الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى:

«وإرسال الرسل من أعظم نعم الله على خلقه، وخصوصاً محمداً ﷺ، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

والعباد مضطرون إلى الرسل ومعرفة ما جاؤوا به فوق كل ضرورة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«الرسالة ضرورة للعباد، لا بدّ لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأبى صلاح للعالم إذا عدم الروح

والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نوراً يمشي به في الناس...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى:

«ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح، لا في الدنيا ولا في الآخرة، إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق، ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح، الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، ويمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأى ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك، وصار كالحوث إذا فارق الماء ووضع في المقلادة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي»<sup>(٢)</sup>.

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«فالذي شرع لنا في حق الرسل فيه تحقيق توحيد الله وحده، وتحقيق

(١) مجموع الفتاوى: (٩٣/٩).

(٢) زاد المعاد: (٦٩/١).

طاعتهم، وفيه مزيد الرحمة لهم، ورفعة الدرجة والرضوان لنا ولهم»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وهؤلاء الرسل الذين أرسلهم الله تعالى لعباده اختارهم من بين خلقه بعلمه، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى مبيناً أن الذي يخلق هو الذي يختار من عباده رسلاً، قال:

«فإن الله هو المنفرد بالخلق والاختيار من المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]... وإنما المراد بالاختيار هنا: الاجتناء والاصطفاء، فكما أنه المنفرد بالخلق، فهو المنفرد بالاختيار منه، فليس لأحد أن يخلق ولا أن يختار سواه، فإنه سبحانه أعلم بمواقع اختياره، ومحال رضاه، وما يصلح للاختيار ممّا لا يصلح له، وغيره لا يشاركه في ذلك بوجه...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقد حكى الله تعالى «عن الكفار اقتراحهم في الاختيار، وإرادتهم أن تكون الخيرة لهم، ثم ينفي هذا سبحانه عنهم، ويبين تفرده هو بالاختيار، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١) أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّتَتَّخِذَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ سُلْطَانًا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣١ - ٣٢]. فأنكر عليهم سبحانه تخييرهم عليه، وأخبر أن ذلك ليس إليهم، بل إلى الذي قسم بينهم معيشتهم المتضمنة لأرزاقهم ومدد آجالهم، وكذلك هو الذي يقسم فضله بين أهل الفضل على حسب علمه بمواقع الاختيار، من يصلح له ممّن لا يصلح... وكذلك اختياره سبحانه للأنبياء من ولد آدم عليه الصلاة والسلام... واختياره أولي العزم منهم... واختار منهم الخليلين إبراهيم ومحمداً ﷺ.

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة: (١/٢٢٩).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد: (١/٣٧)، وانظر كتاب الفوائد له: (ص: ١٧٣،

ومن هذا اختياره سبحانه ولد إسماعيل من أجناس بني آدم، ثم اختار منهم بني كنانة من خزيمة، ثم اختار من ولد كنانة قريشاً، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختار من بني هاشم سيد ولد آدم محمداً ﷺ... (١).

ورسل الله تعالى كلهم من البشر، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]  
وقد امتنع أكثر الناس عن الإيمان بالرسول لكونهم من البشر، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٩٤)  
﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمُشُّونَ لَفُتِنَّا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكَاتٍ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤ - ٩٥].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

«يقول تعالى: ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ﴾، أي أكثرهم ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ ويتابعوا الرسل إلا استعجابهم من بعثة البشر رسلاً، كما قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِדْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ الآية. وقال فرعون وملؤه: ﴿أَتُؤْمِنُ بِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ﴾، وكذلك قالت الأمم لرسولهم: ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ والآيات في هذا كثيرة، ثم قال تعالى منهاً على لطفه ورحمته

(١) المرجع السابق: (١/ ٤٠ - ٤٤)، ثم قال رحمه الله تعالى: «وكذلك اختار أصحابه من جملة العالمين، واختار منهم السابقين الأولين، واختار منهم أهل بدر وأهل بيعة الرضوان، واختار لهم من الدين كله، ومن الشرائع أفضلها، ومن الأخلاق أزكاها وأطيبها وأطهرها» اهـ فمن طعن في أصحاب النبي ﷺ، يكون قد رد اختيار الله تعالى، كما فعل أولئك الكفار، وفي اختيار الله تعالى لأصحاب رسوله ﷺ، تنبيه على أن ما هم عليه من أخلاق ومنهج هو الأصلح، فإن الله تعالى لا يختار لنبيه إلا أولي النهى، وصدق الله حين قال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ التَّوْحِيدِ لُوِيْلَهُ مَا تَوَلَّىٰ وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١١٥).

عباده أنه يبعث إليهم الرسول من جنسهم ليفقهوا منه لتمكنهم من مخاطبته ومكالمته، ولو بعث إلى البشر رسولاً من الملائكة لما استطاعوا مواجهته، ولا الأخذ عنه، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مِمَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ فَأَذْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا ﴿١٦٢﴾﴾ ولهذا قال ها هنا: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُ فِي الْأَرْضِ مَلَكًا يَشْعُرُ بِكُمْ مَلَكًا مَطْمَئِينَ﴾ أي كما أنتم فيها ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ أي من جنسهم، ولما كنتم أنتم بشراً بعثنا فيكم رسولنا منكم لطفاً ورحمة<sup>(١)</sup>. اهـ.

ولقد خصص الله تعالى بالرسالة الرجال دون النساء، قال عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧].

وتتمثل الحكم في جعل الرسل من الرجال في بعض النقاط منها:

١ - أن الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة، ومخاطبة الرجال النساء، ومقابلة الناس في السر والعلانية، والتنقل في فجاج الأرض، ومواجهة المكذبين ومحاججتهم ومخاصمتهم، وإعداد الجيوش وقيادتها، والاصطلاء بنارها، وكل هذا يناسب الرجال دون النساء.

٢ - الرسالة تقتضي قوامة الرسول على من يتابعه، فهو في أتباعه الأمر الناهي، وهو فيهم الحاكم والقاضي، ولو كانت الموكلة بذلك امرأة لم يتم ذلك على الوجه الأكمل، ولاستكف أقوام من الاتباع والطاعة.

٣ - الذكورة أكمل كما بينا آنفاً، ولذلك جعل الله القوامة للرجال على

(١) التفسير: (٦٢/٣)، وانظر: (١٦٤/٣) منه، وراجع الرسل والرسالات للأشقر: (ص:

النساء، ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤] وأخبر الرسول ﷺ أَنَّ النساء ناقصات عقل ودين.

٤ - المرأة يطرأ عليها ما يعطلها عن كثير من الوظائف والمهمات، كالحيض والحمل والولادة والنفاس، وتصاحب ذلك اضطرابات نفسية وآلام وأوجاع، عدا ما يتطلبه الوليد من عناية، وكل ذلك مانع من القيام بأعباء الرسالة وتكاليفها<sup>(١)</sup>.

وقد قام رسل الله عليهم الصلاة والسلام بتبليغ أمر الله أحسن القيام، على هذا يجب أن نعقد قلوبنا ولا نرتاب، قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى:

«وعلينا الإيمان بأنهم بلّغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بيّنوه بياناً لا يسع أحداً ممّن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل له مخالفته...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وأما فرض الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام، فكما قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«... الثاني من شعب الإيمان: وهو الباب في الإيمان برسول الله صلوات الله عليهم عامة، اعتقاداً وإقراراً، إلّا أنّ الإيمان بمن عدا نبينا ﷺ، هو الإيمان بأنهم كانوا مرسلين إلى الذين ذكروا لهم أنهم رسل الله إليهم، وكانوا في ذلك صادقين محقّين.

والإيمان بالمصطفى نبينا ﷺ، هو التصديق بأنّه نبيه ورسوله إلى الذين بعث فيهم، وإلى من بعدهم من الجن والإنس إلى قيام الساعة...»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

(١) انظر الرسل والرسالات: (ص: ٨٥).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية: (٢/٤٢٣).

(٣) شعب الإيمان: (١/١٤٥).

وقد أخبر الله تعالى أن الكفر برسول واحد كفر بجميع الرسل، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الشعراء: ١٥٠].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

«هذا إخبار من الله عز وجل عن عبده ورسوله نوح عليه السلام، وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعدما عبدت الأصنام والأنداد، فبعثه الله ناهياً عن ذلك ومحذراً من وبيل عقابه، فكذبه قومه، فاستمرّوا على ما هم عليه من الفعال الخبيثة في عبادتهم أصنامهم مع الله تعالى، ونزل الله تعالى تكذيبهم له منزلة تكذيبهم جميع الرسل، فلهذا قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٠﴾﴾...»<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ يُرِيدُونَ أَنْ يَفْرُقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفْرِقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٣﴾﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥٣].

«... فثبت أن حسن المآب إنما يكون لمن لم يفرق بين رسل الله عز وجل، وآمن بجماعتهم...»<sup>(٢)</sup>.

ولله تعالى رسل وأنبياء كثر، منهم من قصهم علينا، ومنهم من لم يقصهم علينا، وقد أشار المصنف رحمه الله تعالى إلى ذلك بقوله عز وجل: ﴿مِنْهُمْ مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾، ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا

(١) التفسير: (٣/ ٣٢٠)، وانظر الرسل والرسالات للأشقر: (ص: ٢٤).

(٢) شعب الإيمان: (١٤٥/١).

إِلَيْكَ كَا أُوحَيْنَا إِلَكَ نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَالْأَسْبَاطُ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَنُ وَدَاوُدَ زُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ [النساء: ١٦٣ - ١٦٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

«وقوله: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾، أي من قبل هذه الآية، يعني في السور المكية.

وهذه تسمية الأنبياء الذين نص الله على أسمائهم في القرآن وهم: آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهارون ويونس وداود وسليمان وإلياس واليسع وزكريا ويحيى، وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين<sup>(١)</sup>، وسيدهم محمد ﷺ...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

(١) ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٨٥)</sup> وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ [الأنبياء: ٨٥ - ٨٦]، وفي قوله: ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَنْعَامِ﴾<sup>(٨٦)</sup> إِنَّا اخْتَلَصْنَاهُمْ خِصَامًا وَزَكَرَى الْمَدَارِ ﴿٨٧﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٨٨﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٨٩﴾ [ص: ٤٥ - ٤٨]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: «... فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي، عليه من ربه الصلاة والسلام، وهذا هو المشهور. وقد زعم آخرون أنه لم يكن نبياً، وإنما كان رجلاً صالحاً، وحكماً مقسطاً عادلاً، وتوقف ابن جرير في ذلك، والله أعلم». اهـ البداية والنهاية: (١/٣٢٧).

(٢) التفسير: (١/٥٢٢)، وقد ذكر الله تعالى في كتابه أسماء رجال اختلف في رسالتهم ونبوتهم، منهم الخضر، وذو القرنين، وتبع.

أما الخضر، فقد جاءت الإشارة إليه في قصة موسى ﷺ وعلامه يوشع بن نون، قال =

= تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۝﴾ [الكهف: ٦٥]، قال الحافظ ابن كثير كما في التفسير: «وهذا هو الخضر عليه السلام»، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ اهـ. (٨٨/٣). وقصته في البخاري: (٣٤٠٠ - ٣٤٠١ - ٤٧٢٥ - ٤٧٢٦ - ٤٧٢٧)، من حديث عبد الله بن عباس عن أبي بن كعب عليه السلام. والظاهر أنه من الأنبياء، وعلى ذلك أكثر أهل العلم، بل هو مذهب الجمهور، قال الحافظ رحمه الله تعالى: «... وحكى ابن عطية البغوي عن أكثر أهل العلم أنه نبي، ثم اختلفوا هل هو رسول أم لا؟... وقال القرطبي: هو نبي عند الجمهور والآية تشهد بذلك، لأن النبي ﷺ لا يتعلم ممن هو دونه، ولأن الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء...» اهـ فتح الباري: (٥٢٧/٦). وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عند قول الخضر عليه السلام: ﴿فَارَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢]، قال: [وقوله: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ دليل على أنه كان نبياً، وأنه ما فعل شيئاً من تلقاء نفسه، بل بأمر ربه فهو نبي، وقيل رسول، وقيل ولي، وأغرب من هذا من قال كان ملكاً، قلت: وقد أغرب جداً من قال هو ابن فرعون، وقيل: إنه ابن الضحاك الذي ملك الدنيا ألف سنة...] اهـ البداية والنهاية: (٤٣٨/١) وانظر: (١/٨٢ منه)، وراجع الرسل والرسالات للأشقر: (ص: ٢٢).

وأما ذو القرنين، فقد ذكره الله تعالى في قوله: ﴿قُلْنَا يَذَّارِ الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْبًا﴾ [الكهف: ٨٦]، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارق والمغارب، وملك الأقاليم وقهر أهلها، وسار فيهم بالمعدلة التامة، والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط. والصحيح أنه كان ملكاً من الملوك العادلين، وقيل كان نبياً، وقيل رسولاً، وأغرب من قال ملكاً من الملائكة. وقد حكى هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فإنه سمع رجلاً يقول لآخر: يا ذا القرنين، فقال: مه ما كفاكم أن تتسموا بأسماء الأنبياء، حتى تسميت بأسماء الملائكة، ذكره السهيلي. وروى وكيع عن إسرائيل عن جابر عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو، قال: كان ذو القرنين نبياً...» اهـ البداية والنهاية: (٢/١٥٤، ١٥٥).

وأما تبع فذكر في قوله تعالى: ﴿أَقِمَّ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۝﴾ =

وذكر الله تعالى الأسباط في قوله جلّ جلاله: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

قال أبو العالية والربيع وقتادة: الأسباط بنو يعقوب اثنا عشر رجلاً، ولد لكل رجل منهم أمة من الناس، فسموا الأسباط<sup>(١)</sup>. وقد أطلعنا الله تعالى على اسم واحد منهم، وهو يوسف عليه السلام.

وقد ورد في السنة ذكر يوشع بن نون وشيث عليه السلام.

أما يوشع عليه السلام فقد ذكره أيضاً في موضعين في سورة الكهف من غير تصريح باسمه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ﴾ [الكهف: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ﴾ [الكهف: ٦٢].

وفي السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبني بها، ولا أحد بنى بيتاً ولم يرفع سقوفها، ولا آخر اشترى غنماً أو خليفات وهو ينتظر ولادها، فغزا. فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: إنك مامورة وأنا مامور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله

= [الدخان: ٣٧]، وفي قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَلْبُهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَأَحَبُّ الرِّبِّ رَسُوهُ﴾ (١٢) وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَحَبُّ الْأَبْنَاءِ قَوْمٌ نُّوحٌ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ (١٤) [ق: ١٢ - ١٤].

قال الدكتور عمر سليمان الأشقر وفقه الله تعالى: «والأفضل أن يتوقف في إثبات النبوة لهذين، لأنه صح عن الرسول ﷺ، أنه قال: «ما أدري أتبع نبياً أم لا، وما أدري ذا القرنين نبياً أم لا؟». فإذا كان الرسول ﷺ لا يدري، فنحن أحرى بأن لا ندري». اهـ  
الرسول والرسالات: (ص: ٢٢).

(١) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (١/١٦٣)، وراجع لزماً البداية والنهاية: (١/ ٤٧٠، ٤٧١).

عليهم، فجمع الغنائم، فجاءت - يعني النار - لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إِنَّ فيكم غلواً، فليباعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فليباعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاؤوا برأس بقرة من الذهب فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها. ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ رحمه الله تعالى:

«وهذا النبي هو يوشع بن نون كما رواه الحاكم من طريق كعب الأحبار... وقد ورد أصله من طريق مرفوعة صحيحة، أخرجها أحمد من طريق هشام عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس»...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

(١) أخرجه البخاري: (٣١٢٤ - ٥١٥٧)، ومسلم: (١٧٤٧)..

(٢) فتح الباري: (٢٦٥/٦)، وقال رحمه الله تعالى: «ولا يعارضه ما ذكره ابن إسحاق في «المبتدأ» من طريق يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه: «أَنَّ الله لما أمر موسى بالمسير ببني إسرائيل، أمره أن يحمل تابوت يوسف فلم يدل عليه حتى كاد الفجر أن يطلع، وكان وعد بني إسرائيل أن يسير بهم إذا طلع الفجر، فدعا ربه أن يؤخر الطلوع حتى فرغ من أمر يوسف ففعل». لأن الحصر إنما وقع في حق يوشع بطلوع الشمس، فلا ينفي أن يحبس طلوع الفجر لغيره... ولا يعارضه أيضاً ما ذكره يونس بن بكير في زياداته في مغازي ابن إسحاق، «أن النبي ﷺ لما أخبر قريشاً بصيحة الإسراء أنه رأى العير التي لهم وأنها تقدم مع شروق الشمس، فدعا الله فحبست الشمس حتى دخلت العير» وهذا منقطع، لكن وقع في «الأوسط» للطبراني من حديث جابر «أن النبي ﷺ أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار» وإسناده حسن. ووجه الجمع أن الحصر محمول على ما مضى للأنبياء قبل نبينا ﷺ، فلم تحبس إلا ليوشع، وليس فيه نفي أنها تحبس بعد ذلك لنبينا...» اهـ فتح الباري: (٢٦٦/٦).

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشمس لم تحبس لبشر إلا =

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى :

«وهو يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام... وهو متفق على نبوته عند أهل الكتاب، فإن طائفة منهم وهم السامرة، لا يقرون بنبوة أحد بعد موسى إلا يوشع بن نون، لأنه مصرح به في التوراة، ويكفرون بما وراءه وهو الحق من ربهم، فعليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم الدين»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وأما شيث بن آدم عليه السلام، فقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى :

«وكان نبياً بنص الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر مرفوعاً، أنه أنزل عليه خمسون صحيفة...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

فالذي أخبرنا الله تعالى بهم هم هؤلاء الأخيار، وما من أمة إلا وقد بعث الله فيها نذير من عباده، وذلك من حكمته تعالى وعدله، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

فالذي يجب على كل مسلم اعتقاده، الإيمان بمن سَمَّى الله تعالى، وأن غيرهم كثير، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى.

قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى :

«... وأما الأنبياء والرسل، فعلينا الإيمان بمن سَمَّى الله تعالى في كتابه من

= ليوشع... الحديث، أخرجه أحمد: (٣٢٥/٢)، والطحاوي في مشكل الآثار: (٢/١٠)، والخطيب البغدادي في التاريخ: (٣٤/٧)، وقال الحافظ أيضاً: «رجال إسناده محتج بهم في الصحيح» (٢٦٦/٦).

(١) البداية والنهاية: (٤٦٨/١).

(٢) المرجع نفسه: (١٣٤/١)، وتكون حينئذ الصحف التي أنزلت عليه من الكتب المنزلة المعلومة لدينا.

رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلاً سواهم، وأنبياء لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم، فعلينا الإيمان بهم جملة، لأنه لم يأت في عددهم نص<sup>(١)</sup>. اهـ.

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (٢/٤٢٣)، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: «وقد اختلف في عدة الأنبياء والمرسلين، والمشهور في ذلك حديث أبي ذر الطويل، أخرجه ابن مردويه في التفسير من رواية أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر سأل النبي ﷺ عن عدد الأنبياء، وأن منهم العرب والسريانيون. ورواه بطوله ابن حبان في كتابه «الأنواع والتقاسيم» وقد وسمه بالصحة، وخالفه الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي فذكره في كتاب الموضوعات، واتهم به إبراهيم بن هشام، ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث. وإن كان صححه ابن حبان.

ورواه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن معان بن رفاعه، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله كم الأنبياء؟... معان بن رفاعه السلامي ضعيف، وعلي بن يزيد ضعيف، والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضاً. ورواه أبو يعلى عن موسى بن عبيد الربذي، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بعث الله ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف إلى بني إسرائيل، وأربعة آلاف إلى سائر الناس»، وهذا أيضاً إسناد ضعيف، فيه الربذي ضعيف وشيخه الرقاشي أضعف منه، والله أعلم. اهـ بتصرف، انظر التفسير: (١/٥٢٢، ٥٢٣). إلا أن الحاكم أخرج في المستدرک: (٢/٢٦٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات: (١/٥١٧)، وهذا لفظه عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: نعم معلّم مكلّم، قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون، قال: كم بين نوح وإبراهيم؟ قال: عشرة قرون، قال: يا رسول الله كم كانت الرسل؟ قال: ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً، قال الحاكم رحمه الله تعالى: «صحيح على شرط مسلم».

وأخرجه ابن حبان في صحيحه، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: «وهذا على شرط مسلم ولم يخرج به». البداية والنهاية: (١/١٣٧). وذكر الحافظ تصحيح ابن حبان ولم يتعقبه، كما في فتح الباري: (٦/٤٤٩). والله تعالى أعلم.

[٦٥] هم<sup>(١)</sup> حجة الله وشهوده، أنبأهم الله بوحيه، وأرسلهم لتبليغه لخلقه، ليعرفوهم به وبشرعه، وينبهوهم إلى آياته، ويذكروهم بإنعاماته، ويبشروهم بالسعادة والنجاة إذا اتبعوهم، ويخوفوهم من الشقاوة والهلاك إذا خالفوهم، فقامت بهم - لما بلّغوا الرسالة وأدوا الأمانة - حجة الله على خلقه، وكانوا - وهم العدول الأمانة الصادقون - شهداء عليهم يوم لقائه.

لقلوه تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۚ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۚ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝﴾ [النساء: ١٦٣ - ١٦٥].

ولقلوه تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ۚ﴾ [النساء: ٤١]، ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ ۚ﴾ [النحل: ٨٩].

[٦٥] لقد قام رسل الله تعالى عليهم الصلاة والسلام بتبليغ دين الله تعالى كما أمرهم ربهم عز وجل، وما فرطوا وما قصّروا، فكانوا حقاً شهود الله وحجته على عباده، هذه عقيدة كل مسلم، لا يشك فيها ولا يرتاب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«والرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - عليهم البلاغ المبين، وقد بلّغوا البلاغ المبين، وخاتم الرسل محمد ﷺ أنزل الله كتابه مصدقاً لما بين يديه من

الكتاب ومهيماً عليه، فهو الأمين على جميع الكتب، وقد بلغ آيين البلاغ وأتمه وأكملة، وكان أنصح الخلق لعباد الله، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد الله حتى أتاه اليقين، فأسعد الخلق وأعظمهم نعيماً وأعلاهم درجة، أعظمهم أتباعاً وموافقة له علماً وعملاً<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى:

«وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بيّنوه بياناً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل له خلافه...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ف «لا أحد أحبّ إليه العذر من الله تعالى، فالله جلّ وعلا أرسل الرسل وأنزل الكتب كي لا يبقى للناس حجة في يوم القيامة، ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ولو لم يرسل الله الرسل إلى الناس لجأوا يوم القيامة يخاصمون الله جلّ وعلا، ويقولون: كيف تعذبنا وتدخلنا النار، وأنت لم ترسل إلينا من يبلغنا مرادك منا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤]، أي لو أهلكهم الله بعذاب جزاء كفرهم قبل أن يرسل إليهم رسولاً، لقالوا: هلاً أرسلت إلينا رسولاً كي نعرف مرادك ونتبع آياتك، ونسير على النهج الذي تريد؟

وفي يوم القيامة عندما يجمع الله الأولين والآخرين يأتي الله لكل أمة برسولها ليشهد عليها بأنه بلغها رسالة ربه، وأقام عليها الحجة ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ﴿يَوْمَ يَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَوُّوا

(١) مجموع الفتاوى: (٢٦/٤).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية: (٤٢٣/٢).

الرَّسُولَ لَوْ سَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٧﴾ [النساء: ٤١ - ٤٢].

ولذلك فإن الذين يرفضون اتباع الرسل، ويعرضون عن هديهم، لا يملكون إلا الاعتراف بظلمهم إذا وقع بهم العذاب في الدنيا ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرِيْبٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَآ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَنَلَّوْنَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَبُولْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خِلْدِينَ ﴿١٥﴾ [الأنبياء: ١١ - ١٥].

وفي يوم القيامة عندما يساقون إلى المصير الرهيب، وقبل أن يلقوا في الجحيم يسألون عن ذنبهم فيعترفون، ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْبِ كُلَّمَا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ [الملك: ٨ - ١١].

وعندما يوضّجون في النار بعد أن يحيط بهم العذاب من كل جانب وينادون ويصرخون تقول لهم خزنة النار: ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَوْتُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ﴿٥٥﴾ [غافر: ٥٠] <sup>(١)</sup>.

ولقد قصّ الله تعالى علينا في كتابه خبر الأنبياء مع أقوامهم، ودعوتهم إياهم إلى التوحيد، وأخبرنا تعالى أنهم لم يذخروا جهداً في القيام بما أمرهم الله تعالى من الدعوة والتبليغ.

فهذا أول الرسل الكرام نوح عليه السلام، يقول الله تعالى عنه وعن دعوته قومه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبَّآ وَهَكَذَا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا فِيْ مَادَانِيهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي

أَعْلَنْتُمْ لَكُمْ وَأَنْتَرْتُمْ لَكُمْ إِسْرَارًا ﴿١٠﴾ فَقُلْتُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانُمْ عَقَارًا ﴿١١﴾ [نوح: ١ - ١٠].

وآخر الرسل نبينا محمد ﷺ، قال في خطبة حجة الوداع بعرفات: «قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قلوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال باصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مرات»<sup>(١)</sup>.

قال العلامة أبو الطيب العظيم آبادي رحمه الله تعالى:

«فأنتم مسؤولون عني، أي عن تبليغي وعدمه، «فما أنتم قائلون»، أي في حقي، «قد بلغت»، أي الرسالة، «وأديت»، أي الأمانة، «ونصحت»، أي الأمة...»، «اللهم اشهد»، على عبادك بأنهم قد أقرّوا بأني قد بلغت، أو المعنى: اللهم اشهد أنت إذ كفى بك شهيداً...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى:

«والمقصود أنّ رسول الله ﷺ استمرّ يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهراً، لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يرده عن ذلك راد، ولا يصدّه عن ذلك صاد، يتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم، وفي المواسم ومواقف الحج، يدعو من لقيه من حر وعبد، وضعيف وقوي، وغني وفقير، جميع الخلق في ذلك عنده شرع واحد...»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

(١) سبق تخريجه: (ص: ٣٣٤) من حديث جابر رضي الله عنه، وفي بعض الروايات: «وأنتم مسؤولون عني، فما أنتم قائلون؟ فقالوا: نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، وأديت ونصحت لأمتك، وقضيت الذي عليك»، انظر حجة النبي ﷺ كما رواها جابر، للألباني رحمه الله تعالى.

(٢) عون المعبود: (٥/ ٢٦٣، ٢٦٤).

(٣) صحيح السيرة النبوية: (ص: ١٤١).

.....

---

وهكذا جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، فمحال أن يصطفى الله تعالى رسله لتبليغ دينه، ثم بعد ذلك لا يقيموا الحجة على خلقه، بل اصطفاء الله لهم يقتضي ذلك، فعلينا أن نشهد أنهم بلغوا ونصحوا، وأقاموا الحجة دعوة وبياناً وتفهماً.

## تأييد الله لهم بالبينات والآيات

[٦٦] لَمَّا أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ لِهَدَايَةِ خَلْقِهِ، وَإِقَامَةِ حُجَّتِهِ، أَيْدَهُم بِالْبَيِّنَاتِ، وَهِيَ كُلُّ مَا تَبَيَّنَ بِهِ الْحَقُّ، مِنْ كَمَالِ سِيرَتِهِمْ فِي قَوْمِهِمْ، وَوُضُوحِ بَيَانِهِمْ، وَقُوَّةِ حُجَّتِهِمْ، وَأَيْدَهُم بِالْآيَاتِ الْمَعْجَزَاتِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ، الْمَعْجُوزِ عَنْ مَعَارَضَتِهَا، فَكَانُوا يَدْعُونَ الْخَلْقَ بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ.

فَإِذَا سَأَلُوهُمْ آيَةً رَدُّوا الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ، وَتَبَرَّؤُوا مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَعَهُ تَصَرُّفٌ فِي الْكَوْنِ حَتَّى يَأْتُوا بِالْآيَاتِ، فَيُعْطِيَهُمُ اللَّهُ الْآيَاتِ تَأْيِيداً لَهُمْ، وَتَخْوِيفاً لِقَوْمِهِمْ، فَيَخْضَعُ قَوْمٌ فَيُؤْمِنُونَ، وَيَسْتَمِرُّ الْأَكْثَرُونَ عَلَى الْعِنَادِ، فَتَحَقُّ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ.

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥]، ﴿قَالُوا يَصْلِحْ ذَا كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ [هود: ٦٢]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يَلْسَانُ قَوْمِهِ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣].

وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ ﴿١﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢﴾ قَالَتْ

لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ  
وَمَا كُنَّا لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾  
وَمَا لَنَا إِلَّا نَنوَكِّلَ عَلَىٰ اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ  
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴿إبراهيم: ٩ - ١٢﴾.

ولقوله تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ إِلَّا نَفْسًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

[٦٦] لقد أقامت الرسل ﷺ الحجة على من أرسلوا إليهم بالبينات التي  
أيدهم الله تعالى بها، فإن «الأنبياء أعطوا العقول الراجحة، والذكاء الفذ،  
واللسان المبين، والبديهة الحاضرة، وغير ذلك من المواهب والقدرات... وقد  
كانوا يعرضون دين الله للمعارضين ويفحمونهم في معرض الحجاج، وفي هذا  
المجال أسكت إبراهيم خصمه ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾  
[البقرة: ٢٥٨]، وقال الله معقبا على محاجة إبراهيم لقومه: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا  
ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾ [الأنعام: ٨٣].

وموسى كان يجيب فرعون على البديهة حتى انقطع، فانتقل إلى التهديد  
بالقوة، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ  
مُوقِنِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ رِيكُزُ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ إِنْ  
رُسُلُكُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ لَا تَحْمِلُ الْوِثْرَةَ الْغَالِيَةَ ﴿٧٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ  
﴿٧٨﴾ قَالَ لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٧٩﴾ [الشعراء: ٢٣ -  
٢٩]... (١).

وقال المصنف رحمه الله تعالى:

«لما كان المقصود من الرسالة هو هداية الخلق، وإقامة الحجة عليهم، كان  
الرسول عليهم الصلاة والسلام أكمل الناس في أخلاقهم، وأنزههم في سيرتهم  
معروفين بين أقوامهم قبل نبوتهم، ثم إذا بعثهم الله تعالى آتاهم من العلم وقوة

الإدراك ووضوح البيان ما تنهض به حجتهم، وتتضح به دعوتهم، ويقطع بكل من يعارضهم حجتهم، ويموه بباطل، وإذا قرأت ما قصه علينا القرآن العظيم من مواقف الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم، رأيت كيف أنهم كانوا يدعون الناس بالحجج والبراهين، والأدلة العقلية الجلية<sup>(١)</sup>.

وما بعث الله رسولاَ إلا وأيده بصالح الأخلاق، وجميل الصفات، ولقد كانت بعثة النبي ﷺ لإكمال مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم التي دعا إليها الرسل قبله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وفي رواية: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»<sup>(٢)</sup>.

«ولقد بلغ الأنبياء في هذا مبلغاً عظيماً، وقد استحقوا أن يشني عليهم رب الكائنات... وقد كان لهذه الأخلاق أثر كبير في هداية الناس وتربيتهم... ولو لم يتصف الرسل بهذا الكمال الذي حباهم الله به، لما انقاد الناس لهم، ذلك أن الناس لا ينقادون عن رضا وطوعية لمن كثرت نقائصه، وقلت فضائله...»<sup>(٣)</sup>.

ثم إن الله جلّ جلاله أيد رسله عليهم الصلاة والسلام بما أرسل معهم من الآيات البينات على صدق دعوتهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥]، «أي بالمعجزات والحجج الباهرات والدلائل القاطعات»<sup>(٤)</sup>.

وكل نبي محتاج إلى آية تدل على صدقه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

(١) مجالس التذكير من حديث البشير النذير للمصنف رحمه الله تعالى: (ص: ٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: (٢٧٣)، والحاكم في المستدرک: (٦١٣/٢)،

وأحمد: (٣٨١/٢)، وقال الحاكم رحمه الله تعالى: «صحيح على شرط الشيخين،

ووافقه الذهبي رحمه الله تعالى. وانظر السلسلة الصحيحة: (٤٥).

(٣) الرسل والرسالات: (ص: ٨٠، ٨١).

(٤) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٢٨٣/٤).

رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فارجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى شارحاً للحديث:

«هذا دال على أن النبي لا بد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه، ولا يضره من أصرّ على المعاندة...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

«وإذا استقرأنا الآيات والمعجزات التي أعطاها الله لرسله وأنبيائه، نجدها تدرج تحت ثلاثة أمور: العلم، والقدرة، والغنى»<sup>(٢)</sup>.

«فالإخبار بالمغيبات الماضية والآتية، كإخبار عيسى قومه بما يأكلونه ويدخرونه في بيوتهم، وإخبار رسولنا ﷺ بأخبار الأمم السابقة، وإخباره بالفتن وأشرار الساعة التي ستأتي في المستقبل، كل ذلك من باب العلم.

وتحويل العصا أفعى، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، وشق القمر وما أشبه هذا، من باب القدرة.

وعصمة الله لرسوله ﷺ من الناس، وحمايته له ممن أراد به سوء، ومواصلته للصيام مع عدم تأثير ذلك على حيويته ونشاطه من باب الغنى.

وهذه الأمور الثلاثة: العلم، والقدرة، والغنى، التي ترجع إليها المعجزات، لا ينبغي أن تكون على وجه الكمال إلا لله تعالى، ولذلك أمر الله رسوله ﷺ بالبراءة من دعوى هذه الأمور: «وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَنِّي إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ» [الأنعام: ٥٠]...»<sup>(٣)</sup>.

(١) فتح الباري: (٩/٩)، وسيأتي تخريج الحديث إن شاء الله تعالى (ص: ٣٨٢).

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (٣١٣، ٣١٢/١١).

(٣) الرسل والرسالات: (ص: ١٢٣).

وقد ذكر الله تعالى في كتابه اقتراح أعداء الرسل أن يأتوا بخارق، فقالوا لهم: ﴿فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، «أي خارق نقترحه عليكم»، ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾، أي صحيح أنا بشر مثلكم في البشرية، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، أي بالرسالة والنبوة، ﴿وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ﴾ على وفق ما سألتم ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، أي بعد سؤالنا إياه وإذنه لنا في ذلك، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، أي في جميع أمورهم...»<sup>(١)</sup>.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

«... وأنهم كانوا إذا سئلوا الآيات المعجزات الخارقة للعادة ردوا الأمر إلى الله، ونفوا أن تكون لهم قدرة على الإتيان بها إلا بإذن الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، فيظهر الله على أيديهم الآيات تأييداً لهم وتخويفاً لأقوامهم، وقطعاً لمشاغبته، فيخضع لها بعضهم، ويستمر الأكثرون على العناد...»<sup>(٢)</sup>.

فالرسل عليهم الصلاة والسلام لا يملكون خزائن الله، ولا يتصرفون فيها ولا يعلمون الغيب، ولا يدعون أنهم ملائكة، بل هم بشر من البشر، يوحى إليهم من الله تعالى، شرفهم بذلك وأنعم عليهم به، فهم يتبعون ما أوحى إليهم، ولا يخرجون عنه قيد شبر ولا أدنى منه، وما أجرى على أيديهم من الآيات المبصرات والآيات الباهرات، إذا نظر فيها مريد الحق، دلته أنها شهادة صادقة من الله لرسله عليهم الصلاة والسلام<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٢/ ٤٨١)، والآيات من سورة إبراهيم: [١٠ - ١٢].

(٢) مجالس التذكير: (ص: ٣٣، ٣٤).

(٣) راجع تفسير ابن كثير: (٢/ ١٢٥)، والرسل والرسالات: (ص: ١٣١)، لتقف على أمثلة من آيات ومعجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام.

## فائدة:

إن المعجزات والآيات التي يرسلها الله تعالى للدلالة على صدق رسله عليهم الصلاة والسلام تنقطع بموتهم<sup>(١)</sup>، ولا يبقى إلا الكرامات، فإن من أصول أهل السنة والجماعة وأتباع السلف، التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله تعالى على أيديهم من خوارق العادات، في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات<sup>(٢)</sup>.

وذلك أن الله تعالى يعطي بعض عباده أموراً خارقة للعادة، لا للتحدي والإعجاز، فإن ذلك للرسول، وإنما إكراماً لهم على صلاحهم، وتقواهم وقوة إيمانهم.

ثم اعلم أخي المسلم - بارك الله فيك - أن الكرامة ليست دائماً «دليلاً على تفضيل هذا المعطي على غيره، فقد يعطي الله الكرامة ضعيف الإيمان لتقوية إيمانه، ومحتاجاً لسد حاجته، ويكون الذي لم يعط مثل ذلك أكمل إيماناً وأعظم

(١) المقصود بانقطاعها، أنها لا تأتي لدلالة على صدق أحد بعدهم، وإنما قد تأتي علامات ودلالات على ما أخبر به رسول الله ﷺ أنه سيقع، فتكون من الآيات الدالة على صدق الرسول بعد موته، ومن ذلك إخباره ﷺ بزوال كسرى وقيصر، وأن كنوزهما ستنفق في سبيل الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفق كنوزهما في سبيل الله» [أخرجه البخاري: (٥٧ - ٦١ - ٨٣)، ومسلم: (٢٩١٨)، وقد ثبت عنه ﷺ عند البخاري: (١٤٣/١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال في قيصر: «ثبت الله ملكه»، قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: «ووجه الجمع بين الحديثن أن كسرى تمزق ملكه فلم يبق لهم ملك، وأنفقت كنوزه في سبيل الله، وأورث الله المسلمين أرضه، وقيصر ثبت ملكه بالروم، وانقطع عن الشام، واستبيحت خزائنه التي كانت بهما، وأنفقت في سبيل الله. فمعنى قوله: لا قيصر بعده، يعني بالشام» شرح السنة: (٣١٠/١٣).

(٢) راجع شرح العقيدة الطحاوية: (ص: ٥٦٣).

ولاية، وهو لذلك مستغن عن مثل ما أعطي غيره، ولذلك كانت الأمور الخارقة في التابعين أكثر منها في الصحابة؛ وعلى هذا فلا ينبغي أن يشغل المرء نفسه بالتطلع إلى الكرامة، ولا ينبغي له أن يحزن إذا لم يعطها، وقد صدق أبو علي الجوزجاني وبرّ، حين قال: «كن طالباً للاستقامة، لا طالباً للكرامة، فإنّ نفسك منجبة على طلب الكرامة، وربّك يطلب منك الاستقامة». قال بعض من فهم قوله: «وهذا أصل عظيم كبير في الباب، وسرّ غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلاب»<sup>(١)</sup>.

ثمّ احذر أخي المسلم أن تنخدع بكل من جرت على يديه خوارق العادات، فتظن أنّه من أولياء الله الصالحين، فبعض الناس يظهرون أموراً خارقة وهم من أفجر خلق الله، «فالكرامة سببها الإيمان والتقوى والاستقامة على طاعة الله تعالى، فإذا كانت الخارقة بسبب الكفر والشرك والطغيان والظلم والفسق، فهي من الأحوال الشيطانية، لا من الكرامات الرحمانية»<sup>(٢)</sup>، والمعصوم من عصمه الله تعالى.

(١) الرسل والرسالات: (ص: ١٦٠)، وانظر مجموع الفتاوى: (١١/ ٣٢٠).

(٢) المرجع نفسه: (ص: ١٦١).

## تمام عبوديتهم مع علو مرتبتهم

[٦٧] هم عليهم الصلاة والسلام - على علو منزلتهم - ، يمتازون على الخلق في تمام عبوديتهم ، بافتقارهم إلى الله ، وجريان قدره عليهم ، وعدم ملكهم شيئاً معه من <sup>(١)</sup> التصرف في ملكه ، وعدم علمهم الغيب (إلا ما علمهم الله) <sup>(٢)</sup> ، وجريان شرعه عليهم ، وقيامهم بما كلفوا به خاضعين لله راجين خائفين .

لقوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] ، ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] ، ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكُمُّ إِنَّ أَنْبِئُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩] ، ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] ، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَضَكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] ، ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] .

ولقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧] .

[٦٧] سبق أن ذكرنا أن من حكمة الله تعالى جعله الرسل من البشر ، فهم يمثلون الكمال الإنساني في أرقى صورته <sup>(٣)</sup> .

والرسل عليهم الصلاة والسلام يعدّون إعداداً خاصاً للقيام بما فرض الله

(٣) الرسل والرسالات: (ص: ٧٩) .

(١) في (ص) «في» .

(٢) ما بين قوسين غير موجود في (ح) .

تعالى عليهم من البلاغ والتبشير والإنذار.

«ومقتضى كونهم بشراً أن يتصفوا بالصفات التي لا تنفك عنها البشرية... ويصيبهم ما يصيب البشر من أعراض، فهم ينامون ويقومون، ويصيحون ويمرضون، ويأتي عليهم ما يأتي على البشر وهو الموت، فقد جاء في ذكر إبراهيم خليل الرحمن لربه: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِي يُبَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِيَنِي ﴿٨٦﴾ [الشعراء: ٧٩ - ٨١]. وقال لعبده ورسوله محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠) [الزمر: ٣٠]، وقال مبيّناً أن هذه سنته في الرسل كلهم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]...

ومن مقتضى بشرية الرسل، أنهم يتعرضون للابتلاء كما يتعرض البشر... والأنبياء لا يصابون بالبلاء فحسب، بل هم أشد الناس بلاء<sup>(١)</sup>...

ومن مقتضى بشريتهم أنهم قد يقومون بالأعمال والأشغال التي يمارسها البشر، فمن ذلك اشتغال الرسول ﷺ بالتجارة قبل البعثة، ومن ذلك رعي الرسل للغنم<sup>(٢)</sup>...»<sup>(٣)</sup>.

(١) كما جاء في الحديث عن سعد بن أبي وقاص، قال: «قلت يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء...» الحديث، انظر تخريجه في السلسلة الصحيحة: (١٤٣).

(٢) عن جابر بن عبد الله، قال: «كنا مع رسول الله ﷺ نجني الكباش، وأن رسول الله ﷺ قال: عليكم بالأسود منه، فإنه أطيبه، قالوا: أكنت ترعى الغنم؟ قال: وهل من نبي إلا وقد رعاها». أخرجه البخاري: (٣٤٠٦)، والكبش بفتح الكاف الموحدة الخفيفة وآخره مثله، هو ثمر الأراك، ويقال ذلك للنضيج منه. انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٥٣٣/٦).

قال الحافظ رحمه الله تعالى: «... والذي قاله الأئمة أن الحكمة من رعاية الأنبياء للغنم، ليأخذوا أنفسهم بالتواضع، وتعتاد قلوبهم الخلوة، وترقوا من سياستهم إلى سياسة الأمم». اهـ فتح الباري: (٥٣٤/٦).

وقال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى: «... أن الله تعالى لم يضع النبوة في أبناء الدنيا والمترفين منهم، وإنما جعلها في أهل التواضع، كرعاة الشاء وأصحاب الحرف...» اهـ فتح الباري: (٥٣٤/٦).

(٣) الرسل والرسالات: (ص: ٧٤ - ٧٦).

ومقتضى كونهم بشراً أنهم ليسوا آلهة، وليس فيهم من صفات الله تعالى شيئاً، فهم لا يعلمون الغيب ولا يدعونه إلا ما أطلعهم الله عليه، ﴿عَلِمَ الْغَيْبُ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (١١٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴿[الجن: ٢٦ - ٢٧]، فإنهم يتبرؤون من الحول والطول، ويعتصمون بالله تعالى وحده، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَإِيمَىٰ إِلَهُيْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَ الْغُيُوبَ﴾ (١١٧) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿[المائدة: ١١٦ - ١١٧].

«هذه مقالة عيسى في الموقف الجامع في يوم الحشر الأكبر، وهي مقولة صدق تنفي تلك الأكاذيب والترهات التي وصف بها النصارى عبد الله ورسوله عيسى، فطائفة قالت: الله هو المسيح بن مريم حلّ في بطن مريم، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وأخرى قالت: هو ثالث ثلاثة، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، وطائفة ثالثة قالوا هو ابن الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (٨٨) ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ (٨٩) ﴿[مريم: ٨٨ - ٨٩].

لقد غلا النصارى في عيسى غلواً عظيماً، وهم بمقالتهم الغالية هذه يسبون الله أعظم سبّ وأقبحه، فهم يزعمون [أَنْ رَبَّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ عَنْ كُرْسِيِّ عَظَمَتِهِ، فَالْتَحَمَ بِبَطْنِ أَنْثَى، وَأَقَامَ هُنَاكَ مَدَّةً مِنَ الزَّمَانِ، بَيْنَ دَمِ الطَّمْثِ فِي ظُلُمَاتِ الْأَحْشَاءِ، تَحْتَ مَلْتَقَى الْأَعْكَانِ، ثُمَّ خَرَجَ صَبِيًّا رَضِيْعًا يَشَبُّ شَيْئًا فُشِيًّا، وَيَبْكِي، وَيَأْكُلُ، وَيَشْرَبُ، وَيَبُولُ، وَيَتَقَلَّبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ، ثُمَّ أَوْدَعَ الْمَكْتَبَ مَعَ صَبِيَّانِ الْيَهُودِ، يَتَعَلَّمُ مَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ، هَذَا وَقَدْ قَطَعْتَ مِنْهُ الْقُلْفَةَ حِينَ الْخِتَانِ، ثُمَّ

جعل اليهود يطردونه من مكان إلى مكان، ثم قبضوا عليه وأحلوه أصناف الذل والهوان، ففقدوا على رأسه من الشوك تاجاً من أقبح التيجان، وأركبوه قسبة ليس لها لجام ولا عنان، ثم ساقوه إلى خشبة الصليب مصفوعاً مبصوقاً في وجهه، وهم خلفه وأمامه وعن شمائله والأيمان، ثم أركبوه ذلك المركب الذي تقشعر منه القلوب مع الأبدان، ثم شدّت بالحبال يده مع الرجلان، ثم خالطهما تلك المسامير، التي تكسر العظام، وتمزق اللحم، وهو يستغيث، ويقول: ارحموني، فلا يرحمه منهم إنسان، هذا هو مدبر العالم العلوي والسفلي، الذي يسأله من في السموات والأرض كلّ يوم هو في شأن، ثم مات ودفن في التراب تحت صمّ الجنادل والصوّان، ثم قام من القبر وصعد إلى عرشه وملكه بعد أن كان ما كان، فأيّ سبّ أعظم من هذا السبّ، الذي نسبوه إلى الباري جلّ وعلا! وأيّ ضلال أعظم من هذا الضلال<sup>(١)</sup>.

فليس في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من خصائص الألوهية، فضلاً عن خصائص الملائكة شيئاً، فلا يملكون نفعاً وضرراً، ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [نوح: ٢١]، وإنما هم عباد الله، يهدون الناس إلى الله، قد حازوا السبق في تحقيق العبودية، ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدًا أَوْبَ﴾ [ص: ٤١]، ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدًا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [١٥]، ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالَتِهِمْ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [٤١]، ﴿وَأَنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [١٧]، ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [٢٨]، [ص: ٤٥ - ٤٨].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

«يقول تبارك وتعالى مخبراً عن فضائل عباده المرسلين، وأنبيائه العابدين

(١) انظر الرسل والرسالات: (ص: ٧٧، ٧٨). والنص بين معكوفتين للإمام ابن القيم من كتابه هداية الحيارى، نقلاً عن المرجع السابق. وهؤلاء مثل الذين زعموا أنّ عليّاً عليه السلام إله.

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدًا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَسْمُوتَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَرِ﴾ (٤٥)، يعني بذلك العمل الصالح، والعلم النافع، والقوة في العبادة، والبصيرة النافذة...

قال مجاهد: ﴿أُولَى الْأَيْدَى﴾ يعني القوة في طاعة الله تعالى، ﴿وَالْأَبْصَرِ﴾ يعني البصر في الحق، وقال قادة والسدي: أعطوه قوة في العبادة، وبصراً في الدين... (١).

«فكلما كان الإنسان أكثر تحقيقاً للعبودية لله تعالى، كلما كان أكثر رقياً في سلم الكمال الإنساني، وكلما ابتعد عن تحقيق العبودية لله، كلما هبط وانحدر، والرسول حازوا السبق في هذا الميدان، فقد كانت حياتهم انطلاقة جادة في تحقيق هذه العبودية» (٢).

وبهذا تعلم أخي المسلم، أن الله تعالى لم يجعل الأنبياء ولا ذواتهم ولا جاههم - فضلاً عن الصالحين - سبباً للزلفى لديه، وإنما جعل الوسيلة إليه هو اتباعهم وتصديق ما أخبروا به، واتباع النور الذي جاؤوا به، والجهاد من أجل تقريره وتثيته بين الخلق (٣).

(١) التفسير: (٣٦/٤، ٣٧)، وقال علي بن طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أولي الأيدي»، يقول: أولي القوة، «والأبصار»، يقول: الفقه في الدين.

(٢) الرسل والرسالات: (ص: ٨٣، ٨٤).

(٣) انظر هذه مفاهيمنا للشيخ العلامة صالح عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله تعالى: (ص:

## تأدينا معهم فيما عوتبوا عليه واستغفروا منه

[٦٨] هم عباد الله يخاطبهم بما شاء، ويعاتبهم بما أراد، فيعترفون ويستغفرون، وليس لنا فيما عوتبوا عليه واستغفروا منه إلا حكاية لفظه، كما ثبت في الكتاب والسنة، مع اعتقاد احترامهم وإكبارهم<sup>(١)</sup>، وأن الله يعاتبهم على قدر علو منزلتهم، وأنهم لكمال معرفتهم بربهم وعظيم حقه عليهم، يرون ما لا يعدّ تقصيراً بالنسبة لغيرهم، تقصيراً بالنسبة لهم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

[٦٨] لما كان رسل الله عليهم الصلاة والسلام من البشر، اقتضى ذلك أن يقع منهم بعض المخالفات الصغيرة، التي هي دليل على بشريتهم، وهذا قول أكثر من يعتدّ بقوله من علماء الإسلام، بل لا يعرف لهم مخالف من الصحابة، ولا من التابعين وتابعيهم، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«القول بأنّ الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر، هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتّى إنّه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الأمدي، أنّ هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما وافق هذا القول...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

(١) في (ج) «إكبار جانبهم».

(٢) مجموع الفتاوى: (٣١٩/٤).

والدليل على ذلك معصية آدم ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «حاج موسى آدم، فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم، قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، اتلومني على أمر كتبته الله علي قبل أن يخلقني، فحج آدم موسى»<sup>(١)</sup>.

وهكذا نوح ﷺ مع ابنه، وموسى ﷺ مع القبطي، وداود ﷺ مع الخصم الثاني، ونبينا ﷺ عاتبه ربه في أمور ذكرها الله تعالى في مواضع من الكتاب العزيز.

«هذه أمثلة اكتفينا بذكرها عن غيرها، وإلا فقد ورد في القرآن مغاضبة يونس لقومه، وخروجه من قومه من غير إذن ربه، وما صنعه أولاد يعقوب بأخيهم يوسف في إلقائه في غياب الجب، ثم أوحى الله إليهم وجعلهم أنبياء»<sup>(٢)</sup>.

ولكننا نبرأ إلى الله تعالى من أبناء القردة والخنازير، الذين ينسبون بهتاناً وزوراً بعض القبائح إلى المصطفين الأخيار، أولئك حزب الشيطان الأشرار، اليهود والنصارى في ذلك سواء.

«فإن الأمة الإسلامية مجمعة على أن مثل هذه الذنوب التي نسبها اليهود والنصارى إلى أنبياء الله، كالزنى والسرقة والمخادعة وصناعة الأصنام وعبادتها... لا يمكن أن تقع من أحد من الأنبياء والرسل بحال من الأحوال، وأنهم معصومون من ذلك...»<sup>(٣)</sup>.

وإنما الذي وقع فيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كله من المخالفات التي لا يسلم منها بشر، بل هي من مقتضيات بشريتهم، كما أنه لم يقترب نبي من

(١) أخرجه البخاري: (٤٧٣٨).

(٢) الرسل والرسالات: (ص: ١٠٩).

(٣) المرجع نفسه: (ص: ١٠٦).

الأنبياء ذنباً، إلّا وقد سارع إلى التوبة والإنابة والاستغفار، فالله تعالى لا يقرهم على ذنب، وهم لا يؤخرون التوبة صلوات الله وسلامه عليهم، والله تعالى لم يعصمهم من صفائر الذنوب، ولكنه تعالى عصمهم من الإصرار عليها، وهم بعد التوبة أكمل منهم قبلها<sup>(١)</sup>.

يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر حفظه الله تعالى:

«هذه الصفائر التي تقع من الأنبياء، لا يجوز أن تتخذ سبيلاً للظعن فيهم، والإضرار عليهم، فهي أمور صغيرة ومعدودة، غفرها الله لهم، وتجاوز عنها، وطهرهم منها، وعلى المسلم أن يأخذ العبرة والعظة لنفسه من هذه، فإذا كان الرسل الكرام الذين اختارهم الله واصطفاهم، عاتبهم الله ولاهم على أمور كهذه، فإنه يجب أن نكون على حذر وتخوف من ذنوبنا وآثامنا، وعلينا أن نتأسى بالرسول والأنبياء في المسارعة إلى التوبة والأوبة إلى الله، وكثرة التوجه إليه واستغفاره...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

### فائدة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلّا ثلاث كذبات»<sup>(٣)</sup>.

وقد بين رسول الله ﷺ هذه الكذبات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلّا ثلاث كذبات: ثنتين منهنّ في ذات الله عزّ وجلّ، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ نَعْكُهُ كَيْدُكُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إنّ ها هنا

(١) راجع كتاب «حجة السنة» للشيخ عبد الغني عبد الخالق.

(٢) الرسل والرسالات: (ص: ١١٢).

(٣) أخرجه البخاري: (٣٣٥٧).

رجلاً معه امرأة من أحسن النساء، فارسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي. فأتى سارة، قال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني عنك فاخبرته أنك أختي، فلا تكذّبيني. فارسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ. قال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فاطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فاطلق. فدعا بعض حجبته فقال: إنكم لم تاتوني بإنسان، إنما أتيتموني بشيطان، فاخدمها هاجر، فانتته وهو قائم يصلي، فلوما بيده: مَهَيْم؟ قالت: ردّ الله كيد الكافر - أو الفاجر - في نحره وأخدم هاجر، قال أبو هريرة: تلك أمكم يا بني ماء السماء»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: (٣٣٥٨). هكذا موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «... ولكن الحديث في الأصل ثابت الرفع، لكن ابن سيرين كان يقف كثيراً من حديثه تخفيفاً». فتح الباري: (١٦٠/٩)، وانظر: (٤٧٢/٦) منه. وقال رحمه الله تعالى: «... قوله: مهيم، وفي رواية المستملي: مهيا، وفي رواية ابن السكن: مهين، بنون وهي بدل الميم، وكأنّ المستملي لما سمعها بنون ظنها نون تنوين، ويقال إنّ الخليل أول من قال هذه الكلمة، ومعناها: ما الخبر؟... قوله: قال أبو هريرة: تلك أمكم يا بني ماء السماء، كأنه خاطب العرب لكثرة ملازمتهم للفلوات التي بها مواقع القطر لأجل رعي دوابهم، ففيه تمسك لمن زعم أنّ العرب كلّهم من ولد إسماعيل، وقيل: أراد بماء السماء زمزم، لأنّ الله أتبعها لهاجر، فعاش ولدها بها فصاروا كأنهم أولادها. قال ابن حبان في صحيحه: كلّ من كان من ولد إسماعيل يقال له ماء السماء، لأنّ إسماعيل ولد هاجر، وقد ربي بماء زمزم، وهي من ماء السماء. وقيل: سموا بذلك لخلوص نسبهم وصفائهم، فأشبه ماء السماء، وعلى هذا فلا متمسك فيه. وقيل: المراد بماء السماء عامر ولد عمرو بن عامر بن بقيا بن حارثة بن الغطريف، وهو جد الأوس والخزرج، وقالوا: إنما سمي بذلك لأنه كان إذا قحط الناس أقام لهم ماله مقام المطر، وهذا أيضاً على القول بأنّ العرب كلّها من ولد إسماعيل...». اه فتح الباري: (٤٧٦/٦).

فقد ذكر رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق هذه الكذبات لخليل الرحمن عليه الصلاة والسلام، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ كَيْدُكُمْ هَذَا﴾، وقوله في سارة<sup>(١)</sup>.

ولكن لا يذهبن ذهنك أخي المسلم بعيداً، فليست كذبات الخليل من جنس كذب المنافق، أو كذب أهل الغدر، فتكذب رسولك ﷺ، وتقول: ليست هذه بكذبات، وإنما ذلك نهج أهل الزيف والضلال والجهل، بل كن مؤمناً مصدقاً لرسولك ﷺ، متبعاً أهل السنة والعلم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

«ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله، حاشا وكلا ولما، وإنما أطلق الكذب على هذا تجوّزاً، وإنما هو من المعارض في الكلام لمقصد شرعي ديني، كما جاء في الحديث: «إِنَّ فِي الْمَعَارِضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكُذْبِ»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

«وأما إطلاقه الكذب على الأمور الثلاثة، فلكونه قال قولاً يعتقده السامع كذباً، لكنه إذا حقق لم يكن كذباً لأنه من باب المعارض المحتملة للأمرين فليس بكذب محض، فقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ يحتمل أن يكون أراد أنني سقيم، أي سأسقم، واسم الفاعل يستعمل بمعنى المستقبل كثيراً، ويحتمل أنه أراد أنني سقيم بما قدر عليّ من الموت، أو سقيم الحجة على الخروج معكم، وحكى النووي عن

(١) هذا هو الصحيح، وقد زيدت في كذباته ﷺ قوله في الكوكب: «هذا ربي»، قال الحافظ رحمه الله تعالى: «الذي يظهر أنها وهم من بعض الرواة فإنه ذكر قوله في الكوكب بدل قوله في سارة، والذي اتفقت عليه الطرق ذكر سارة دون الكوكب...» اهـ فتح الباري: (٤٧٣/٦).

(٢) التفسير: (١٢/٤).

بعضهم أنه كان تأخذه الحمى في ذلك الوقت، وهو بعيد لأنه لو كان كذلك لم يكن كذباً، لا تصريحاً ولا تعريضاً، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُمْ كَيْدُكُمْ هَذَا﴾، قال القرطبي: هذا قاله تمهيداً للاستدلال على أن الأصنام ليست بألة، وقطعاً لقومه في قولهم إنها تضر وتنفع، وهذا الاستدلال يتجاوز فيه الشرط المتصل، ولهذا أردف قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُمْ كَيْدُكُمْ﴾ بقوله: ﴿فَتَشَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾، قال ابن قتيبة: معناه إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا، فالحاصل أنه مشروط بقوله: ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾، أو أنه أسند إليه ذلك لكونه السبب.

وعن الكسائي أنه كان يقف عند قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُمْ﴾، أي فعله من فعله كائناً من كان، ثم يبتدىء ﴿كَيْدُكُمْ هَذَا﴾، وهذا خبر مستقل، ثم يقول: ﴿فَتَشَلُّوهُمْ﴾ إلى آخره، ولا يخفى تكلفه.

وقوله: «هذه أختي»، يعتذر عنه بأن مراده أنها أخته في الإسلام.

قال ابن عقيل: دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم، وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثقاً به ليعلم صدق ما جاء به عن الله، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه، فكيف مع وجود الكذب منه، وإنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب عند السامع، وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم عليه السلام - يعني إطلاق الكذب على ذلك - إلا في حال شدة الخوف لعلو مقامه، وإلا فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز، وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفعاً لأعظمهما، وأما تسميته إياها كذبات فلا يريد أنها تدم، فإن الكذب وإن كان قبيحاً مخللاً، لكنه قد يحسن في مواضع وهذا منها...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

ومما يؤكد هذا المعنى قوله في الحديث عن كذباته عليه السلام: «...ثَنَتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ...».

فقد «خصهما بذلك لأن قصة سارة، وإن كانت أيضاً في ذات الله، لكن

تضمنت حظاً ونفعاً له، بخلاف الثنتين الأخيرتين، فإنهما في ذات الله محضاً، وقد وقع في رواية هشام بن حسان... «إن إبراهيم لم ينكب قط إلا ثلاث كذبات، كل ذلك في ذات الله»، وفي حديث ابن عباس عند أحمد: «والله إن جادل بهن إلا عن دين الله»...<sup>(١)</sup>.

فهذا أخي سبيل المؤمنين من علماء المسلمين، فلا تطعن في حديث رسولك، وتقول هذا غير صحيح، أو تقول: كيف يكذب إبراهيم وله مكان صدق عليا عند ربه؟ أو تكون كالذين يفترون على الأنبياء فتنسب أباك إبراهيم إلى الكذب، وإنما تؤمن وتصديق بما أخبر به الرسول ﷺ، وقد ظهر لك من أقوال علمائنا المراد بالكذب هنا، وقبل هذا وذاك، لا تنس قول مولاك: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١]، والله الموفق.

(١) المرجع السابق: (٦/٤٣٧، ٤٧٤).

## ختم الرسالة وعمومها

[٦٩] ختم الله الرسالة بمحمد ﷺ، وجعل رسالته الرسالة العامة للجن والإنس والملائكة، وجعل شريعته الشريعة الجامعة لما يحتاج إليه البشر فيما بقي آخر أطوارهم في وجودهم، وهو طور رقيهم العقلي والعلمي والعمراني، فأغنت عما قبلها من الشرائع، فكانت ناسخة لها.

ولهذا<sup>(١)</sup> جعل آيته القرآن آية خالدة علمية خالدة، يخضع لها ويهتدي بها كل من سمعها وفهمها، لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿لَا نُذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١] د ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية: ١٨].

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فارجو أن أكون أكثرهم تابِعاً (يوم القيامة)<sup>(٢)</sup>»، رواه البخاري ومسلم<sup>(٣)</sup>.

(١) كلمة «ولهذا» غير موجودة في (ح).

(٢) ما بين قوسين غير موجود في (ح).

(٣) أخرجه البخاري: (٤٩٨١ - ٧٢٧٤)، ومسلم: (١٨٦/٢ نووي)، وأحمد: =

[٦٩] إِنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هُوَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده، فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأخرى، لأنّ مقام الرسالة أخص من مقام النبوة... وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم... فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ﷺ، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه، ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده، ليعلموا أنّ كلّ من ادّعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفك دجال ضال مضل، ولو تحرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم...، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب، كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة، ما علم كلّ ذي لب وفهم وحجى، أنّهما كاذبان إلى يوم القيامة، حتى يختموا بالمسيح الدجال<sup>(١)</sup>، فكل واحد من هؤلاء الكذّابين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما

= (٢/٣٤١، ٤٥١)، والبيهقي في السنن: (٤/٩)، والبغوي في شرح السنة: (٣٦١٥)، وابن منده في الإيمان: (٢/١٦٨)، وأبو نعيم في الحلية: (١٠/٢٣٣).

(١) ومن هؤلاء الكذّابين ميرزا غلام أحمد الذي ادّعى أنه هو خاتم الأنبياء، فأسس دين القاديانية أو الأحمدية بالتعاون مع البريطانيين عام (١٩٠٠) لما كانوا يحكمون شبه القارة الهندية، وقد حضى أيضاً بالتعاون التام من اليهود وبما يسمى اليوم دولة إسرائيل، وقد بدأت حركته في قرية قديالة الواقعة جنوب إقليم البنجاب بالهند، ثم انتقلت إلى باكستان بعد تقسيم شبه القارة الهندية: الهند وباكستان، ويعد القاديانيون اليوم نحو نصف مليون شخص، وهم من كبار الموظفين في الدول التي ينتشرون فيها، إضافة إلى أنهم يملكون ناصية المال والذهب، شأنهم في ذلك شأن اليهود، ويستخدمون عدة طرق لجذب =

= الناس إليها، منها توزيع المال والغذاء على الفقراء من المسلمين، ويستغلون هذه الطريقة التي يرونها مناسبة، كما تعطي لأبناء الفقراء من المسلمين منحة دراسية لإكمال الدراسات العليا، مما يجعل الناس يقبلون على القاديانية، والقاديانيون منتشرون في معظم دول العالم، خاصة في قارة آسيا وإفريقيا وأستراليا، إلى بريطانيا وألمانيا وكندا والكيان الصهيوني، حيث يتخذون من حيفا مقراً دائماً لهم، ويعقدون مؤتمراً سنوياً لهم في مكان عال في لاهور، أو في حيفا في فلسطين، ولديهم أكبر نادي رياضي وترفيهي في حيفا، ولهم الدعم التام من اليهود، ويركزون على تعريف المسلمين بالقاديانية، باعتباره الدين الصحيح بزعمهم، ويعتقدون أنهم يمكن نشر دينهم في العالم كله حتى في مكة والمدينة، زادهما الله شرفاً، ولكن يقولون أن انتشار القاديانية يجب أن يكون تحت الرعاية البريطانية، فهم حسب زعمهم أكثر الناس قدرة على حماية هذا المذهب، وأن من دون هذه الحماية البريطانية التي تشكل ذرعاً واقياً للقاديانية، فإنَّ القاديانية ستصبح مكشوفة للآخرين ويمكن القضاء عليها بسهولة، ومن هنا فإنه من الضروري أن ترتبط القاديانية بأي دولة عظمى لتحميها، وعلى القاديانيين أن يكونوا على علاقة طيبة مع المسؤولين في الدول التي يعيشون فيها، وذلك حتى يتوصلوا إلى ما يريدون دون عقبات أو مشاكل.

ويعتقدون أن المسلمين في العالم يجب أن يكونوا مسلمين قاديانيين باعتباره المذهب الصحيح، وباعتبار أنَّ ميرزا غلام أحمد نبي أوحى إليه، لا فرق بينه وبين باقي الأنبياء، ويعتقدون أنهم على حق وغيرهم على باطل، ومبادئهم هي التي ستسود في النهاية، ويزعمون أنهم كمسلمين قاديانيين! هم أفضل من يناقش القضايا الإسلامية، وأفضل من يمثل الإسلام، ويعتقدون أن مهمتهم هي إيقاظ المسلمين في العالم، وأن القاديانية هو المذهب الصحيح الذي سيعيد الأوضاع كما كانت من قبل، وهذا لن يتم إلا من خلال إيمان الجميع، بأنَّ النبي الموحى إليه أحمد بن قاديان هو نبي هذه الأمة، وأن أتباعه المنتشرين في بريطانيا وأمريكا وإسرائيل وفي كل أنحاء العالم، سعيدهم المسلمين إلى الطريق الصحيح.

ويقول المصنف رحمه الله تعالى: «قد ضلت وهلكت باتباع أشخاص ادعوا النبوة من هذه الأمة طوائف كثيرة، وقد كان منهم أول الإسلام مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، ثم كان المختار بن عبيد الثقفي، ثم كان منهم في عصرنا وقبيله الباب، وإليه تنسب =

يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها، وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرؤن بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق، أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره، ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُتِيكُمُ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيرٍ ﴿١﴾، وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرؤن به وينهون عنه، مع ما يؤيدون به من خوارق للعادات، والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات، فصلوات الله وسلامه عليهم دائماً مستمراً ما دامت الأرض والسماوات...»<sup>(١)</sup>.

ولما اختار الله تعالى رسوله محمداً ﷺ لختم الرسالة، فقد بعثه بالدين القويم، والصراط المستقيم، وجعل رسالته رسالة عامة للناس أجمعين إلى يوم الدين، «وافترض على العباد طاعته، وتعزيزه<sup>(٢)</sup>، وتوقيره، ومحبته، والقيام

= البابية، والبهاء، وإليه تنسب البهائية، وغلाम القادياني، وإليه تنسب القاديانية، وقد كادت هذه القاديانية تدخل الجزائر على يد طائفة الحلول وشيوخها، لولا أن قام في وجوههم العلماء المصلحون وفضحوهم على صفحات «الشهاب»... فردّ الله كيدهم، ووقى الله الجزائر شرّاً عظيماً». انظر مجالس التذكير: (ص: ٩٨).

فانظر أخي المسلم وقارن بين نشأة دين الروافض، الذي وضعه عبد الله بن سبأ اليهودي، وبين دين القاديانية الذي يترعرع بين أحضان اليهود والنصارى...! وانظر القاديانية دراسة وتحليل للشيخ إحسان إلهي ظهير، والقاديانية للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد، وتاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ أبي زهرة.

(١) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٣/٤٦٠، ٤٦١).

(٢) قال عبد الله بن عباس ؓ في قوله تعالى: ﴿لَتَزَيَّجَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنَعَزَّوهُ﴾، قال: تعظموه. وهذه الكلمة قد تعني المعنى المضاد لها، ويفهم المعنى من سياق الكلام. انظر تفسير ابن كثير: (٤/١٦٧).

بحقوقه، وسدّ دون الجنة الطرق، فلن تفتح لأحد إلا من طريقه، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمره»<sup>(١)</sup>.

«وهذا من شرفه وعظمه ﷺ أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة... والآيات في هذا كثيرة، كما أنّ الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة، أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم»<sup>(٢)</sup>.

فأما رسالته للجنّ، فلقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ﴾ [الجن: ١] إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا اِهْدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۖ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۖ﴾ [١٤] وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۖ﴾ [١٥] وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۖ﴾ [الجن: ١٣ - ١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ۖ﴾ [١٦] قَالُوا يَبْقَوْنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۖ﴾ [٢٥] يَبْقَوْنَآ أَجْبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ ۖ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجَزِّكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۖ﴾ [٢٦] وَمَن لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۖ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿يَبْقَوْنَآ أَجْبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾: «فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الثقلين الجن والإنس، حيث دعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين، وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم، وهي سورة الرحمن...»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر زاد المعاد لابن القيم رحمه الله تعالى: (١/٣٥).

(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٢/٢٣٦).

(٣) المرجع نفسه: (٤/١٥٣).

وقال الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى: «لا يختلفون أنه ﷺ بعث إلى الإنس والجن»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «اتَّفَقَ على ذلك علماء السلف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين»<sup>(٢)</sup>.

و«أما قوله تبارك وتعالى في الأنعام: ﴿يَمَعَشَرُ الْإِنسَ وَالْإِنسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾، فالمراد هنا مجموع الجنسين، فيصدق على أحدهما وهو الإنس، كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَاتُ﴾<sup>(٣)</sup> [الرحمن: ٢٢]، أي أحدهما»<sup>(٤)</sup>.

وقد أجاب الجمهور أيضاً، «بأن معنى الآية أَنَّ رُسُلَ الْإِنسِ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، وَرُسُلُ الْجَنِّ بِثَمِّهِمْ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ فَسَمِعُوا كَلَامَ الرُّسُلِ مِنَ الْإِنسِ وَبَلَّغُوا قَوْمَهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ قَائِلُهُمْ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى...﴾»<sup>(٤)</sup>.

وقد جعل المصنف الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى رسالة النبي الخاتم محمد ﷺ عامة للجن والإنس والملائكة، فقال رحمه الله عز وجل: «وجعل رسالته الرسالة العامة للجن والإنس والملائكة...».

وتعقبه تلميذه الأستاذ محمد الصالح رمضان بقوله: «جاءت الرسالة للثقلين: الإنس والجن، أما الملائكة فللتشريف لا للتكليف، لأنهم ﷺ

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (٤١٥/٦).

(٢) المرجع نفسه.

(٣) تفسير ابن كثير: (١٥٣/٤).

(٤) فتح الباري: (٤١٥/٦). وقد ذكروا موسى ﷺ، ولم يذكروا عيسى ﷺ وقد جاء بعده، لأن عيسى ﷺ أنزل عليه الإنجيل فيه مواعظ وترقيقات وقليل من التحليل والتحريم وهو في الحقيقة كالمتتم لشريعة التوراة، فالعمدة هو التوراة، انظر تفسير ابن كثير: (٤/١٥٣)، وربما كان الجن من اليهود، والله أعلم.

.....

معصومون من المعاصي، منزّهون عن النقائص، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>. اهـ.

ومما يقال في هذا المقام أيضاً أنه لم تأت آية ولا حديث يدل أن رسول الله ﷺ - أو أحد من الرسل - دعا الملائكة إلى الإسلام مثلما فعل مع الإنس والجن، وإنما الملائكة ﷺ مستسلمون لله تعالى لا يخرجون عن أمره، فمهما أمرهم به تعالى يبادرون إليه لا يتأخرون عنه طرفة عين.

والذي أخبرنا به أن من الملائكة من يشارك المسلمين في بعض عباداتهم، فمنهم من يحضر حلقات الذكر في المساجد، ومنهم من يحضر الجنائز، ومنهم من يقاتل مع المسلمين بأمر من الله تعالى، ومنهم من يؤمن لتأمين الإمام، وغير ذلك. كما أخبرنا رسولنا وهو الصادق المصدوق، أن منهم من يظل ساجداً إلى يوم القيامة.

فالحاصل أن الملائكة ﷺ مكلفون، إلا أنهم «ليسوا مكلفين بمثل ما كلف به الإنس، قاله ابن العربي وغيره»<sup>(٢)</sup>.

والقاعدة في هذا قول الله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

(١) العقائد الإسلامية: (ص: ٩٣).

(٢) انظر فتح الباري: (٧/٢). وقد أخرج البخاري: (٣٢٢١)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: نزل جبريل فأمني فصليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، يحسب بأصابعه خمس صلوات»، قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: «أن جبريل ﷺ كانت تلك الصلاة واجبة عليه، لأنه مكلف بتبليغها». فتح الباري: (٨/٢). فظهر أن الملائكة الكرام مأمورون بتبليغ الدين إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولا شك أنهم مأمورون أيضاً بالإيمان بأن الذي يبلغونه إلى الرسل حق وصدق، أما كون رسالة النبي ﷺ تخصصهم كما تخص الجن والإنس، فيحتاج إلى دليل صريح، والله تعالى أعلم.

ولمّا كانت رسالته ﷺ الرسالة الخاتمة، جعل الله تعالى شريعته شريعة جامعة لما سبق من التشريعات، مصدقة لها ومهيمنة عليها، وقد بيّن رسول الله ﷺ «الجِكم والأحكام، ووضّح الحلال والحرام، وأصل الأصول وفصلها، حتّى استتمّ هذا الدين واستقام»<sup>(١)</sup>.

ولهذا «جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأكملها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلماذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها، وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾...»<sup>(٢)</sup>.

وإنّ الشريعة والمنهج الذي جاء به رسول الله ﷺ من قبل المولى تبارك وتعالى يضمن للإنسان سعادته في الدنيا والآخرة، فهي شريعة ومنهج غير منقوص، لا نحتاج إلى زيادة ولا إلى استدراك، ولهذا كلّ كانت أكبر معجزة لنبينا ﷺ معجزة القرآن الكريم، لأنّها معجزة باقية بين أيدينا، يمكن للناس أن يتفحصوا ما فيها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقول المصنف رحمه الله تعالى: «جعل آيته القرآن آية عقلية علمية خالدة»، ف «ليس المراد حصر معجزاته فيه ولا أنّه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنّه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره، لأنّ كلّ نبي أعطي معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره تحدّى بها قومه، وكانت معجزة كلّ نبي تقع مناسبة لحال قومه، كما كان السحر فاشياً عند فرعون، فجاء موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة لكنها تلقفت ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه

(١) رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة للإمام عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى: (ص: ٣٩).

(٢) تفسير ابن كثير: (٢/٦٢).

لغيره. وكذلك إحياء عيسى الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، لكون الأطباء والحكماء كانوا في ذلك الزمان في غاية الظهور، فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه، ولهذا لما كان العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ في غاية البلاغة جاءهم بالقرآن الذي تحدّاهم أن يأتوا بسورة مثله، فلم يقدرُوا على ذلك...»<sup>(١)</sup>.

و«المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار، كناقاة صالح، وعصا موسى، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة، فيكون من يتبعه لأجلها أكثر، لأنّ الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهدته، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كلّ من جاء بعد الأول مستمراً»<sup>(٢)</sup>، لذلك قال المصنف رحمه الله تعالى: «جعل آيته القرآن آية عقلية».

ومعجزة القرآن مستمرة «لكثرة فائده وعموم نفعه، لاشتماله على الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون، فعمّ نفعه من حضر ومن غاب ومن وجد ومن سيوجد»<sup>(٣)</sup>، ولهذا قال المصنف رحمه الله تعالى: «جعل آيته القرآن آية عقلية علمية خالدة». وقال القاضي عياض قبل ذلك: «ومنها»<sup>(٤)</sup> جمعه لعلوم ومعارف لا تنقضي عجائبها، ولا تنتهي فوائدها»<sup>(٥)</sup>.

وفي هذا كله يقول المصنف رحمه الله تعالى:

«فما من نبي من الأنبياء إلّا وقد أعطاه الله من الآيات والمعجزات ما مثله في وضوحه وظهوره، والعجز عن معارضته ما يؤمن عليه العباد، ويتفقون عليه

(١) فتح الباري: (٩/٩، ١٠).

(٢) المرجع نفسه: (١٠/٩).

(٣) المرجع نفسه.

(٤) أي ومن معجزات القرآن الكريم.

(٥) فتح الباري: (١٠/٩، ١١).

لولا ما يصددهم عنه من العناد، وهو معنى قوله ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر».

والنبي ﷺ قد أوتي مثل هذه الآيات، وقد نقل الكثير منها كثير من الصحابة رضي الله عنهم، واشتهرت عند أئمة الحديث والنقل، غير أن آيته الخالدة العامة الدائمة - كعموم رسالته ودوامها - هي القرآن العظيم، وهو الوحي الذي أوحاه الله إليه، فهي المعول عليها في دوام الحجة على تعاقب العصور والأجيال، إذ لا يقوم غيرها مقامها في بقائها مشاهدة لجميع الناس، ولذا حصر آيته فيها، فقال: «وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ»<sup>(١)</sup>.

وقد بين رحمه الله تعالى مراده من كون القرآن آية عقلية علمية خالدة، فقال:

«آيات الرسل عليهم الصلاة والسلام كانت معجزات كونية لا يشهد بها إلا من حضرها، ثم تبقى أخباراً يمكن للجاحد إنكارها، ويتأتى للمشاغب أن يصنع من الخزعبلات والمخارق ما يموه به على ضعفه العقول، ويدعي مماثلتها.

وآية النبي ﷺ - وهي القرآن العظيم - معجزة علمية عقلية، يخضع لسلطانها كل من يسمعها ويفهمها ولا يستطيع معارضتها، لا في لفظها وأسلوبها وبيانها، الذي عجزت عن معارضة أقصر سورة العرب، على ما كان من حميتها وأنفتها وشدة رغبتها في إبطالها لو وجدت سبيلاً إليها فقط، بل لا تستطاع معارضتها فيما اشتملت عليه من أصول العلوم، التي يحتاج إليها البشر في كمالهم وسعادتهم، أفراداً وجماعات وأمماً، وما اشتملت عليه من الأدلة القاطعة والحكم الباهرة، في كل ما دعت إليه إلى<sup>(٢)</sup> ما اشتملت عليه من حقائق كونية،

(١) مجالس التذكير: (ص: ٣٤).

(٢) هكذا في مجالس التذكير، ولعل الصواب: في كل ما دعت إليه وما اشتملت عليه... والله أعلم.

كانت مجهولة عند البشر حتى كشفها العلم في هذا العصر... فبهذا كانت آية النبي ﷺ أعظم الآيات وأبقاها، وكانت مغنية عن غيرها كافية عمّا عداها، كما قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾...»<sup>(١)</sup>.

وقال رحمه الله تعالى:

«لما بقيت هذه الآية الكبرى على العصور، وانبتت على الاحتجاج بالعلم والعقل، كان لها في كل عصر أتباعها الكثيرون عن اقتناع واطمئنان، ويزداد ويكثر عددهم بتوالي الأزمان، ويكثر الداخلون فيهم بقدر ما يزداد تقدم البشر في العلم والعرفان، وقد شوه هذا اليوم وقبل اليوم، ونحن نرى في هذا العصر كيف ينتشر الإسلام تبعاً لهذه الآية بين الأمم وفي علمائها دون نشر للدعوة من المسلمين تبينها، ولا قوة لهم تؤيدها، وإنما بما فيه من علم وحجة وأدب وحكمة تخضع العقول وتجذب القلوب، ولهذا فرع النبي ﷺ على كون آيته وحيّاً رجاء أن يكون أكثر الأنبياء ﷺ أتباعاً يوم القيامة، الذي تظهر فيه التبعية الصادقة، فقال: «فارجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

**فائدة:**

قال المصنف رحمه الله تعالى شارحاً لحديث الباب:

«وقد رجا النبي ﷺ كثرة أتباعه لدوام وظهور آيته الخالدة وهي القرآن العظيم، فعلى الناشرين لهديته، والمبلغين لدعوته، أن يجعلوا القرآن إمامهم وحثهم ومرجعهم، فإنه هو كتاب الدعوة، ومنشور الهداية، ومظهر الحجة، وأتباع النبي ﷺ هم أتباع القرآن وخلفاؤه في التبليغ، وورثته في العلم هم الذين يبلغون القرآن ويتلون القرآن، وينذرون بالقرآن، كما كان هو ﷺ كذلك، وكما

(١) مجالس التذكير: (ص: ٣٤، ٣٥).

(٢) المرجع نفسه: (ص: ٣٥).

.....

قال الله فيه: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْفُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، ﴿لَا تُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾، ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١) وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ، جعلنا الله ممن اتبعوا سنته، ونشروا هدايته، وبلغوا حجته غير مبدلين ولا مغيرين<sup>(١)</sup>.

(١) مجالس التذكير: (ص: ٣٦، ٣٧).

## عقائد الإيمان باليوم الآخر

[٧٠] نؤمن بانتهاء وجود هذا العالم الدنيوي عند انتهاء أجل وجوده في علم الله، فينحلّ نظام هذا الكون، فيخرب الكون العلوي، كما يخرب الكون السفلي، ليكون العالم الأخروي في كون آخر، ونظام آخر، إذ الذي قدر على خلقه ونظامه، قادر على إعدامه وإبطال نظامه، وعلى خلق مثله ونظامه.

لقوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝ وَمَا تُوَخَّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ۝﴾ [هود: ١٠٣ - ١٠٤]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لِوَفَّيَّهَا إِلَّا هُوَ ۝﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انَّتَرَّتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝﴾ [الانفطار: ١ - ٥]، ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ۝﴾ [المرسلات: ٨ - ١٠]، ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۝﴾ [الواقعة: ٤ - ٦]، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۝﴾ [إبراهيم: ٤٨]، ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝﴾ [يس: ٨١].

[٧٠] لقد أخبرنا الله تعالى أنّه سيأتي يوم تنشق فيه السماء، ويفجر الله البحار بعضها في بعض، فيذهب ماؤها، وتحرك القبور فيخرج من فيها، في ذلك اليوم تجمع الشمس بعضها على بعض وتكور كالعمامة، ثم تلفت ويرمى بها

فتصبح مظلمة، ويذهب ضوءها<sup>(١)</sup>، وتتساقط الكوكب والنجوم، وتقع الجبال على وجه الأرض فتضطرب وتختلط، وتزول عن أماكنها، وتنسف نفساً فتترك الأرض قاعاً صفصفاً، فلا يبقى لها أثر، ﴿وَسْتَلَوْنَاكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾، ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُتْبَثًا﴾<sup>(٢)</sup>، كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء.

في ذلك اليوم، تبدل الأرض على غير الصفة المألوفة المعروفة<sup>(٣)</sup>، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة النقي»، قال سهل أو غيره: ليس فيها معلم لأحد<sup>(٤)</sup>.

(١) كما قال ﷺ: «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة»، أخرجه البخاري: (٣٢٠٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «وأخرج ابن وهب في كتاب «الأهوال» عن عطاء بن يسار في قوله تعالى: ﴿وَجِجَ الْجَمْرُ وَالْقَمَرُ﴾<sup>(٥)</sup> [القيامة: ٦]، قال: يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في النار، ولابن أبي حاتم عن ابن عباس نحوه موقوفاً أيضاً. قال الخطابي: ليس المراد بكونهما في النار تعذيبهما بذلك، ولكنه تبكيت لمن كان يعبدهما في الدنيا، ليعلموا أنّ عبادتهم لهما كانت باطلاً. وقيل: إنهما خلقا من النار فأعيدا فيها. وقال الإسماعيلي: لا يلزم من جعلهما في النار تعذيبهما، فإنّ الله في النار ملائكة وحجارة وغيرها لتكون لأهل النار عذاباً، وآلة من آلات العذاب، وما شاء الله من ذلك، فلا تكون هي معذبة... فتح الباري: (٣٦١/٦).

(٢) قد وقع الخلاف بين السلف، هل معنى تبديلها، تغيير ذاتها وصفاتها، أو تغيير صفاتها فقط. راجع تفسير ابن كثير: (٤٩٧/٢)، وفتح الباري: (٤٥٦/١١).

(٣) أخرجه البخاري: (٦٥٢١)، قال الحافظ رحمه الله تعالى: «قال الخطابي: «العفر، بياض ليس بالناصح. وقال عياض: العفر، بياض يضرب إلى حمرة قليلاً، ومنه سمي عفر الأرض وهو وجهها. وقال ابن فارس: معنى عفراء، خالصة البياض. وقال الداودي: شديدة البياض. كذا قال، والأول هو المعتمد.

قوله: «كقرصة النقي»، بفتح النون وكسر القاف، أي الدقيق النقي من الغش والنخال، قاله الخطابي... فتح الباري: (٤٥٦، ٤٥٥/١١).

.....

وذلك من علم الغيب الذي لم يطلع الله تعالى عليه أحداً من خلقه، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب، وإنه يأتي بغتة وعلى حين غفلة من الناس، ومنه تعلم أخي المسلم كذب من يحسب حسابات لوقوع ذلك اليوم، أو يخبر غيره بما رأى في المنام، ويكفيك قول نبيك ﷺ للأمين جبريل عليه السلام: «...ما المسؤول عنها باعلم من السائل...».

ولذلك قال المصنف رحمه الله تعالى: «... نؤمن بانتهاء وجود هذا العالم الدنيوي عند انتهاء أجل وجوده في علم الله...».

[٧١] نؤمن بأن الله تعالى يحيينا بعد الموت، ويعيدنا بأرواحنا وأجسادنا من قبورنا ومن حيث كنا إلى الموقف الأعظم للمحاسبة على الأعمال والجزاء عليها، إذ ذاك جائز في قدرته وواجب على عدله وحكمته.

لقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ لَكَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الجاثية: ٢٦]، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [١١]، ﴿الْمُؤْمِنُونَ: ١٦﴾، ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [٥٥]، [طه: ٥٥]، ﴿خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ [القمر: ٧]، ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩]، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١]، [المطففين: ٦]، ﴿وَرَبَّى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [١٨] هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [١٩] [الجاثية: ٢٨ - ٢٩]، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشْدَكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [٥] ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَآلَهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَآلَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١] وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [٧] [الحج: ٥ - ٧]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [١٥] فَتَعَلَّىٰ اللَّهُ الْمَلِكَ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [١٦] [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦].

[٧١] يقول الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى:

«الإيمان بالمعاد ممّا دلّ عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز وأقام الدليل عليه، وردّ على منكربه في

غالب سور القرآن، وذلك أنّ الأنبياء ﷺ كلّهم متفقون على الإيمان بالآخرة، فإنّ الإقرار بالربّ عام في بني آدم وهو فطري، كلّهم يقرّ بالربّ إلّا من عاند كفرعوّن، بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فإنّ منكريه كثيرون، ومحمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة كهاتين<sup>(١)</sup>، وكان هو الحاشر المقفي<sup>(٢)</sup>، بيّن تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء...<sup>(٣)</sup> اهـ.

ويقول الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

«والإيمان بالبعث هو أن نؤمن بأنّ الله تعالى يعيد الرفات من أبدان الأموات، ويجمع ما تفرّق منها في البحار وبطون السباع وغيرها، حتّى تصير بهيئتها الأولى<sup>(٤)</sup>، ثمّ يجمعها حيّة، فيقوم الناس كلّهم بأمر الله تعالى أحياء، صغيرهم وكبيرهم حتّى السقط الذي قد تمّ خلقه، لو لم ينفخ فيه الروح أصلاً، فهو وسائر الأموات بمنزلة واحدة، والله تعالى أعلم»<sup>(٥)</sup>.

«إذا قضت قدرة القادر جلّ جلاله بأن يكسو الأشجار بعد عريها، ويلوّن الأزهار مرّة أخرى، وينبت الأعشاب، ويردّ الزرع بعد فنائه، فيجدد له كلّ ما فقده، ويرجعه لحاله الأولى، أفلا يكون ذلك شهادة لقيامه الموتى وبعثهم»<sup>(٦)</sup>.

(١) إشارة إلى حديث سهل بن سع، أخرجه البخاري: (٤٩٣٦).

(٢) وهذه من أسمائه ﷺ. كما أخرجه البخاري: (٤٨٩٦)، والترمذي: (٢٥٤٢)، من حديث جُبَيْر بن مطعم رضي الله عنه.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: (٥٨٩/٢).

(٤) وهو نفسه قول المصنف رحمه الله تعالى: «ويعيدنا بأرواحنا وأجسادنا من قبورنا ومن حيث كنا».

(٥) شعب الإيمان: (٢٣٩/١).

(٦) انظر دلائل التوحيد للعلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى: (ص: ٣١٩، ٣٢٠).

يقول الحافظ رحمه الله تعالى معلقاً على حديث ابن مسعود، حدثنا الصادق المصدوق<sup>(١)</sup>، قال:

«وفيه التنبيه على صدق البعث بعد الموت، لأن من قدر على خلق الشخص من ماء مهين، ثم نقله إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم ينفخ الروح فيه قادر على نفخ الروح بعد أن يصير تراباً، ويجمع أجزائه بعد أن يفرقها، ولقد كان قادراً على أن يخلقه دفعة واحدة ولكن اقتضت الحكمة بنقله في الأطوار رفقا بالأم، لأنها لم تكن معتادة، فكانت المشقة تعظم عليها، فهيأه في بطنها بالتدرج إلى أن تكامل، ومن تأمل أصل خلقه من نطفة وتنقله في تلك الأطوار إلى أن صار إنساناً جميل الصورة، مفضلاً بالعقل والفهم والنطق، كان حقاً عليه أن يشكر من أنشأه وهياه، ويعبده حق عبادته ويطيعه ولا يعصيه...»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ومن ثمرات الإيمان بالبعث والنشور، أنه «يبعث على فضل الرهبة من الله تعالى جدّه، وقلة الركون إلى الدنيا والتهاون بأحزانها ومصائبها، والصبر عليها وعلى مضض الشهوات، واحتساباً وثقة بما عند الله تعالى جدّه عنها من حسن الجزاء والثواب»<sup>(٣)</sup>.

هذا، وقد «سكت المؤلف رحمه الله عن أشراط الساعة فلم يذكرها، لأن المؤلف إنما يريد أن يتكلم عن يوم اليوم الآخر، وما أشراط الساعة إلا مجرد

(١) وهو قوله ﷺ: «إن أحذكم يجمع خلقه في بطن أمه» الحديث، أخرجه البخاري: (٣٢٠٨) - ٣٣٣٢ - ٦٥٩٤ - ٧٤٥٤)، ومسلم: (٢٦٤٣)، وأحمد: (٣٨٢/١، ٤٣٠)، وأبو داود: (٤٧٠٨)، والترمذي: (٢١٣٧)، وابن ماجه: (٧٦)، وابن حبان: (٦١٧٤) تخريج الأرئووط).

(٢) فتح الباري: (٥٩٥/١١).

(٣) من كلام الإمام أبي عبد الله الحلي رحمه الله تعالى شيخ الإمام البيهقي، انظر شعب الإيمان: (٢٣٥/١)، وراجع شرح العقيدة الواسطية: (٦٨/١ - ٦٩)، وعقيدة أهل السنة والجماعة: (ص: ٤٦) كلاهما للعلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى.

علامات وإنذارات لقرب قيام الساعة، لِيَسْتَعِدَّ لها من يستعد.  
وبعض أهل العلم الذين صنفوا في العقائد ذكروا أشراف الساعة هنا،  
والحقيقة أنه لا تعلق لها في الإيمان باليوم الآخر، وإن كانت هي من الأمور  
الغيبية التي أشار الله إليها في القرآن، وفصلها النبي ﷺ في السنة<sup>(١)</sup>.

### فائدة:

قال المصنف رحمه الله تعالى عن البعث والمحاسبة والجزاء: «إذ ذاك جائز  
في قدرته، وواجب على عدله وحكمته.

اعلم أخي المسلم أنه لا يحب شيء على الله تعالى إلا ما أوجبه على نفسه  
تكرماً وتفضلاً، على ذلك اتفق أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«وأما الإيجاب عليه سبحانه وتعالى، والتحريم بالقياس على خلقه، فهذا  
قول القدريّة، وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول، وأهل  
السنة متفقون على أنه سبحانه خالق كل شيء وربّه ومليكه، وأنه ما شاء كان وما  
لم يشأ لم يكن، وأنّ العباد لا يوجبون عليه شيئاً»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:

«حق العباد على الله، ما وعدهم به من الثواب والجزاء، فحق ذلك ووجب  
بحكم وعده الصدق، وقوله الحق الذي لا يجوز عليه الكذب في الخبر ولا  
خلاف في الوعد، فالله سبحانه وتعالى لا يجب عليه بحكم الأمر، إذ لا أمر  
فوقه، ولا حكم للعقل، لأنّه كاشف لا موجب...»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية: (١٢٧/٢، ١٢٨).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم: (٧٧٦/٢).

(٣) انظر فتح الباري: (٤١٣/١١).

---

.....

---

وقال الحافظ رحمه الله تعالى:

«المراد بالحق هنا، المتحقق الثابت أو الجدير، لأنَّ إحسان الربِّ لمن لم يتخذ ربًّا سواه جدير في الحكمة أن لا يعذبه، أو المراد أنَّه كالواجب في تحقيقه وتأكده، أو ذكر على سبيل المقابلة...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

---

(١) المرجع السابق: (١١/٤١٣).

[٧٢] نؤمن بأن الله تعالى ينصب الميزان يوم القيامة، فتوزن أعمال العباد ليجازوا عليها، ويقتصر من بعضهم البعض، فمن رجحت حسناته نجا، ومن رجحت سيئاته عذب، إذ ذاك واجب في عدل الله، لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) [الزلزلة: ٧ - ٨]، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٩) ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٨) ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (٩) [القارعة: ٦ - ٩]، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْنُهُمْ وَمَنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (١١) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٢) [الجاثية: ٢١ - ٢٢].

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»، رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

[٧٢] «أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة... وأنكرت المعتزلة، وقالوا: هو عبارة عن العدل، وخالفوا الكتاب

(١) (١٦/١٣٥ نووي)، والترمذي: (٢٥٣٣ تحفة)، وأحمد: (٣٠٣/٢)، البيهقي في السنن: (٩٣/٦)، وفي الشعب: (٣٤٤)، وابن حبان: (٤٣٩٤ - ٧٣١٥ إحصان)، والبيهقي في شرح السنة: (٤١٦٤)، والخطيب البغدادي في التاريخ: (٢٣/٤)، وانظر السلسلة الصحيحة: (٨٤٧).

والسنة، لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة، ليكونوا على أنفسهم شاهدين<sup>(١)</sup>.

قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى:

«والذي دلت عليه السنة أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان، روى الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> من حديث أبي عبد الرحمن الحبلي، قال: سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتذكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، وقال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء»...»

وفي هذا السياق فائدة جلية، وهي أن العامل يوزن مع عمله، ويشهد له ما روى البخاري<sup>(٣)</sup> عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ زَنَاجًا﴾ [الكهف: ١٠٥]...»

(١) انظر فتح الباري: (١٣/٦٦٠).

(٢) (٢١٣/٢)، والترمذي: (٢٦٣٩)، وابن ماجه: (٤٣٠٠)، وابن حبان: (٢٥٢٤)، والحاكم: (٦/١، ٥٢٩) وصححه ووافقه الذهبي، وقال أبو عيسى الترمذي: حسن، وصححه مخرجاً الطحاوية: (٢/٦١٠).

(٣) برقم: (٤٧٢٩).

وقد وردت الأحاديث أيضاً بوزن الأعمال أنفسها، كما في صحيح مسلم<sup>(١)</sup> عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان...» الحديث.

وفي الصحيحين، وهو خاتمة كتاب البخاري، قوله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»<sup>(٢)</sup>.

فلا يلتفت إلى ملحد معاند، يقول الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام!! فإن الله يقلب الأعراض أجساماً كما تقدم، وكما روى الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بالموت كبش أغبر، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، ويقال: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، ويرون أن قد جاء الفرج، فينبج، ويقال خلود لا موت...».

فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات، فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق ﷺ من غير زيادة ولا نقصان...»<sup>(٤)</sup>. اهـ.

وقد اختلف أهل العلم في وحدة الميزان وتعددته، فذهب بعضهم إلى أن

(١) برقم: (٢٢٣)، وأحمد: (٣٤٢/٥، ٣٤٣)، والترمذي: (٣٥١٧)، النسائي: (٥/٥) - (٨)، وابن ماجه: (٢٨٠)، والدارمي: (١٦٧/١).

(٢) أخرجه البخاري: (٦٤٠٦)، ومسلم: (٢٦٩٤)، والترمذي: (٣٤٦٧)، وابن ماجه: (٣٨٠٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) (٤٢٣/٢)، والدارمي: (٣٢٩/٢)، وصححه مخرجا الطحاوية: (٦١٣/٢)، وأخرجه البخاري: (٤٧٣٠)، ومسلم: (٢٨٤٩)، والترمذي: (٣١٥٦)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية: (٦٠٩/٢، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣).

.....

لكلّ شخص ميزاناً خاصاً، أو لكلّ عمل ميزاناً، لقوله تعالى: ﴿وَنُضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾، وذهب آخرون إلى أنّ الميزان واحد، وأنّ الجمع باعتبار تعدد الأعمال أو الأشخاص.

«ولكن الذي يظهر - والله أعلم - أنّ الميزان واحد، وأنه جمع باعتبار الموزون، بدليل قوله: ﴿فَنَنْقُلُكَ مَوَازِينُ﴾ [الأعراف: ٨]، لكن يتوقف الإنسان هل يكون ميزاناً واحداً لجميع الأمم، أو لكلّ أمة ميزان؟ لأنّ الأمم - كما دلت عليه النصوص - تختلف باعتبار أجرها...»<sup>(١)</sup>.

«ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلاّ البقال والفوّال، وما أحرأه بأن يكون من الذين لا يقيم لهم يوم القيامة وزناً»<sup>(٢)</sup>.

### فائدة:

يقول الإمام أبو الطيّب صدّيق حسن خان القنوجي رحمه الله تعالى:

«وأما الكفار، فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنّه لا حساب لهم، ولكن تعدّ أعمالهم فتحصى فيؤقّفون عليها، ويقررون بها ويخبرون بها»<sup>(٣)</sup>.

وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَبُطِئَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

(١) من كلام الشيخ العلامة العثيمين رحمه الله تعالى، انظر شرح العقيدة الواسطية: (٢/ ١٣٩).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٢/ ٦١٣).

(٣) قطف الثمر: (ص: ١٢٥).

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:

«قوله: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا﴾، قال ابن الأعرابي: تقول العرب ما لفلان عندنا وزناً، أي قدرأً لخسته، وقيل معناه: لا يزن لهم سعيهم عند الله عز وجل مع كفرهم شيئاً...»<sup>(١)</sup>. اهـ.

(١) انظر شرح السنة: (١٤٣/١٥)، وراجع تفسير ابن كثير: (١٠١/٣).

[٧٣] ونؤمن بأن الله يضرب الصراط على ظهر جهنم، فيمرّ عليه الناس أجمعون، فينتهي أهل الجنة، ويسقط منه في النار أهل النار، لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتًّا مَّقْضِيًّا ۖ﴾ (٧١) ثُمَّ تَجِيءُ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُوا الظَّالِمِينَ فِيهَا جَنَّتًا ﴿٧٢﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢].

[٧٣] قد تواترت الأخبار الصحيحة عن رسول الله ﷺ بذكر الصراط<sup>(١)</sup>.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «... ثم نبقي أيها المؤمنون فياتينا ربنا، فيقول علام هؤلاء قيام؟ فنقول: نحن عباد الله المؤمنين، وعبيداه وهو ربنا وهو آتينا ويثيبنا وهذا مقامنا، فيقول: أنا ربكم فامضوا، قال: فيوضع الجسر وعليه كلاليب من النار تخطف الناس، فعند ذلك حلت الشفاعة لي...» الحديث<sup>(٢)</sup>.

وعنه رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «... ويضرب جسر جهنم، قال: فاكون أولم من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمتها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل...» الحديث<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني رحمه الله تعالى: (ص: ١٠٨).

(٢) أخرجه مسلم: (٢٩٦٨)، والبخاري في شرح السنة: (٤٣٢٨).

(٣) أخرجه البخاري: (٦٥٧٣)، ومسلم في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم: (١٨٢)، وأحمد: (٢/٢٧٥).

قال الحافظ رحمه الله تعالى: «والسعدان جمع سعدانة، وهو نبات ذو شوك يضرب به المثل في طيب مرعاه، قالوا: مرعى ولا سعدان» فتح الباري: (١١/٥٥٢).

وقال الزين بين المنير رحمه الله تعالى: «تشبيه الكلاليب بشوك السعدان خاص بسرعة اختطافها وكثرة الانتشاب فيها مع التحرز والتصون تمثيلاً لهم بما عرفوه في الدنيا وألفوه بالمباشرة، ثم استثنى إشارة أن التشبيه لم يقع في مقدارها...» فتح الباري: (١١/٥٥٢٥).

وقوله: «ومنهم المخردل»، قال الهروي رحمه الله تعالى: «المعنى أن كلاليب النار =

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى :

«وفيه صحة أمر الصراط والإيمان به، والسلف مجتمعون على حمله على ظاهره دون تأويل، والله أعلم بحقيقة صفته»<sup>(١)</sup>.

وقال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى :

«نؤمن بالصراط والميزان، والجنة والنار والحساب، لا ندفع ذلك ولا نرتاب»<sup>(٢)</sup>.

والصراط «جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، كما قالت عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ سئل أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: «هم في الظلمة دون الجسر...»<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا الموضع يفرق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم...»<sup>(٤)</sup>.

وقد أشار المولى تبارك وتعالى إلى الصراط في قوله عز وجل: ﴿وَلَنْ يَنْكُرَ إِلَّا وَاِرْدُهَا كَانَ عَلَى رَيْكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ۖ﴾.

= تقطعه فيهوى في النار» الفتح: (٥٥٢/١١).

وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «وقيل معناه: أنها تقطعهم عن حقوقهم بمن نجا، وقيل: المخردل المصروع، ورجحه ابن التين، فقال: هو أنسب لسياق الخبر» فتح الباري: (٥٥٣/١١).

(١) كتاب الإيمان من الإكمال: (١٩٣/٢)، وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (١٤٦/٣)، (٢٧٩/٤)، وشرح السنة للإمام البريهاري رحمه الله تعالى: (ص: ٧٤).

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي رحمه الله تعالى: (١٢٥١/٦).

(٣) أخرجه مسلم: (٣١٥).

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٦٠٥/٢).

«وقد اختلف المفسرون في المراد بالورود في قوله تعالى: ﴿وَلَا مَنكُرَ إِلَّا وَاْرِدْهَا﴾ ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط...»

وفي الصحيح<sup>(١)</sup> أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة، قالت حفصة: فقلت يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿وَلَا مَنكُرَ إِلَّا وَاْرِدْهَا﴾، فقال: ألم تسمعيه قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾».

أشار ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا يستلزم حصوله، بل يستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ [هود: ٥٨]، ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا﴾ [هود: ٦٦]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ [هود: ٩٤]، ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة، لأصابهم ما أصاب أولئك...

وكذلك حال الواردين النار، يمرّون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيًا، فقد بين ﷺ في حديث جابر المذكور أن الورود هو المرور على الصراط...<sup>(٢)</sup>.

هذه عقيدة أصحاب رسول الله ﷺ ومنهجهم، يؤمنون بكل ما ثبت عن الشارع من كتاب أو سنة، فلا يردّون شيئاً من ذلك ولا يرتابون، بل يؤمنون بكل ما ثبت بعد الموت.

وتأمل أخي قول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

«ومن الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ ممّا يكون

(١) أي في صحيح مسلم: (٢٤٩٦) عن جابر رضي الله عنه، وأحمد: (٢٨٥/٦، ٣٦٢)، عن حفصة رضي الله عنها.

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٦٠٦/٢، ٦٠٧)، وراجع تفسير ابن كثير (١٢٤/٣) لتنف على أقوال السلف في قوله تعالى: ﴿وَلَا مَنكُرَ إِلَّا وَاْرِدْهَا﴾.

بعد الموت...<sup>(١)</sup>.

وقول عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى: «من آمن بالله، فقد آمن بالغيب»<sup>(٢)</sup>.

فإيمانك بالله تعالى يستلزم منك الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله ﷺ من أمور الغيب، لا ترتاب ولا تشك.

(١) شرح العقيدة الواسطية: (١٠٥/٢).

(٢) تفسير ابن كثير: (٣٦/١).

[٧٤] ونؤمن بأن الله خلق النار دار عذاب وخلود لمن كفر، ودار عذاب إلى أجل لمن رجحت سيئاتهم على حسناتهم فاستحقوا العذاب، وأن العذاب فيها للأرواح والأجساد.

لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَمْ يَمُتْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشِهْقٌ ۖ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٦ - ١٠٧].

ولحديث أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج من النار<sup>(١)</sup> من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة»، رواه مسلم<sup>(٢)</sup>.

[٧٤] من عقائد أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار «مخلوقتان، لا يفنيان ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه»<sup>(٣)</sup>.

واعلم أخي المسلم - وفقني الله وإياك -، «أن النار في الآخرة ناران، نار تفنى، ونار تبقى أبداً لا تفنى، فالأولى هي نار العصاة من المذنبين من المسلمين، والأخرى نار الكفار والمشركين، هذا خلاصة ما حرره ابن القيم في الوابل الصيب، وهو الحق الذي لا ريب فيه، وبه تجتمع الأدلة...»<sup>(٤)</sup>.

(١) في (ح) «يخرج من في النار».

(٢) في الإيمان، باب: الشفاعة: (٣/ ٥٩ نووي)، والبخاري: (٤٤ - ٤٤٧٦)، والترمذي: (٢٧٢٠ تحفة)، وأحمد: (١١/ ٣، ١٧٣).

(٣) العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق، للشيخ الألباني رحمه الله تعالى: (ص: ٧٣).

(٤) المرجع نفسه: (ص: ٧٣).

وذلك أن الله تعالى جعل مستقر أعدائه من كفار ومنافقين ومشركين جهنم خالدين أبداً، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا شِئْتُمُ الْمُنكَرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر: ٧١ - ٧٢]، وأخبرنا تعالى أن النار ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، فهم خالدون فيها أبداً، لا يخرجون منها ولا يخفف من عذابها، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿١٨﴾﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٥﴾﴾ [غافر: ٤٩ - ٥٠].

«وأما عصاة الموحدين فإنهم لا يخلدون في النار، وإن دخلوها بما اقترفوا من ذنوب استحقوا العذاب من أجلها، وتلك هي النار التي تفتى كما سبق، خلافاً للخوارج والمعتزلة ومن نهج نهجهم، وهذه قصة أخرجها الإمام مسلم، لعلها تكون موعظة وذكرى لأولئك القوم.

قال يزيد الفقير<sup>(١)</sup>: خرجنا في عصابة نريد أن نحج ثم نخرج على الناس، فمررنا بالمدينة فإذا رجل يحدث، وإذا هو قد ذكر الجهنميين<sup>(٢)</sup>، فقلت له: ما هذا الذي تحدثون به، والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢] ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، قال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: أسمعت بمقام محمد الذي بعثه الله؟ قلت: نعم، قال: فإنه

(١) بقاء ثم قاف وزن عظيم، ولقب بذلك لأنه كان يشكو فقار ظهره، لا أنه ضد الغنى. فتح الباري: (٥١٨/١١).

(٢) هم قوم يخرجون من النار بعدما عذبوا فيها واحترقوا، لحديث أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «يخرج قوم من النار بعدما مسهم منها سفع، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة الجهنميين» أخرجه البخاري: (٦٥٥٩ - ٧٤٥٠).

مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من النار بعد أن يكونوا فيها، ثم نعت وضع الصراط ومدّ الناس عليه، قال: فخرجنا، وقلنا: أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟ فوالله ما خرج منا غير رجل واحد...»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ رحمه الله تعالى بعد أن ذكر القصة:

«وحاصله أن الخوارج الطائفة المشهورة المبتدعة كانوا ينكرون الشفاعة، وكان الصحابة ينكرون إنكارهم ويحدثون بما سمعوا من النبي ﷺ...»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا ربّ وجنتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا ربّ وجنتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فإنّ لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إنّ لك مثل عشرة أمثالها، فيقول: تسخر منّي، أو تضحك منّي، وأنت الملك، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتّى بدت نواجده، وكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة»<sup>(٣)</sup>.

هذا، وقول المصنف رحمه الله تعالى: «... وأنّ العذاب فيها للأرواح والأجساد...»، فهو «أمر مسلّم عند الجمهور»<sup>(٤)</sup>.

وقال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى:

«وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً باتّفاق أهل السنة

(١) انظر فتح الباري: (١١/٥١٨، ٥١٩).

(٢) المرجع نفسه: (١١/٥١٩).

(٣) أخرجه البخاري: (٦٥٧١).

(٤) من كلام العلامة نعمان بن محمود الألوسي رحمه الله تعالى، انظر الآيات البيّنات: (ص: ٨٠).

والجماعة، تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به...»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ ابن العثيمين رحمه الله تعالى:

«المعروف عند أهل السنة والجماعة أنه في الأصل على الروح، والبدن تابعاً لها، كما أن العذاب في الدنيا على البدن، والروح تابعة له، وكما أن الأحكام الشرعية في الدنيا على الظاهر، وفي الآخرة على العكس، ففي القبر يكون العذاب أو النعيم على الروح، ولكن الجسم يتأثر بهذا اتباعاً، وليس على سبيل الاستقلال، وربما يكون العذاب على البدن، والروح تتبعه، لكن هذا لا يقع إلا نادراً، إنما الأصل أن العذاب على الروح، والبدن تبع، والنعيم للروح، والبدن تبع...»<sup>(٢)</sup>.

(١) شرح العقيدة الطحاوية: (٥٧٩/٢).

(٢) شرح العقيدة الواسطية: (١٢٠/٢)، ولا منافاة بين كلام الإمام الطحاوي والشيخ ابن عثيمين كما هو ظاهر. وقد ذهب الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى إلى أن العذاب والنعيم يقع على الروح دون البدن، وقد رد عليه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى. انظر الفصل لابن حزم: (٤/٦٧، ٦٨)، والروح لابن القيم: (ص: ٤٣).

[٧٥] نؤمن بأن الله خلق الجنة دار نعيم وخلود للمؤمنين، وأنها محرمة على الكافرين، وأن النعيم فيها للأرواح والأجساد، وأن أعظم نعيمها هو رضوان الله، لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَنِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ يَجْدُونَ﴾ [هود: ١٠٨].

ولقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٩].

ولقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين<sup>(١)</sup>.

[٧٥] لقد جعل الله تعالى جهنم دار عذاب ونكال وهوان لأعدائه، كما جعل الجنة دار نعيم وثواب ورضوان لأوليائه، فهي محرمة على الكافرين. وكما أن العذاب يقع على الروح والبدن، فكذلك النعيم، وقد مر هذا قريباً. وأمّا قول المصنف رحمه الله تعالى: «وأن أعظم نعيمها هو رضوان الله»، فهو مأخوذ من قوله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا اعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وائي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً»<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ رحمه الله تعالى:

«لأنّ رضاه سبب كلّ فوز وسعادة، وكلّ من علم أنّ سيده راض عنه كان

(١) الصلاة والسلام على نبينا غير مثبتة في (ح).

(٢) أخرجه البخاري: (٦٥٤٩ - ٧٤١٨). عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أقرّ لعينه، وأطيب لقلبه من كلّ نعيم، لما في ذلك من التعظيم والتكريم...»<sup>(١)</sup>.  
لذلك من رضي الله تعالى عنه غفر له، وقربه، وأدخله دار رحمته، وأعطاه  
المزيد، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

«فالحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك  
رسول الله ﷺ والصحابة من بعده، كما روى مسلم<sup>(٢)</sup> في صحيحه، عن صهيب  
قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: «إذا دخل أهل  
الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً  
ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا  
ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم  
شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة...».

وكذلك فسرها الصحابة رضي الله عنهم، روى ابن جرير عن جماعة منهم أبو بكر  
الصديق، وحذيفة، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس رضي الله عنهم<sup>(٣)</sup>.

فظهر بذلك أنّ أعظم نعيم أهل الجنة هو رؤيته تعالى، وهو أمر زائد على  
الرضوان كما هو واضح في الحديث، كما أنّ أهل النار مع دخولهم جهنم، هم  
مع ذلك محجوبون عن رؤية الله تعالى، وذلك أعظم في العذاب والتنكيل، كما  
أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُورُونَ﴾.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

«وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُورُونَ﴾، أي لهم يوم القيامة

(١) فتح الباري: (٥١٤/١١).

(٢) في الإيمان: (٢٩٧)، والترمذي: (٢٥٥٥)، وابن ماجه: (١٨٧)، وأحمد: (٣٣٢/٤)، (٣٣٣).

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية: (٢١١/١).

منزل ونزل سجين، ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم.

قال الإمام أبو عبد الله الشافعي:

وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ، وهذا الذي قاله الإمام الشافعي في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم الآية...»<sup>(١)</sup>.

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «من تمام النعمة دخول الجنة، والنظر إلى الله تبارك وتعالى»<sup>(٢)</sup>.

بل إن رؤية الله تعالى هي روح الجنة، قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى:

«... فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى، وتكليمه لهم»<sup>(٣)</sup>، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضلها، الذي ما طابت لأهلها إلا به»<sup>(٤)</sup>.

#### فائدة:

قال الحافظ رحمه الله تعالى في قوله ﷺ: «...أحلّ عليكم رضواني، فلا تسخط عليكم بعده أبداً...»:

(١) تفسير ابن كثير: (٤/٤٤٠).

(٢) الحجة في بيان المحجة لقوام السنة رحمه الله تعالى: (٢/٢٦٢)، وانظر اعتقاد أهل السنة للالكائي رحمه الله تعالى: (٤٩٦)، والروح لابن القيم رحمه الله تعالى: (ص: ٢٣٢).

(٣) قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد: باب كلام الرب مع أهل الجنة، وذكر حديث أبي سعيد الخدري عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقول لأهل الجنة، يا أهل الجنة...» الحديث برقم: (٧٥١٨)، وحديث أبي هريرة عليه السلام عن الرجل من أهل البادية، برقم: (٧٥١٩).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية: (١/١٧٨).

«... قال ابن بطال: استشكل بعضهم هذا لأنه يوهم أنّ له أن يسخط على أهل الجنة وهو خلاف ظواهر القرآن، كقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُنْتَهَدُونَ﴾، وأجاب بأن إخراج العباد من العدم إلى الوجود من تفضله وإحسانه، وكذلك تنجيز ما وعدهم به من الجنة والنعيم من تفضله وإحسانه، وأما دوام ذلك فزيادة من فضله على المجازاة لو كانت لازمة، ومعاذ الله أن يجب عليه شيء فلمّا كانت المجازاة لا تزيد في العادة على المدة ومدة الدنيا متناهية، جاز أن تتناهى مدة المجازاة، فتفضل عليهم بالدوام، فارتفع الإشكال جملة. انتهى ملخصاً.

وقال غيره: ظاهر الحديث أنّ الرضا أفضل من اللقاء وهو مشكل، وأجيب بأنّه ليس في الخبر أنّ الرضا أفضل من كل شيء، وإنّما فيه أنّ الرضا أفضل من العطاء<sup>(١)</sup>، وعلى تقدير التسليم فاللقاء مستلزم للرضا، فهو من إطلاق اللازم وإرادة الملزوم، كذا نقل الكرماني، ويحتمل أن يقال المراد حصول أنواع الرضوان، ومن جملتها اللقاء فلا إشكال...»<sup>(٢)</sup>.

(١) وكلام الحافظ هذا يؤيد ما اخترناه من أن الرؤية أفضل من الرضا، الله أعلم.

(٢) فتح الباري: (١٣/٥٩٦).

## (فصل)

ختم المصنف رحمه الله تعالى عقيدته بقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ  
الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٥﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٦﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٧﴾﴾،  
ثم الصلاة على النبي والآل والأصحاب.  
وهذا يحتمل معنيين:

الأول: ختم العقيدة التي قررها بما ينزه الله تبارك وتعالى، إذ «التسبيح  
يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة، ويستلزم إثبات الكمال،  
كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة، ويستلزم التنزيه من  
النقص»<sup>(١)</sup>.

الثاني: اتباعاً لما قاله بعض السلف: «من أحب أن يكتال بالمكيال  
الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه في مجلسه: ﴿سُبْحَانَ  
رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٥﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٦﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴿١٨٧﴾﴾»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر تفسير ابن كثير: (٢٣/٤).

(٢) ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى من قول علي رضي الله عنه، ورواه ابن أبي حاتم، عن  
الشعبي، عن النبي صلى الله عليه وسلم، والانقطاع واضح، ويروى عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه  
كان إذا أراد أن يسلم قال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ الآية، ثم يسلم،  
قال ابن كثير «إسناده ضعيف» اهـ والصحيح في ذلك حديث كفارة المجلس المعروف  
وانظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى: (٢٣/٤).

## الخاتمة

وبعد:

فقد اتضح لكل ذي لب سليم، من خلال مباحث وفصول هذه العقائد، منهج الإمام المصنف رحمه الله تعالى، فكان يدعم ما يقرره من عقيدة بالآيات والأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، متبعاً في ذلك علماء أهل الحديث، الذين لا يقدمون بين يدي الله ورسوله، فما خالف رحمه الله تعالى كتاب ربه، ولا فارق سنة رسوله ﷺ، ولا اتبع غير سبيل المؤمنين، فكانت هذه المباحث «تشمّل على ما يجب على المكلف اعتقاده والاعتراف به، مع الإشارة إلى أطراف أدلته على طريق الاختصار، وما ينبغي أن يكون شعاره على سبيل الإيجاز»<sup>(١)</sup>.

وما ذكره العلامة ابن باديس رحمه الله تعالى من العقائد «ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوه ليحفظه، ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً، ومن فضل الله على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوه للإيمان، من غير حاجة إلى حجة وبرهان، فلا بد من إثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل، وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلم صفة الكلام والجدال، بل يشغل بتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومعانيه، ويشغل بوظائف العبادات، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه

(١) الاعتقاد للإمام البيهقي رحمه الله تعالى: (ص: ٧).

من أدلة القرآن وحججه، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع عليه من أنوار العبادة ووظائفها»<sup>(١)</sup>.

وقد «زعمت في هذه المسائل والأبحاث التي ذكرتها في هذه الرسالة... أنني لاحظت الحق ونصرتة... وتابعت الكتاب والسنة... مع أنني قصير الباع، قليل الاطلاع، فما أخطأت فيه من كلامي، وخالفت فيه واضح الكتاب وصريح السنة، فعلى كلّ مسلم رده، والاجتناب عنه، ومتابعة الكتاب العزيز والسنة المطهرة دونه، فإنما قصدي نصرتهما لا مخالفتهما، فما أصبت فيه فمن الله سبحانه، وله فيه الحمد والمنة والشكر والثناء، وما أخطأت فيه، فالذنب فيه منّي ومن الشيطان، وعليّ فيه البراءة منه والتوبة منه والاستغفار والتحذير... والله سبحانه أسأل أن يسلمني من البدع والذنوب، ويغفر لي ما أخطأت فيه من الأصول والفروع، إنّه واسع الغفران والرحمة، وهو حسبي وكفى في الآخرة والأولى»<sup>(٢)</sup>.

«وآخر كلامي كأوّله أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلاته وسلامه على محمد سيّد المرسلين، وخاتم النّبیین، وشفيع المذنبين، وآله الطيّبين الطاهرين، وصحبه الراشدين المهديين إلى يوم الدين»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر قطف الثمر للإمام صديق حسن خان رحمه الله تعالى: (ص: ١٥٥).

(٢) المرجع نفسه: (ص: ١٥٧).

(٣) المرجع نفسه: (ص: ١٦١).



## قائمة المراجع والمصادر

الإبانة عن أصول الديانة، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري. دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط ٢ (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م).

الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة. للإمام ابن بطة.

- الكتاب الأول: الإيمان. تحقيق ودراسة رضا بن نعيان معطي. دار الراية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية. ط ٢ (١٤١٨ هـ - ١٩٩٤ م).

- الكتاب الثاني: القدر. تحقيق ودراسة الدكتور عثمان عبدالله آدم الأثيوبي. دار الراية، ط ٢ (١٤١٨ هـ).

- الكتاب الثالث: الرد على الجهمية. تحقيق ودراسة الدكتور يوسف ابن عبدالله بن يوسف الوابل. دار الراية، ط ٢ (١٤١٨ هـ).

إتحاف أهل الفضل والإنصاف بنقض كتاب ابن الجوزي، دفع شبه التشبيه وتعليقات السقاف. تأليف سليمان بن ناصر بن عبدالله العلوان. دار الصميعي الرياض المملكة العربية السعودية، ط ١ (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).

إثبات صفة العلو. للإمام موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، بعناية بدر بن عبدالله البدر. دار ابن الأثير الكويت، ط ٢ (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م).

إثبات اليد لله سبحانه. للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق وتعليق الدكتور عبدالله بن صالح البرّاك. دار الوطن المملكة العربية السعودية، ط ١ (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

اعتقاد الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي. جمع الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الهكّاري، تحقيق وتعليق الدكتور عبدالله بن صالح البرّاك. دار الوطن المملكة العربية السعودية، ط ١ (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).

الإصابة في تمييز الصحابة. للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دراسة وتحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. للإمام محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي. دار عالم الكتب بيروت.

اعتقاد أئمة أهل الحديث. للإمام أبي بكر الإسماعيلي، تحقيق الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس. دار الفتح الشارقة الإمارات العربية المتحدة، ط ١ (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م).

أعلام الموقعين عن ربّ العالمين. للإمام الحافظ شمس الدين أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق الشيخ عبد الرحمن الوكيل. مكتبة ابن تيمية القاهرة.

أسباب النزول. للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري. دار الفكر.

إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني. إعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز، المملكة العربية السعودية، ط ١ (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م).

اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية. لابن القيم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة. ط ١ (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).

إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي. ط ١ (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م).

إعراب القرآن. للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد. دار عالم الكتب بيروت، ومكتبة النهضة العربية. ط ٣ (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م).

الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء، جمعاً وتخليجاً ودراسة. إعداد الدكتور جمال بن أحمد بن بشير بادي. دار الوطن الرياض، ط ١ (١٤١٦ هـ).

الاحتجاج بالقدر. لشيخ الإسلام ابن تيمية، خرّج أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي بيروت لبنان، ط ٥ (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).

الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان. ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، قدم له وضبط نصه كمال يوسف الحوت. دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط ١ (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

الآداب. للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسن البيهقي، علّق عليه أبو عبدالله السعيد المندوه. مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١ (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).

الأربعون الصغرى المخرجة في أحوال عباد الله تعالى وأخلاقهم. للإمام أبي بكر البيهقي، تحقيق محمد نور بن محمد أمين المراغي. طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي. الدوحة قطر.

الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية. للشيخ عبد العزيز

الحمد السلمان. شركة الشهاب الجزائر (١٩٨٨ م).

الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار. للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي القرطبي. وثق أصوله وخرّج نصوصه، ورقمها الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي. دار قتيبة للطباعة والنشر (دمشق - بيروت)، ودار الوغى (حلب - القاهرة)، ط ١ (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).

الاستيعاب في أسماء الأصحاب. للإمام ابن عبد البر، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

الإسلام الدين الكامل. للشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي. مكتبة ابن تيمية مصر.

الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة. للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي. دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط ٢ (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).

الإقليد للأسماء والصفات والاجتهاد والتقليد. للإمام محمد الأمين ابن محمد المختار الشنقيطي، تحقيق شريف بن محمد فؤاد بن هزاع. مكتبة ابن تيمية القاهرة.

الآيات البيّنات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات. للإمام العلامة نعمان بن محمود الألوسي، حققه وقّدم له وخرّج أحاديثه وعلّق عليه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، والملكية للطباعة والإعلام والنشر والتوزيع الجزائر.

الإيمان. لشيخ الإسلام ابن تيمية، خرّج أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، ط ٥ (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م).

بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الربانى. للشيخ أحمد عبد الرحمن البناء، دار إحياء التراث العربى، بيروت لبنان.

البداية والنهاية. للإمام الحافظ أبى الفداء ابن كثير، حققه مجموعة من الأساتذة، دار المكتب العلمية بيروت لبنان، (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).

البعث والنشور. للإمام الحافظ أبى بكر بن أبى داود، حققه وعلّق عليه الشيخ أبو إسحاق الجوينى، دار الشهاب الجزائر بالتعاون مع مكتبة التراث الإسلامى القاهرة.

البيان المأمول فى علم الأصول. بقلم الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، الطبعة الأولى.

تاريخ بغداد. للحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

تأويل مختلف الحديث. للإمام أبى محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، صححه وضبطه محمد زهرى النجار، دار الجيل بيروت (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م).

تجريد التوحيد المفيد. للإمام أحمد بن على بن عبد القادر المقرئى، تقديم وتحقيق وتعليق على حسن على عبد الحميد، شركة الشهاب الجزائر.

تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى. للإمام المباركفورى، أشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر دار الفكر بيروت، ط ٢ (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م).

تسهيل المنطق. للشيخ عبد الكريم بن مراد الأثرى، دار مصر للطباعة.

تفسير القرآن العظيم. للإمام الحافظ أبى الفداء إسماعيل بن كثير،

دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

تفسير البغوي، المسمى معالم التنزيل. للإمام الحافظ أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار. دار المعرفة بيروت، ط ١ (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).

تفسير الطبري، المسمى: جامع البيان في تفسير القرآن. للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري. دار الفكر بيروت، (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م).

تقريب التدمرية. للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، اعتنى به وخرّج أحاديثه سيّد بن عبّاس بن علي الجليمي، دار الجيل بيروت، ومكتبة السنة القاهرة (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).

تقريب التهذيب. للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١ (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م).

تلخيص كتاب الاستغاثة، المعروف بالردّ على البكري. لشيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة الغرباء الأثرية، المملكة العربية السعودية، ط ١ (١٤١٧ هـ).

تهذيب تاريخ دمشق الكبير. للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، المعروف بابن عساكر، هذبه ورتبه الشيخ عبد القادر بدران. دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط ٣ (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

تهذيب التهذيب. للإمام الحافظ شهاب الدّين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. دار الفكر، ط ١ (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م).

تهذيب الكمال في أسماء الرجال. للحافظ جمال الدّين أبي الحجاج يوسف المزي، حققه وضبط نصه وعلّق عليه الدكتور بشّار عوّاد معروف. مؤسسة الرسالة، ط ١ (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م).

تهذيب لسان العرب. للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين بن منظور. تمّ تهذيبه بعناية المكتب الثقافي لتحقيق الكتب، إشراف الأستاذ علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١ (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م).

التبصير في معالم الدين. للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق وتعليق علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

التحذير من مختصرات محمد علي الصابوني في التفسير. للشيخ بكر ابن عبدالله أبي زيد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ٢ (١٤١٠ هـ).

التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ٢ (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة. للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الأجرّي. تحقيق محمد غياث الجنباز، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢ (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).

التصنيف الفقهي لأحاديث كتاب الكنى والأسماء. لأبي بشر محمد ابن أحمد بن حمّاد الدولاوي. إعداد وتعليق وتحقيق أبي ياسر عصام الدين ابن غلام حسين، دار الكتاب المصري القاهرة، ودار الكتاب اللبناني بيروت، ط ١ (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م).

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للإمام الحافظ ابن عبد البر. الجزء السادس عشر، تحقيق عمر الجيدي وسعيد أحمد أعراب، (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م).

التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل. للشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى العتمي اليميني، قام على طبعه وتحقيقه والتعليق عليه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، ط ٢ (١٤٠٦هـ).

التوضيح والبيان لشجرة الإيمان. للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، خرّج أحاديثه محمد ناصر العجمي، دار الاستقامة الجزائر، ط ١ (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م).

التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيقة. للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، علق عليها الشيخ عبد العزيز بن باز، وضبط نصّها وخرّج أحاديثها علي حسن عبد الحميد، دار الإمام مالك، البلدية الجزائر (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).

جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله. للحافظ ابن عبد البر، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي الدمام، الطبعة الثالثة (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).

جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم. للحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، دار الهدى الجزائر، الطبعة الأولى (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م).

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور محمد عجّاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م).

الجامع المفهرس لأطراف الأحاديث النبوية والآثار السلفية التي خرّجها محدّث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. صنعه سليم بن عبد الهلالي، دار ابن الجوزي الدمام، الطبعة الثانية (ربيع الثاني ١٤١٧ هـ -

١٩٩٦ م).

جماع العلم. للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، مكتبة ابن تيمية.

حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر رضي الله عنه. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة السابعة (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).

حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار، المعروف بالأذكار النووية. للإمام النووي، حققه وعلق عليه علي الجريشي وقاسم النووي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م).

حياة القلوب بدعاء علام الغيوب. لإمام الحرم المكي الشيخ أبي السمح محمد عبد الظاهر بن محمد نور الدين الفقيه، دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع قسنطينة الجزائر، الطبعة الثانية (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).

الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة. للإمام الحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني.

- الجزء الأول: تحقيق ودراسة محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي. دار الراجعية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م).

- الجزء الثاني: تحقيق محمد محمود أبو رحيم، دار الراجعية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م).

خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه. للشيخ محمد

ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة (١٩٩٧ م).

خلق أفعال العباد والردّ على الجهمية وأصحاب التعطيل. للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، خرّج أحاديثه وصحّح ألفاظه أبو محمد سالم بن أحمد بن عبد الهادي، وأبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني الأبياني، شركة الشهاب الجزائر.

دلائل التوحيد. للشيخ محمد جمال الدين القاسمي، ضبط وتعليق وتخريج الشيخ خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م).

الدر المنثور في التفسير بالمأثور. للحافظ جلال الدين السيوطي. دار المعرفة، بيروت لبنان.

ذخائر الموارث في الدلالة على مواضع الحديث. للإمام عبد الغني النابلسي، دار المعرفة بيروت لبنان، وجمعية النشر والتأليف الأزهرية.

ذم التأويل. للإمام موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، بعناية بدر بن عبدالله البدر، دار ابن الأثير الكويت، الطبعة الثانية (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م).

رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة. للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، قيدها واعتنى بأصلها أبو الحارث نادر بن سعيد آل مبارك التعمري، راجعها وقدم لها الشيخ مشهور حسن آل سلمان والشيخ سليم بن عيد الهلالي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).

الردّ على الجهمية. للإمام أحمد بن حنبل.

الردّ على الجهمية. للإمام الحافظ ابن منده، حققه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م).

الردّ على الجهمية. للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، قدم له، وخرّج أحاديثه وعلّق عليها بدر بن عبدالله البدر، دار ابن الأثير الكويت، الطبعة الثانية (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م).

الرسالة التدمرية في التوحيد والأسماء والصفات والقضاء والقدر. لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الشهاب الجزائر، بالتعاون مع مكتبة التراث الإسلامي القاهرة.

الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة والاعتقادات وأصول الديانات. للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق الدكتور محمد بن سعيد ابن سالم القحطاني، دار ابن الجوزي الدمام، الطبعة الأولى (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

الروح. للإمام ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت (١٣٩٩ هـ). زاد المعاد في هدي خير العباد. للإمام ابن القيم، حقّق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه الشيخان: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية الكويت، الطبعة الثالثة عشرة (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).

زاد المهاجر إلى ربّه، وهي الرسالة التبوكية. للمحافظ ابن القيم، تحقيق وتعليق أبي محمد أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مكتبة الإمام البخاري، والدار السلفية للنشر والتوزيع والبحث العلمي مصر، الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ).

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتبة المعارف الرياض.

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة. للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتبة المعارف الرياض.

سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.

سنن أبي داود، مراجعة وضبط وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

سنن الترمذي، حققه وصححه عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر بيروت لبنان، الطبعة الثانية (١٤٩٣ هـ - ١٩٨٣ م).

سنن الدارقطني، وبذيله التعليق المغني على الدارقطني لأبي الطيب محمد آبادي.

سنن الدارمي، للإمام أبي محمد عبدالله بهرام الدارمي، دار الفكر بيروت.

سنن النسائي. دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

السنة. للإمام محمد بن نصر المروزي، خرّج أحاديثه وعلّق عليه أبو محمد سالم بن أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١ (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).

السنة. للإمام أبي بكر أحمد بن محمد الخلال، دراسة وتحقيق الدكتور عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية الرياض، ط ٢ (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).

السنن الكبرى. للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الفكر.

سير أعلام النبلاء. للحافظ الذهبي، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه جماعة من الباحثين، تحت إشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ١ (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م).

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم. للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن

الطبري اللالكائي، تحقيق الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طبية الرياض، ط ٥ (١٤١٨ هـ).

شرح حديث النزول. شيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي بيروت، ط ٧ (١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م).

شرح السنة. للإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق وتعليق وتخريج الشيخ شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت، ط ٢ (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).

شرح السنة. للإمام أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، دراسة وتحقيق أبي ياسر خالد بن قاسم الراددي، مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة، ط ١ (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).

شرح العقيدة الأصفهانية. لشيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة الرشد الرياض، ط ١ (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).

شرح العقيدة الطحاوية. للإمام ابن أبي العز الحنفي، حققه جماعة من العلماء، وخرج أحاديثه العلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٥ (١٣٩٩ هـ).

شرح العقيدة الطحاوية. للإمام ابن أبي العز، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي والشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ٣ (١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م).

شرح العقيدة الواسطية. سماحة الشيخ محمد الصالح العثيمين، خرج أحاديثه واعتنى به سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي الدمام، ط ٤ (رجب ١٤١٧ هـ).

شرح الحافظ ابن القيم على مختصر أبي داود، مطبوع بحاشية عون المعبود، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م).

شرح معاني الآثار. للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق وتقديم وتعليق محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق، راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وفهرسته الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار عالم الكتب بيروت، ط ١ (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م).

شعب الإيمان. للإمام البيهقي، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م).

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، للإمام ابن قيم الجوزية، دار المعرفة بيروت.

الشفاء بتعريف حقوق المصطفى. للإمام القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، دار الكتب العلمية بيروت.

صحيح البخاري، در الفكر (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م).

صحيح ابن خزيمة، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط ٢ (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).

صحيح الجامع الصغير وزيادته. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٢ (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).

صحيح سنن الترمذي. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض، بالتعاون مع المكتب الإسلامي بيروت، ط ١ (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م).

صحيح سنن النسائي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف بالرياض، ط ١ (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨).

صحيح السيرة النبوية. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. المكتبة الإسلامية عمان الأردن، ط ١ (١٤٢١ هـ).

- صحيح مسلم مع شرح النووي، حققه وفهرسه عصام الصبّاطي،  
وحازم محمّد وعماد محمّد، دار أبي حيان، ط ١ (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج، دار الفكر بيروت.
- صراع بين السنة والبدعة، أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد  
الحميد بن باديس. للشيخ أحمد حمّاني، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة  
الجزائر، ط ١ (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م).
- الصارم المنكي في الردّ على السبكي. للإمام محمّد بن أحمد بن عبد  
الهادي، مكتبة الفرقان مصر.
- الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزنقة. للإمام أحمد بن  
حجر الهيتمي المكي، تخريج وتعليق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة  
القاهرة، ط ٢ (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م).
- ضعيف سنن ابن ماجة. للشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني، المكتب  
الإسلامي بيروت، ط ١ (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
- ضوء الساري إلى معرفة رؤية البارّي عزّ وجلّ. للإمام أبي شامة،  
تحقيق الدكتور أحمد عبد الرحمن الشريف، دار الصحوة القاهرة، ط ١  
(١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).
- طريق الهجرتين وباب السعادتين. للإمام ابن القيم، دار الكتب  
العلمية بيروت.
- الطبقات الكبرى. للإمام محمّد بن سعد، دراسة وتحقيق محمّد عبد  
القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م).
- عالم الجن والشياطين. للدكتور عمر سليمان الأشقر، قصر الكتاب  
البليدة الجزائر.
- عقيدة أهل السنة والجماعة. للشيخ محمّد الصالح العثيمين، طبع

تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء الرياض، ط ٣ (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م).

عقيدة السلف وأصحاب الحديث. للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، دراسة وتحقيق الدكتور ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار العاصمة، ط ٢ (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

عمل اليوم والليلة. للحافظ أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق، المعروف بابن السني، خرج أحاديثه وعلق عليه عبدالله حجاج، دار الشهاب باتنة الجزائر، ط ٤ (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

عون المعبود بشرح سنن أبي داود. للإمام شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م).

العقيدة في الله. للدكتور عمر سليمان الأشقر، قصر الكتاب البليدة الجزائر (١٩٩٠ م).

العقيدة الطحاوية شرح وتعليق. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، إعداد وتقديم زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط ٢ (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).

فتح الباري شرح صحيح البخاري. للإمام زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، الشهير بابن رجب الحنبلي، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، ط ١ (رجب ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م).

فتح الباري شرح صحيح البخاري. للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتب وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث القاهرة، ط ١ (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م).

فتح الباري شرح صحيح البخاري. للإمام أحمد بن علي بن حجر

العسقلاني، دار ابن باديس الجزائر ودار السلام الرياض، ط ١ (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).

فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، تعليق الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبدالله بن باز، دار الندوة الجديدة.

الفتاوى الكبرى. لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار المعرفة بيروت.

الفتوى الحموية الكبرى. لشيخ الإسلام ابن تيمية، تقديم محمد عبد الرزاق حمزة، مطبعة المدني والمؤسسة السعودية بمصر.

الفصل في الملل والأهواء والنحل. للإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم نصر والدكتور عبد الرحمن عُميرة، شركة مكتبات عكاظ المملكة العربية السعودية، ط ١ (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م).

الفوائد. للإمام ابن قيم الجوزية، ضبطها وحققها الشيخ عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).

قاعدة في المحبة. لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق الدكتور محمد رشاد سالم، دار الشهاب باتنة الجزائر ومكتبة التراث الإسلامي القاهرة.

قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر. للعلامة محمد صديق حسن خان القنوجي، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له الدكتور عاصم بن عبدالله القريوتي، دار الإمام مالك البلدة الجزائر، ط ٢ (١٤١٤ هـ).

قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث. للعلامة محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد بهجة البيطار، تقديم محمد رشيد رضا، دار النفائس، ط ٢ (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).

القاموس المحيط. للعلامة مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي، دار

الكتاب العربي.

القاديانية دراسة وتحليل. للشيخ أحيان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان، ط ١٦ (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م).

القاديانية. للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد، دار القاسم المملكة العربية السعودية، ط ١ (١٤١٧ هـ).

القضاء والقدر. للدكتور عمر سليمان الأشقر، قصر الكتاب البلدية الجزائر، ط ١ (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م).

القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى. للشيخ محمد الصالح العثيمين، الدار السلفية الجزائر والمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية بالرعاية الجزائر (١٩٩٠ م).

القول السديد شرح كتاب التوحيد. للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار الوطن الرياض، ط ١ (رجب ١٤١٢ هـ).

القول السديد في الردّ على من أنكر تقسيم التوحيد، للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر، تقديم الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، دار ابن عفان المملكة العربية السعودية، ط ٢ (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).

الكبائر. للإمام شمس الدين الذهبي، حققه وخرج أحاديثه عمّار أحمد عبدالله، قدم له الشيخ عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن باديس الجزائر، ط ١ (١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م).

كتاب الأربعين حديثاً. للإمام محمد بن الحسين الأجرى، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور محمد النقراشي السيّد علي، مكتبة دار العليان بريدة، ط ١ (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

كتاب الأسماء والصفات. للإمام أبي بكر البيهقي، دار إحياء التراث

العربي بيروت.

كتاب الإيمان. للحافظ أبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق العلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، والملكية بالجزائر، ط ٢ (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).

كتاب الإيمان. للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق العلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، والملكية بالجزائر، ط ٢ (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).

كتاب الإيمان. للإمام محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ١ (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م).

كتاب الإيمان من إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم. للقاضي عياض، تحقيق الدكتور الحسين بن محمد شواط، دار الوطن الرياض، ط ١ (١٤١٧ هـ).

كتاب البعث والنشور. للإمام أبي بكر البيهقي، تحقيق عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية بيروت، ط ١ (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).

كتاب التوحيد وإثبات صفات الربّ عزّ وجلّ. للإمام أبي بكر بن خزيمة، دراسة وتحقيق الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم الشعوان، مكتبة الرشد الرياض، وشركة الرياض للنشر والتوزيع، ط ٦ (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).

كتاب التوحيد وإثبات صفات الربّ عزّ وجلّ. للإمام أبي بكر ابن خزيمة، راجعه وعلق عليه محمد خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).

كتاب الجرح والتعديل. للإمام ابن أبي حاتم الرازي، علق عليه العلامة عبد الرحمن المعلمي، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند، ط ١ (١٣٨٢ هـ - ١٩٥٣ م).

كتاب السنة. للحافظ أبي بكر بن أبي عاصم، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ط ٣ (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م).

كتاب الشريعة. للإمام أبي بكر الآجري، دراسة وتحقيق الدكتور عبدالله بن عمر بن سليمان الدميحي، دار الوطن الرياض، ط ٢ (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م).

كتاب الصلاة. للإمام محمد بن نصر المروزي، تحقيق وضبط الدكتور مصطفى عثمان محمد صميده، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م).

كتاب الضعفاء الكبير. للإمام العقيلي، حققه ووثقه الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م).

كتاب القدر. للإمام أبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، حققه وخرج أحاديثه عبدالله بن حمد المنصور، أضواء السلف الرياض، ط ١ (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).

كتاب الموضوعات. للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، تخريج توفيق حمدان، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).

الكتاب المصنّف في الأحاديث والآثار. للإمام أبي بكر ابن أبي شيبة، حققه وصححه عامر العمري الأعظمي، الدار السلفية بومباي الهند.

الكفاية في علم الرواية. للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية

بيروت، (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م).

الكلام على الصفات. للخطيب البغدادي، تحقيق عمرو عبد المنعم، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ومكتبة العلم بجدة، ط ١ (١٤١٣ هـ).

لمعة الاعتقاد. للإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية (١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م).

ما دلّ عليه القرآن ممّا يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان. للعلامة السيد محمد شكري الألوسي، تحقيق زهير الشاويش، وتخرّيج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٢ (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).

مباحث في علوم القرآن. للشيخ مناع القطان، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ٣٤ (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م).

مجالس التذكير من حديث البشير النذير. للشيخ العلامة عبد الحميد ابن باديس، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة الجزائر، ط ١ (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).

مجمع الزوائد ومنع الفوائد. للإمام نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تخرّيج الحافظين العراقي وابن حجر، مكتبة القدس القاهرة.

مجموع الفتاوى. لشيخ الإسلام ابن تيمية، اعتنى بها وخرج أحاديثها عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء ودار ابن حزم، ط ٢ (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

مختار الصحاح. للإمام محمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة الريان بيروت (١٩٩٦ م).

مختصر الصواعق المرسلّة. للإمام ابن قيم الجوزية، اختصره الشيخ محمد الموصلي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤٠٥ هـ).

مدارج السالكين بين منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. للإمام ابن القيم، تحقيق العلامة محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية بيروت (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م).

مسألة في التوحيد وفضل لا إله إلا الله. للإمام يوسف بن حسن بن عبد الهادي، حققه وخرج أحاديثه عبد الهادي محمد منصور، وراجعه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١ (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م).

مسند الشافعي. للإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م).

مسند أبي عوانة. للإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني، دار المعرفة بيروت.

مسند أبي داود الطيالسي. للإمام سليمان بن داود بن الجارود البصري، الشهير بأبي داود الطيالسي، توزيع دار الباز مكة المكرمة، طبع دار المعرفة بيروت.

مشكاة المصابيح. للإمام التبريزي، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣ (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).

مشكل الآثار. للإمام أبي جعفر الطحاوي، دار صادر بيروت، ط ١ مصورة على طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد الدكن الهند (١٣٣٣ هـ).

مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة، أو مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة. للحافظ أبي بكر جلال الدين السيوطي، قدم له وخرج أحاديثه وعلق عليه بدر بن عبدالله البدر، مؤسسة الريان بيروت، ودار النفائس الكويت (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).

مفتاح دار السلام بتحقيق شهادتي الإسلام. للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، تقديم الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر، دار الفتح الشارقة، ط ١ (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م).

مقالات الإسلاميين. للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الحداثة بيروت، ط ٢ (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).

معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول. للشيخ حافظ بن أحمد حكمي، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه عمر بن محمود أبي عمر، طبع دار ابن حزم بيروت، نشر دار ابن القيم الدمام، ط ١ (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).

معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة. للدكتور محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية، ط ٢ (صفر ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر. لعادل نويهض، نشر مؤسسة نويهض الثقافية بيروت، ط ٢ (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م).

معجم مقاييس اللغة. لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر بيروت (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م).

معجم المناهي اللفظية، ويليه فوائد من الألفاظ. للشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة الرياض، ط ٣ (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م).

معرفة علوم الحديث. للحاكم أبي عبدالله النيسابوري، اعتنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه الدكتور السيد معظم حسين، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ط ٢ (١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م).

معنى الإيمان والإسلام، أو الفرق بين الإيمان والإسلام. لسلطان

العلماء العز بن عبد السلام، تحقيق إياد خالد الطّبّاع، دار الفكر دمشق، والملكية بالجزائر.

من أحاديث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. للحافظ تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، أشرف على تحقيقه وراجعته وعلق عليه وقدم له الشيخ مصطفى بن العدوي، وخرج أحاديثه وعلق عليه أبو عبدالله محمد العفيفي، دار ابن رجب مصر، ط ١ (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م).

منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات. للعلامة محمد الأمين الشنقيطي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (١٤٠١ هـ).  
موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف. إعداد أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، عالم التراث بيروت، ط ١ (محرم ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م).

ميزان الاعتدال في نقد الرجال. للحافظ شمس الدين الذهبي، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة بيروت.

المستدرك على الصحيحين. للحاكم أبي عبدالله النيسابوري، دار الفكر بيروت.

المستدرك على الصحيحين. للحاكم أبي عبدالله النيسابوري، تحقيق عبد السلام بن محمد بن عمر علوش، دار المعرفة بيروت، ط ١ (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م).

المسند. للإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، دار إحياء التراث العربي، ط ٢ (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).

المسند. للإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار الفكر.

المسند. للإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق العلامة أبي الأشبال أحمد محمد شاكر، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة.

المسند. للحافظ أبي بكر عبدالله بن الزبير الحميدي، حقق أصله وعلق عليه الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، المكتبة السلفية المدينة المنورة.

المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية. للشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي، دار الراية المملكة العربية السعودية، ط ١ (١٤١٧ هـ).

المصنّف. للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق وتخريج الشيخ حبيب الرحمن، من منشورات المجلس العلمي سملك سوزت الهند.

المعجم الصغير. للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، صححه وراجع أصله عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، ط ٢ (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م).

المعجم الكبير. للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، ط ٢.

المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار. للحافظ زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، دار المعرفة بيروت.

المنهج القويم لتصحيح أفكار الفرق المختلفة في صفات ربّ العالمين. جمعه ورتبه أبو عبدالله إبراهيم سعيداوي، دار الاحتساب، طبع بدار الحرمين القاهرة، ط ١ (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).

الموطأ. للإمام مالك بن أنس، برواية يحيى بن يحيى الليثي، دار النفائس، ط ١٠ (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

نصب الراية لأحاديث الهداية. للإمام جمال الدين الزيلعي، اعتنى به

- أيمن صالح شعبان، دار الحديث القاهرة، ط ١ (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
- نبذة مختصرة عن العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى. أعدها الشيخ محمود أبو عبد الرحمن الجزائري، طبع مجالس الهدى الجزائر، ط ١ (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م).
- النبذ في أصول الفقه الظاهري. للإمام ابن حزم الأندلسي، حقق نصوصها وعلق عليها الشيخ محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن حزم بيروت، ط ١ (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م).
- النهاية في غريب الحديث والأثر. للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، نشر المكتبة الإسلامية.
- يحيى بن معين وكتابه التاريخ. دراسة وترتيب وتحقيق الدكتور أحمد محمد نور سيف، طبع جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، ط ١ (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م).
- اليوم الآخر (القيامة الصغرى). للدكتور عمر سليمان الأشقر، قصر الكتاب البلدية الجزائر.

## فهرس الموضوعات

- المقدمة ..... ٩
- ترجمة المصنف رحمه الله تعالى ..... ١٧
- التعريف بكتاب العقائد الإسلامية ..... ٢٦
- تقديم بقلم العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى ..... ٣٠
- افتتاح بقلم المصنف رحمه الله تعالى ..... ٣٦
- بيان قواعد الإسلام الخمس من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ..... ٣٧
- لا نجاه لأحد عند الله تعالى إلا بالدخول في الإسلام ..... ٤٠
- الإسلام مودين الله الذي أرسل به جميع رسله ..... ٤٣
- ما جاء به رسول الله ﷺ هو الإسلام الذي ينجي صاحبه ..... ٤٥
- لا يدخل أحد في الإسلام إلا بالإيمان بالنبي ﷺ ..... ٤٨
- الدخول في الإسلام يكون بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ..... ٥٤
- أول الواجب على المكلف: العلم بلا إله إلا الله محمد رسول الله ..... ٥٧
- فوائد ..... ٥٩
- فهم معنى الشهادة ..... ٦٢
- يكفي للدخول في الإسلام ما دلّ على معنى الشهادة ..... ٦٣
- فائدة ..... ٦٧
- التصديق التام والاعتقاد الجازم بالشهادتين ..... ٦٩
- اليقين ..... ٧١
- النظر في آيات الله ..... ٧٧

- ٨١ ..... إزالة الشبهات
- ٨٦ ..... الإسلام بمعنى الدين كله
- ٨٩ ..... الإسلام بمعنى الانقياد لله تعالى ظاهراً وباطناً
- ٩٣ ..... الإسلام بمعنى الأعمال الظاهرة الدالة على الانقياد
- ٩٦ ..... فائدة
- ٩٧ ..... معنى الإيمان في اللغة
- ١٠٠ ..... محل الإيمان هو القلب
- ١٠٢ ..... فائدة
- ١٠٣ ..... الإيمان بمعنى التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
- ١٠٥ ..... الإيمان بمعنى الأعمال الظاهرة
- ١١٠ ..... توارد لفظ الإسلام ولفظ الإيمان على اعتقاد القلب والأعمال الظاهرة
- ١١٢ ..... الدين كله عقد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح
- ١١٦ ..... الإيمان في الوضع الشرعي
- ١٢١ ..... فوائد
- ١٢٤ ..... الإيمان يزيد وينقص
- ١٢٨ ..... فائدتان
- ١٢٩ ..... التصديق يقوى ويضعف
- ١٣٣ ..... فصل فيه أسباب زيادة الإيمان ونقصانه
- ١٣٦ ..... من عدم من إيمانه اليقين خرج من دائرة المؤمنين
- ١٣٧ ..... من عدم منه النطق إباية وعناداً
- ١٣٩ ..... من لم يخضع قلبه لما عرفه من عقائد الإسلام
- ١٤١ ..... من ضيع الأعمال لم يخرج من دائرة الإيمان
- ١٤٨ ..... من ارتكب المعاصي سمي فاسقاً حتى يتوب
- ١٥٠ ..... بيان معنى الإحسان
- ١٥٤ ..... وجود الله تعالى وقدمه وبقاؤه
- ١٥٩ ..... سبق وجود الله تعالى لكل وجود

- غنى الله تعالى عن كل وجود ..... ١٦٤
- عقيدة الإثبات والتنزيه ..... ١٦٧
- فائدة ..... ١٧٤
- لا تحيط العقول بذاته ولا بصفاته ولا بأسمائه ..... ١٧٥
- صفة الحياة ..... ١٧٩
- صفة القدرة ..... ١٨٢
- فائدة ..... ١٨٣
- صفة الإرادة والمشيئة ..... ١٨٤
- صفة العلم ..... ١٨٩
- صفتى السمع والبصر ..... ١٩٣
- فوائد ..... ١٩٧
- صفة الكلام ..... ٢٠٠
- صفة الاستواء ..... ٢٠٣
- فوائد ..... ٢١٥
- صفة النزول ..... ٢٢١
- فائدة ..... ٢٢٤
- تلخيص ما سبق ..... ٢٢٦
- الواحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ..... ٢٢٩
- لا يكون المسلم مسلماً إلا بالتوحيد العلمي والعملية ..... ٢٣٢
- توحيد الربوبية ..... ٢٣٧
- توحيد الألوهية ..... ٢٤١
- وحدانية الله تعالى في ربوبيته يستلزم توحيده في ألوهيته ..... ٢٤٦
- فائدة ..... ٢٤٨
- توحيد الله في شرعه ..... ٢٥٠
- فائدة ..... ٢٦٣
- خلق أفعال العباد ..... ٢٦٤

- ٢٦٨ ..... - العبد لا يخرج في جميع تصرفاته عن مشيئة الله
- ٢٧١ ..... - العبد لا يعلم العيب
- ٢٧٩ ..... - فائدتان
- ٢٨١ ..... - الإيمان بالقدر
- ٢٨٩ ..... - فائدة
- ٢٩٣ ..... - الكتابة في اللوح المحفوظ
- ٢٩٦ ..... - فائدة
- ٢٩٧ ..... - العم بالشرع والجد في السعي مع الإيمان بالقدر
- ٣٠١ ..... - فائدة
- ٣٠٣ ..... - الاحتجاج بالقدر
- ٣٠٩ ..... - الأخذ بالحذر
- ٣١٣ ..... - القدر كله حكمة
- ٣١٣ ..... - بيان ضعف حديث إحصاء الأسماء الحسنی
- ٣١٩ ..... - فصل فيه ثمرة الإيمان بالقدر
- ٣٢١ ..... - الإيمان بالملائكة ﷺ
- ٣٢٦ ..... - فائدة
- ٣٢٧ ..... - الإيمان بكتب الله تعالى
- ٣٣٠ ..... - حفظ الله تعالى القرآن من الزيادة والنقصان
- ٣٣٤ ..... - القرآن أنزل هداية عامة لجميع البشر
- ٣٣٦ ..... - الإيمان بأن جميع ما جاء رسول الله حق
- ٣٤٤ ..... - الإيمان بالرسول ﷺ
- ٣٥٨ ..... - الرسل حجة الله وشهوده
- ٣٦٣ ..... - تأييد الله تعالى رسله بالبينات والآيات
- ٣٦٨ ..... - فائدة
- ٣٧٠ ..... - تمام عبوديتهم مع علو منزلتهم
- ٣٧٥ ..... - تأدبنا مع الرسل فيما عوتبوا عليه واستغفروا منه

- فائدة ..... ٣٧٧
- ختم الرسالة وعمومها ..... ٣٨٢
- ميرزا غلام أحمد القادياني الكذاب ..... ٣٨٣
- فائدة ..... ٣٩٢
- عقائد الإيمان باليوم الآخر ..... ٣٩٤
- الإيمان بالنشور ..... ٣٩٧
- فائدة (الواجب على الله) ..... ٤٠٠
- الإيمان بالميزان ..... ٤٠٢
- فائدة ..... ٤٠٥
- الإيمان بالصراط ..... ٤٠٧
- الإيمان بالنار ..... ٤١١
- العذاب للأرواح والأجساد ..... ٤١٣
- الإيمان بالجنة ..... ٤١٥
- أعظم نعيم أهل الجنة ..... ٤١٥
- فائدة ..... ٤١٧
- فصل في ختم كتاب العقائد الإسلامية ..... ٤١٩
- الخاتمة ..... ٤٢٠
- فهرس المصادر والمراجع ..... ٤٢٣
- فهرس الموضوعات والمحتويات ..... ٤٤٩